

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الاوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد الثالث - السنة الخامسة
جمادى الثانية 1381 - دجمبر 1961
ثمن العدد درهم واحد

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد الثالث
السنة الخامسة
جمادى الثانية 1381
دجمبر 1961

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



آرز وثلج

هكذا تبدو جبال الاطلس المتوسط
في فصل الصيف

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 20 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الرباط ـ
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 10-308 ـ الرباط

دراسات إسلامية

مبادئ الإسلام الدستورية في نواحي الحياة

للدكتور معروف الدواليبي

- 2 -

حياة الفرد لدى اليونان والرومان فى صراع مـع طغيـان الفرد او طغيـان الجماعـات

واذا انتقلنا من الشرق الى الغرب لنستعـرض اوضاع الحياة لدى اليونان والرومان فى القرون الاولى لرأينا حياة الفرد فى المجتمع كانت كما هي فى الشرق فى صراع دائم ايضا ما بين طغيان سلطان الفرد على حياة الجماعة ، او طغيان الجماعـات على الافراد ، وكما هو الشأن فى كل منطقة من العالـم حتى اليوم ، الا من رحم ربك ، وفى نطاق محـدود ، وعلى شعب حاكم ، لا فى نطاق الانسانية جمعـاء .

اما فى اليونان فقد كان النزاع قد بلغ اشده فيما بين الاتجاهات المختلفة فى اثينـة فى العصر الخامـس قبل الميلاد ، كما هو الشـأن فى جميـع الدويـلات اليونانية الاخرى :

ــ فجماعة كانت تريد حكما ارستقراطيا ينحصر فى يد اقلية ، ويكون لها جميع الامتيازات .

ــ وجماعة اخرى كـانت تهـدف الى حكـم ديموقراطي ، اي حكم الشعب .

ويحدثنا ارسطاطاليس عما قد كانت عليه الحال حينذاك فيقول : (واصبحت كل الاراضي ملكا لعـدد قليـل من الناس ، وتعرض الزراع هـم وزوجاتهـم وابناؤهم لان يباعوا بيع الرقيق ، لا فى داخل البـلاد فحسب ، بل خارجها ايضا اذا عجزوا عن اداء اجرة الارض او الوفاء بما عليهم من ديون) .

ظهور مبادىء الحق الطبيعي والديموقراطية لدى اليونـان مقاومة لنظـام اسبارطـة الارستقراطـي

ولقد عمل المصلحون جهدهـم لاصلاح الحال ، وابتكروا ما شاءوا من مبادىء واقامـوا عليها ثورات تقضي على عهود وانظمة ، وفى مقدمة تلك المبادىء التي اشادوا بها مبدا الديموقراطية ومبدا الحق الطبيعـي

ولكن الديموقراطية فى اثينة لم تلبث ان احدثت حرية الافراد فى ظلالها كثيرا من المساوىء ، وهذا مـا دعا الكثيرين من المفكرين اليونان وفى مقدمتهم افلاطون وبلوتارخ لان يعمدوا الى تمجيـد نظـام سبارطـة الارستقراطي بعد ان ملوا ما فى ديموقراطية اثينة مـن انحطاط وفوضـى واوجسوا فى انفسهم خيفة منها ، رغم ان قوانين سبارطة قد اجمع العلماء والمؤرخـون اليوم على انها : اعجب وابغض طائفـة من الشرائع فى التاريخ كله ، وانها من القواعد المخالفة للطبيعة .

وهكذا طلع علينا افلاطون فى جمهوريته بحـل لمشكلات الحياة فى اثينة على ان يقسم المجتمع فى اثينة الى طبقات حاكمة من الصفوة : هم الفلاسفة والجيش ، والى طبقة من العامة هم من بقي من الناس ، وصرح بان

اسباب الخلاف ما بين الناس انما هي المراة والمال، فعلى الطبقة الاولى ان تعيش فى اشتراكية وشيوعية كاملة فيهما فلا يختص رجل بامراة ، ولا يملك احدهم مالا ، وبذلك تزول اسباب الخلاف فيما بين الطبقة العليا الحاكمة ، واما الطبقة العامة فتملك وتتزوج وتقدم ما لديها لخدمة الطبقة الاولى .

ورأى افلاطون فى ذلك النظام نظاما يتفق مع طبيعة المدينة الفاضلة التي تصورها ، ولم يصنع بما فكر الا ان قذف المجتمع الفكري من جديد فى مشكلات وعقد جديدة تثبت نظام الطبقات والتمايز بين الافراد، ذلك النظام الذي كان ولا يزال من اعظم اسباب النزاع فى الحياة الانسانية حتى اليوم .

نظام الطبقات لدى الرومان وبقاؤه فى اوروبا حتى عهد الثورة الفرنسية

وكذلك كان الامر لدى الرومان ، فقد ساد لديهم نظام الطبقات ، وتمتع فيهم الاشراف بكل الحقوق والامتيازات دون طبقة العوام التي لم تجد لها بدا من انتهاز الفرص للثورات فحطمت ما استطاعت من حواجز .

ولكن نظام الطبقات الاجتماعية لم يلبث ان ظهر فى نظام طبقات اقتصادية متفاوتة فى القدرة والسلطان حتى استقر فيها النظام الاقطاعي من جديد ، ذلك النظام الذي ورثته اوروبا الحديثة عنها ، وظل قائما فيها الى عهد الثورة الفرنسية فى القرن الثامن عشر حيث قضت عليه الثورة قضاء نهائيا .

استمرار النزاع بين المبادىء فى عالمنا الحديث من غير جديد ، واستقطابها فى الديموقراطية والاشتراكية

وهكذا استمر العالم فى نزاع ما بين هذه المبادىء، وليس فى عالمنا الحديث من جديد حول الحلول الشاملة ، وقد استقطبت هذه المبادىء اليوم فى ميدانين اساسيين هما :

— الديموقراطية .

— الاشتراكية .

اما الديموقراطية فتهدف فى الاصل من نظامها السياسي والاقتصادي الى حرية الفرد ، وذلك معالجة لما لقي الفرد من امتهان وطغيان فى ظل النظام الارستقراطي ، وحكم الاقلية المتسلطة المستغلة ، وتمشي الى هدفها باعطاء اكثر ما يمكن من حرية لنشاط الفرد ، حفظا لكرامته كانسان .

واما الاشتراكية فتهدف ايضا فى الاصل الى تحطيم هذا الاستغلال من قبل اقلية متسلطة ، وذلك معالجة لنفس الداء ، ولكنها تمشي الى هدفها بتقطيب السلطة فى الحكم ، وتجريد الانسان من كل حق فى حرية نشاطه ، الا ضمن الحدود المرسومة له ، كي تصل الى المساواة والعدالة ما بين الجميع فى حظوظهم فى الحياة ، وتكافؤهم فى الفرص .

كل من الديموقراطية والاشتراكية تلبية لحاجة ضرورية دون معالجة ما ينتج عنهما من ردة على الاصل

وكل من الديموقراطية والاشتراكية كما نرى ما هو فى الحقيقة الا تلبية لحاجة واحدة من حاجات الانسان الضرورية من دون اكتراث بما تنشأ عن الديموقراطية وحدها او الاشتراكية وحدها من ردة على اصل المبدا .

وهكذا فان الديموقراطية وحدها ، وما اعطته للفرد من حرية ، لم تستطع ان تضمن المساواة فى الحظوظ لكل فرد من افراد المجتمع ، لان الفرد القوي يتمتع بحريته ويستفيد منها اكثر من الفرد الضعيف، فنحن ان كنا انقذناه من حكم الارستقراطية والاقلية المستغلة باقامة الحكم الديموقراطي فقد اعدناه من جديد ليكون تحت نفوذ وسلطان الاقوياء من رجال الحظوظ ، وبذلك يعود الفرد من جديد الى فقدان ما اعطيناه من حرية فى سبيل كرامته .

وكذلك الاشتراكية وحدها ، وما ضمنته للفرد من مساواة فى حظوظ الحياة وتكافؤ الفرص ، لم تستطع ان تضمن للفرد حقه الطبيعي فى الحرية والكرامة ، فنحن ان كنا انقذناه من حكم الارستقراطية والاقلية المستغلة باقامة الحكم الاشتراكي ، فقد اعدناه من جديد ليكون تحت سلطة اقلية ايضا من رجال الحكم ، وليغدو تحت تصرفها كآلة متحركة لا تتحرك

الا بارادة الحاكمين ، وبذلك يفقد الفرد من جديد ما كان يسعى اليه من حق فى الحرية والكرامة فى سبيل لقمته .

ولذلك وجدنا فى بعض الدول من اضطر الى الجمع ما بين المبداين كحزب العمال الانكليزي ليخفف من مساوىء كل مبدأ على انفراده ، وكان شعاره هو (الاشتراكية الديموقراطية) رغم ما يبدو من تنافر المبدأين .

لقد كانت الجمهورية العربية المتحدة اكثر توفيقا عندما ضمت الى المبداين مبدا ثالثا هوالتعاونية وجعلت شعار حكمها على (الاشتراكية الديموقراطية التعاونية) حيث اكدت بمبدأ التعاون الاعتراف بنشاط الفرد وحريته واستقلاله فى ملكيته على اساس من التعاون ما بين نشاط الدولة العام ونشاط الفرد الخاص .

عالمنا اليوم على عتبة روح جديدة لدى اقطاب النزاع : هي روح التعايش السلمي من غير صوغها فى مبدا حيوي ايجابي

ولكننا اليوم على عتبة ابواب روح جديدة يندفع العالم نحوها اندفاعا :

— بعد ان تعب العالم من النزال المتواصل بين المبادىء والنظم .

— وبعد ان انهكتهم الحروب العالمية المتتالية .

— وبعد ان اصبحت الانسانية كلها فى خطر من جراء ذلك النزاع وهاتيك الحروب .

واصبح ذكر هذه الروح الجديدة على لسان كل من اقطاب اصحاب المبادىء المتناحرة . وتلك الروح الجديدة **هي روح الرغبة فى السلام** ما بين ابناء الانسان فى كل مكان ، وبين جميع الاقوام ، ومختلف العقائد والنظم والاديان .

غير ان هذه الروح لم تتبلور بعد ، ولم يشعر بجديتها احد حتى الآن ، ولم يتمكن احد من صوغها فى مبدا **حيوي ايجابي** ، الا ما يجيىء من وقت لآخر فى شكل مبادىء سلبية :

— مثل عدم الاعتداء ، وهو مبدا سلبي ظاهر .

— ومثل تجنب التدخل فى الشؤون الداخلية للدول الاخرى ، وهو ايضا مبدا سلبي .

— ومثل الاحترام المتبادل للسيادة والاستقلال ، وهذا ايضا سلبي لانه يقوم على عدم الاعتداء ، وعلى تجنب التدخل فى شؤون الآخرين .

— ومثل مبدا المساواة والنفع المتبادل ، وهو ايضا تقريبا مبدا سلبي لانه يقوم على عدم الخروج على مبدا المساواة والنفع المتبادل .

— ومثل مبدا التعايش السلمي ، وهو كذلك مبدا سلبي لانه انما يقوم على عدم العدوان فيما بين المتعاقدين .

وهذه المبادىء هي التي عرفت بالمبادىء الخمسة للتعايش السلمي فيما بين الهند والصين الشعبية ، وقد كثر الاعتراض عليها لسلبيتها فى الجملة، ولغموض فكرتها وخاصة فى التعايش السلمي الذي (لا يزال بحاجة الى تحديد وبيان) كما جاء فى خطاب رئيس وفد تايلاند فى مؤتمر باندونغ .

وزيادة على ذلك فان مبدا التعايش السلمي اذا ما قصر فى تطبيقه على المتعاقدين الاقوياء يوشك ان يصبح تآمرا سلميا على غيرهم من الضعفاء لا تعايشا سلميا ، لانه لم يصرخ بعد احد صرخة جدية عملية ولو فى صورة سلبية فى سبيل تعايش الانسان مع اخيه الانسان فى كل مكان ، ناهيك عن الدعوة الايجابية لخير الناس اجمعين .

فكرة التعايش السلمي فى الاسلام فكرة ايجابية واضحة

اما الاسلام فقد نادى بهذا المبدا منذ اربعة عشر قرنا دون ان يطوقه بحدود فيما بين الاقوياء ، ودون ان يقصره على فريق من الشعوب ، او على فريق من اهل الاديان ، ولم يتركه فكرة سلبية غامضة ، بل وضع معالمه ، واظهر خصائصه ، وتناول فيه جميع نواحي حياة الانسان : منفردا ومجتمعا ، وما اسم الاسلام الا كلمة مشتقة من مادة السلم والسلام ، ولذلك اتخذ الاسلام (السلام) تحية وشعارا ، وعزز ذلك الشعار فقال فى قرآنه الكريم (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا) .

لقد تجلى في الاسلام معالجة ما كانت تئن منه الانسانية في اعالي القرون الوسطى وهـي مشكلة اليوم من غيـر جديد

ويسرنا في هذا الحديث ونحن نريد الكلام فيـه عن (الاسلام ومشكلات الحياة) ، او بعبارة اخرى عـن (مبادىء الاسلام الدستوريـة في نواحـي الحيـاة) . ان نعلن ان الاسلام قد تجلى فيه معالجة ما كـانت الانسانية تئن منه في اعالي القـرون الوسطى حيـن فاجاها وهي في حروب دائمة دامية متواصلة ، وقـد طغى فيها القوي على الضعيف ، وتنكر الانسـان لاخيه الانسان ، واتخذ بعضهم اربابا من دون الله علـى الآخرين ، ونزلوا بغيرهم الى الطبقة الدنيا ، وجردوهم من حق الحياة والوجود ، حتى اصبح فيها حياة كـل من الافراد والمجتمع في جحيم مقيم .

وهذه هي مشكلة الانسانية اليوم من غير جديد بعد ان خرجت شعوب العالم منذ اواخر القرون الاولى ومطالع القرون الوسطى عن عزلتها ، واحتكت ببعضها، واورث ذلك الاحتكاك احقادا وحروبـا .

وان هذا الاحتكاك مع تقدم الحضارات اليوم لا يزداد الا اشتداد واحتداما ، على مـا تزداد الشعوب من بعضها اتصالا، وذلك بفضل تقدم المدنية وتشابـك المصالح ، تلك المصالح التي جعلت من ابناء الانسانية في كل مكان من هـذه الارض ابنـاء اسرة واحـدة ؛ والاجدر بابناء الاسـرة الواحـدة التواصل والتراحـم لا التنازع والتخاصم ، وهذا ما نادى به الاسلام منـذ اربعة عشر قرنا بين العرب اولا ، ثم بين العرب والامم اجمعين ثانيا ، فقال : (وجعلناكم شعوبا وقبائـل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فجاء نداؤه تلبية لحاجة الناس اجمعين ، وبلسما لجراح البائسيـن ؛ وهذا هو ما جعل الاسلام بعد ذلـك ينتشر بسرعة لا عهد للانسـانية بها حين خرج من جزيرة العرب ، حتـى قوض عروش الاكاسرة ، ودك قواعد القياصرة في اقل من عشر سنـوات .

خطا الذين يفهمون الاسلام في حدود الديـن عند علماء الغـرب

ويخطىء الذين يفهمون الاسلام فقـط ضمـن حدود الدين الذي عرفه العلماء في الغرب فقالـوا في احسن تعاريفه كما نصت عليه دائرة المعارف الدينية لديهم ، وهو ما جاء في التعريف الذي وضعه كوبليت دالفيـلا Golbet d'Alviella حيث قال : (ان الديـن هو الطريقة التي يحقق بها الانسان صلاته مع قـوى الغيب العلويـة) .

كما يخطىء الذين يفهمون الاسلام في حـدود تعريف آخر للدين عند علماء الغرب ايضا في الدرجـة الثانية من اصل مئة تعريف كما وضعـه جايمـس دارمستيتر James Darmesteter حيث قـال : (ان الدين هو ما يشتمل على كل معلوم وكل سلطة لا تتفق والعلـم) .

فقد تجاوز الدين في مفهوم الاسلام والقرآن تلك الحدود من (صلات الانسان مع قوى الغيب العلوية) الى حدود اخرى اعطاها نفس الاهتمـام ، الا وهـي (صلات الانسـان مع الانسان) .

وفوق ذلك فقد حمل المخاطبين على الاحتكام في في كل تلك الصلات الى العلوم والعقل ، وصارح قرانه بانه يخاطب الذين يعلمون والذين يعقلـون ، فقال : (نفصل الايات لقوم يعلمون) وقال ايضـا : (كذلـك يفصل الآيات لقوم يعقلون) ، وهكذا اهمل في خطابه الذين لا يعلمون والذين لا يعقلون ، ووصـف دعوته بانها دعوة الى الحياة فقال : (يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) وهو اول نـداء في هذا المعنى في لغة الاديـان .

— يتبـع —

صفحة من العدالة الإسلامية

للأستاذ محمد الطنجي

ان حياة ضمير العظماء واستقامة سلوكهم تجعل منهم خير بناة لعظمة الامم ، وان المسلمين يرون فى عمر بن الخطاب المثال النموذجي الكامل . عز وندر وجود مثله فى التاريخ ، وقد كانت قضاياه وأعماله ، ولا زالت غرة فى تاريخ التشريع والتنفيذ معا ، فهو من جهة يرى على القاضي او الوالي ان يتفهم القضايا المعروضة عليه ، ثم بعد وضوحها لديه يبادر بتنفيذها حتى لا تضيع هيبة القضاء بكثرة المماطلة والتسويف ، فالمحاكم الاسلامية كلها مدنية وجنائية وشخصية فى نظره كأنها المحاكم العسكرية فى نظر العصر الحاضر ، فى سرعة تعجيل القضاء وتنفيذه ، فهو يقول فى رسالته المشهورة فى القضاء : (فافهم اذا ادلي اليك ، وانفذ اذا تبين لك ، فانه لا ينفع التكلم بحق لا نفاذ له » .

وكان رضي الله صريحا فى الحق صراحة تامة كما هو مشهور عنه من انه لا يخشى فى الله لومة لائم ، وبصراحته فى الحق ، وقوة شخصيته فى تنفيذه بكل دقة انتشرت له هيبة فى النفوس لم تكن لاحد غيره .. فهذا زياد الشجاع الداهية البليغ لما ارسله سعد بن ابي وقاص بطل القادسية بحساب المغنم والفيء الى عمر وكلم عمر ، ووصف له الانتصارات الاسلامية ، قال له عمر هل تستطيع ان تقوم فى الناس بمثل الذي كلمتني به ؟

فقال والله ما على وجه الارض شخص اهيب فى صدري منك ، فكيف لا اقوى على هذا من غيرك ، فقام زياد فى الناس بما اصابوا وبما صنعوا ، وبماذا يستأذنون فيه من الانسياح فى البلاد ، فقال عمر : هذا الخطيب المصقع ، فقابل هذه بالجملة المأثورة (ان جندنا اطلقوا بالفعال لساننا) .

وكذلك ما ثبت عن ابن عباس من هيبة عمر حيث قال : لم ازل حريصا على ان اسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من ازواج النبي (ص) اللتين قال الله تعالى فيهما : « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما » فمكثت سنة ما استطيع ان اسأله هيبة له حتى حج .. الى آخر الحديث ..

فشخص عمر المتفاني فى اقامة العدل كيف ساغ له ان يشاطر ولاة فى اموالهم لم تثبت عليهم خيانة فى ولايتهم ؟

يظهر ان سند عمر فى عمله هو ما صح عن النبي كما فى رواية مسلم : (من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطا (اي ابرة) فما فوقه كان غلولا ياتي به يوم القيامة) قال راوي الحديث (فقام اليه رجل اسود من الانصار كاني انظر اليه فقال : يا رسول الله اقبل عني عملك ، قال ومالك ؟ قال سمعتك تقول كذا وكذا قال : وانا اقوله الآن من استعملناه منكم على عمل فليجيء بقليله وكثيره ، فما اوتي منه اخذ ، وما نهي عنه انتهى) .

وتطبيقا لهذا الحديث قال الرسول فى قضية عامله ابن اللتبية الذي قال هذا لكم وهذا اهدي لي : حيث قام خطيبا وقال بعد ان حمد الله (ما بال عامل ابعثه فيقول : هذا لكم وهذا اهدي لي ، افلا قعد فى بيت ابيه او فى بيت امه حتى ينظر ايهدى اليه ام لا ؟

وعمر قد اتخذ فى سياسته مع العمال انه كان يمنعهم من التجارة منعا باتا ليلا يستغلوا جاه الولاية ونفوذها لمطامحهم الشخصية كما تمنع ذلك بعض الدول الاوربية الآن ، بل وتمنع حتى شراء الاملاك .. وان كان هذا التشريع اصبح اسميا عندها .. حيث ان كثيرا من الاشخاص اخذوا يسجلون ما يملكونه فى اسماء آبائهم او ازواجهم محافظة على حرفية القانون

دون اعتبار لروحه ، اما عمر بن الخطاب فقد طبق اوامره تطبيقا كاملا حيث وجد الحجة الصحيحة على ولاته باكتسابهم اموالا طائلة زيادة على ما نالهم من وظيفة عملهم ، او غنيمة جهادهم .

وقد وقفت في كتاب الاصابة للحافظ بن حجر على قصيدة ابي المختار يزيد بن قيس بن الصعق الذي شكى فيها عمال الاهواز وغيرهم الى عمر بن الخطاب ، وكان لبقا في تمكين التهمة فيهم مع حسن تخلصه من الاستدعاء للشهادة عليهم ..

وفي نفس الوقت سمى طائفة كبيرة منهم باسمائهم ، واقترح مشاطرتهم ما اكتسبوه حيث قال لعمر بن الخطاب :

(فقاسمهم نفسي فداؤك انهم
سيرضون ان قاسمتهم منك بالشطر

ولا تدعوني للشهادة انني
اغيب ولكني ارى عجب الدهر

نؤوب اذا آبوا ونغزو اذا غزوا
فان لهم وفرا ولسنا ذوي وفر)

قال الحافظ بن حجر ، فقاسم عمر هؤلاء القوم فاخذ شطر اموالهم حتى اخذ نعلا ، وترك نعلا) .

ففي قوله نؤوب اذا آبوا (اي نرجع اذا رجعوا)، ونغزوا اذا غزوا ، ما يوضح اتحاد عملهم وعمل الولاة، فكان من المنطق ان يكون وفر المال عند الجميع او عدمه عند الجميع ، لا ان يكون الوفر في جانب دون الآخر ، ولهذا واخذهم عمر ، الا انه لم يقتصر في مقاسمة العمال والولاة ما اكتسبوه على عمال الاهواز الذين شكاهم ابو المختار اليه ، بل شاطر غيرهم من كبار الصحابة كسعد بن ابي وقاص ، الشهير المتقدم ، وعمرو بن العاص فاتح مصر ، وابي هريرة عامله على البحرين كما في كتب السير ، ولعل عمله مع هؤلاء اقتضاه تطبيق المساواة بين ولاته الذين وجد عندهم فضلا من المال بل ان عمر كان يتتبع من يتجر بمال هؤلاء الولاة من اقاربهم فيشاطرهم ايضا ، فقد شاطر ابا بكرة فقال له : اني لم آل لك شيئا يعني ، لم اتول لك اية ولاية ، فقال : (اي عمر) اخوك على بيت المال وعشور الابلة يعطيك المال تتجر به ؟ فأخذ منه عشرة آلاف . ويقال قاسمه فاخذ شطر ماله) هـ.

وقد يقال ان هذا العمل شدة من عمر ، ولكن عمر هكذا كان في الحق فقد فعل نفس العمل مع ابنيه عبيد الله ، وعبد الله ، ففي كتاب القراض من الموطا عن يزيد بن اسلم عن ابيه انه قال خرج عبيد الله وعبد الله ابنا عمر بن الخطاب في جيش الى العراق ، فلما قفلا مرا على ابي موسى الاشعري، وهو امير البصرة ، فرحب بهما وسهل ، ثم قال لو اقدر لكما على امر انفعكما به لفعلت ، ثم قال بلى : ههنا مال من مال الله اريد ان ابعث به الى امير المومنين فأسلفكماه فتبتاعان به متاعا من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة فتؤديان راس المال الى امير المومنين ، ويكون الربح لكما ، فقالا ، وددنا ذلك ففعل وكتب الى عمر بن الخطاب ان يأخذ منهما المال ، فلما قدما باعا فاربحا ، فلما دفعا ذلك الى عمر قال: اكل الجيش اسلفه مثل ما اسلفكما؟ .. قالا : لا ، فقال عمر : ابنا امير المومنين فاسلفكما ؟ اديا المال وربحه ، .. فأما عبد الله فسكت ، واما عبيد الله فقال : ما ينبغي لك يا امير المومنين هذا . لو نقص هذا المال او هلك ضمناه ، فقال عمر : ادياه ، فسكت عبد الله وراجعه عبيد الله ، فقال رجل من جلساء عمر : يا امير المومنين لو جعلته قراضا ، فقال عمر ، قد جعلته قراضا ، فاخذ عمر راس المال ونصف ربحه ، واخذ عبد الله وعبيد الله ابنا عمر نصف ربح المال هـ) .

والغرض من الالمام بهذا الموضوع هو توجيه الشباب الى هذه الصفحات البيضاء من تاريخ العدالة الاسلامية .

وفي الوقت نفسه لفت نظر ولاة امورنا ، الى لزوم تنظيم التفتيش النزيه في مختلف الجهازات والمرافق الحيوية في البلاد حتى يجعل حد للدعايات القائمة بشدة الحاجة الى التطهير ، لان البحث النزيه يفتح باب العدالة لعقاب المسيء ، ويكف النفوس عن التوجه الى الفساد.. فتنتظم الامور على اساس الحق والعدل ، والعدل اساس الملك ، واساس العمران ، والله ولي التوفيق .

التلقائية في انتشار الاسلام

بقلم الاستاذ
رشيد نجار

عرف الاسلام في القرون الوسطى ، وطوال عصور الحضارة الاسلامية ، حركة انتشار وتوسع ذات طابع تلقائي محض ، فالمعروف ان حركات الغزو الاسلامي في آسيا وافريقيا قد توقفت منذ القرن الثاني تقريبا ، وكانت الدولة الاموية على عهد قادتها العسكريين العظام مثل مسلمة بن عبد الملك وموسى بن نصير وغيرهما قد سجلت اعظم الانتصارات في الواجهات الشرقية باسيا حيث بلغ المد الاسلامي الى جهات السند وما وراء النهرين ، اما في الغرب فقد بلغت الطلائع الاسلامية الى اسبانيا وسيطرت على الساحل الافريقي حتى المحيط الاطلسي .

وهكذا توقفت الجهود العربيه في فتح العالم القديم عند هذه الحدود، ولاشك ان الصحراء الافريقية التي كانت عائقا كبيرا للمواصلات آنذاك قد حالت دون مواصلة الزحف الاسلامي الى الجنوب بينما وقف المحيط الاطلسي من جهة ، والهندي من جهة اخرى عقبة دون ذلك الامتداد ايضا .

ومن الممكن ان يعد القرن الثاني والثالث للهجرة عهد صراع بين الدولة الاسلامية وبين المسيحية أي ضد الامبراطورية البيزنطية في الشرق ، وضد اسبانيا المسيحية في الغرب وظل ذلك الصراع محدودا في هاتين المنطقتين فترة طويلة تطورت خلالها المعارك حتى ظهرت الحملات الصليبية وما اتت به من كوارث على المسلمين الى جانب ما حققوه من انتصارات ، لكن هذا الصراع قد انتهى بالنصر الحاسم الذي احرزه بنو عثمان في آسيا الصغرى ، بينما كانت المسيحية قد سجلت انتصارها الكبير في الاندلس ضد الاسلام في الغرب على اثر تخاذل المسلمين هناك ، فافل نجم الحضارة الاسلامية الغربية التي بلغت أوج عظمتها ولمعت لاخر مرة في القرن الثامن الهجري ، وهكذا لم يكتب للاسلام ان يحقق حلما جميلا . كان من الممكن ان يسيطر تماما على بحيرة الابيض المتوسط ، ذلك الحلم هو تحقيق الاتصال بين طرفي الاسلام في الشرق والغرب عن طريق اوربا .

لكن العجيب حقا ، هو ان الاسلام قد حقق معجزة اخرى بدون سيف ، هي اعظم مما عجز عن تحقيقه بواسطة الحروب والغزوات ، ذلك ان الصحراء الافريقية وصحراء آسيا والمحيط الهندي نفسه ، قد وقفت امام الزحف الاسلامي حقا ، ولكن ذلك كان الى حين ، فالذي حدث هو ان المسلمين قد اخذوا يجوبون الاقطار النائية في آسيا وافريقيا باحثين عن مصادر الثروة والغنى بطريق المتاجرة ، وهذه ظاهرة اجتماعية كانت تتكرر في كثير من مراحل تاريخ العالم القديم ، فكلما نهض شعب وبنى صرح حضارة شامخة الا ونشطت حركة المغامرة في ابنائه ، تلك المغامرة التي تدفع بهم الى الهجرة والارتحال في سبيل المتاجرة ، فهذا ما كان من امر الاسبان مثلا اثر ازدهار حضارتهم في بداية النهضة الاوربية ، وهم وان كان هدفهم البحث عن الذهب في مناجمه العظيمة بالعالم الجديد الذي اكتشفوه ، الا انهم كانوا على كل حال طالبي ثروة عن طريق الارتحال .

لكن المهم في رحلات المسلمين ليس هو الثروة ، بل لقد أصبحت رحلاتهم هذه حركة انتشار واسعة النطاق للاسلام بكيفية تلقائية ، فهذا الدين الحنيف لم يعرف ابدا اسلوبا من اساليب الدعاية او التبشير الذي اتخذته المسيحية منهجا ، انما انتقال الاسلام الى المحيط الهندي ، والى المحيط الهادي كان تسربا هادئا سليما ، كان الناس هنالك يتلقونه عن رغبة واقتناع بمجرد الاتصال بالقادمين اليهم من تجار المسلمين ، والذي لاشك فيه هو ان اولئك التجار لم يكونوا يعيشون في بلاد الغربة عيشة عادية ، بل كانوا يعتزون اشد الاعتزاز بهذه العقيدة ويمارسون

الشعائر الدينية كما امر الله بها ، ولا شك ان اعظم ما تركه المسلمون من اثر فى تلك الاوساط الشرقية المتعطشة الى اشباع العاطفة الدينية هو اسلوب المعاملات ، وطريقة حل المعضلات والمشاكل التي تعرض لهم سواء فى الميدان الاقتصادي ام فى النواحي الاجتماعية الاخرى ، ومن هنا يمكن ان نلخص العوامل الهامة فى جلب قلوب الجماعات الافريقية والاسيوية الى الدين الاسلامي فى عاملين اساسيين :

— اولهما هو متانة الاسس الاخلاقية والقيم الاجتماعية للدين الاسلامي .

— وثانيهما هواهمية الناحية التطبيقية او العملية فى الاسلام وهذا لا يتم بلا شك الا اذا صحبه حرص كبير من المستوطنين القادمين من مختلف الاطراف الاسلامية على ممارسة ما يامر به الدين .

بالاضافة الى ذلك كله ، لابد من ملاحظة الاستعداد الكبير الذي كان يتمتع به كل من المهاجرين فى تعرفهم على لغة الاهالي من جهة ، ومهارة الاهالي انفسهم فى سرعة تلقي الدين الجديد من جهة اخرى.

وهكذا يمكن ان ننظر الى هذا الامر من جميع وجوهه فنجد ان العامل البشري هو مفتاح المشكلة ، ولاشك ان انتشار دين معين على هذا الاسلوب التلقائي امر لا يدع مجالا للشك فى رقي تلك الجماعات البشرية التي تلقته عن طوع وطيب نفس ، ومع ما يتوفر عليه الاسلام من بساطة ويسر فى الشعائر والمراسيم ، الا انه لا ينكر ان الشعوب الاسلامية غير العربية قد اكتفت بشيء من السطحية فى تفهم الاسلام لان الخلافات الدينية التي نشات وتشعبت مع مر الزمن وتطويع الاحداث قد ادت الى صعوبة فى التعرف على الاسس الهامة فى الاسلام بالنسبة الى الاجانب عن العربية ، ومع ذلك فان الذي لا شك فيه هو ان ملايين عديدة قد دخلت فى هذا الدين وهو الامر الذي لا يدع شكا ايضا فى قدرته على مقاومة عوامل الضعف، وتوفره على قابلية هامة على الاقناع بشكل طبيعي ، وعلى اشباع النفس الانسانية روحيا .

ان السمو الكامن فى الدين الاسلامي بصفائه ووضوحه ، وبساطته ، وديموقراطيته ، ليقابله سمو فى المجموعات البشرية الهائلة التي هرعت الى التمسك به ، واذا كانت الحضارات اساسا لا تقوم الا على العامل البشري فى الدرجة الاولى ثم تاتي العوامل الطبيعية الاخرى بعد ذلك، فان هذا الامر ينطبق تماما على الاسلام ، الذي طغى على ارادة الاسيويين والافارقة وانتصر ايضا على الارادة الهدامة للمبشرين المسيحيين الذين انتشروا فى جميع اقطار الارض ، ولا سيما الاراضي البكر التي افتحتها الدول الاوربية الاستعمارية منذ القرن الثامن عشر الميلادي .

وبواسطة ذلك السمو فى الاسلام ، وتلك الروح الطيبة الصافية التي وجدتها فى العنصر البشري باقطار افريقيا واسيا ، استطاع ان يضم الى جانبه اربعمائة مليون نسمة لا يتجاوز الناطقون بالعربية منهم نحو السبعين مليونا ، وعندما عقد اول مؤتمر للشباب المسلم منذ سنوات مضت ، كانت الوفود الاسلامية تتقاطر من جميع نواحي المعمورة ، وهنالك فقط ظهرت لنا اقليات اسلامية هامة فى بلاد عديدة لم يكن احد يتصور وجودها ولا مدى اهميتها ، مثلا هنالك اقليات اسلامية تعد بالملايين فى الفلبين ، وسيام ، وسيلان وجنوب افريقيا وشرقها وغربها، بل هناك اقليات ايضا فى جزر الترينداد بامريكا الوسطى ، الى جانب الجماعات الكبيرة فى الدول الاسلامية مثل جزر الهند الشرقية (اندونيسيا) والملايو والصين وروسيا ونيجريا التي تعد من اكبر دول افريقية من حيث عدد السكان .

فهذه الاقطار العديدة من مراكز الاسلام ، لم تشهد كلها حركات الدفع من غزوات وفتوح ، ولا شهدت كلها انواع الصراع الذي شهدته اقطار حوض البحر الابيض المتوسط ووسط آسيا فى العهود الاولى لانتشار الاسلام ، لقد كان اسلامها تلقائيا فى غالب امره كان استجابة لميل ديني عريق بالنسبة الشعوب الشرقية .

لكن ما هي مميزات المرحلة الحاضرة من روح التلقائية هذه بالنسبة لانتشار الاسلام؟ ما هي متطلبات الدعوة الاسلامية فى عصرنا الحاضر لكي تواصل سيرها المعتاد ؟ ثم هل الاسلام لا يزال فى امكانه ان ينتشر تلقائيا ؟ ام تراه توقف بعض الشيء ؟ .

هنا يجب ان ننظر ، لنتلقى الجواب الصحيح بقدر الامكان ، الى العراقيل التي واجهتها الدعوة الاسلامية سواء فى داخل الاقطار الاسلامية ام خارجها ، وقبل ذلك نذكر ان عالما مسلما من المهتمين بهذه الشؤون قد اكد منذ ست سنوات بان الاحصائيات توضح حقيقة هامة وهي ان الاسلام قد عرف فى مجاهل افريقيا على الخصوص توقفا فى انتشاره ، وان اسباب ذلك يرجع بدون ادنى ريب الى ان الحركات المسيحية التبشيرية قد نجحت الى حد بعيد فى تحويل اتجاه عدد غفير من الافارقة الى المسيحية ؛ وهذا سبب مباشر فى توقف الاسلام او فى ضعف حركة انتشاره ، الا ان هذا الامر يعد فى الواقع من اهم اهداف المسيحية منذ اقدم العصور الاسلامية اي منذ ان دخلت فى صراعها ضد الاسلام ، ولقد ادى هذا الصراع نفسه الى السيطرة على العالم الاسلامي من طرف المسيحية منذ منتصف القرن الثامن عشر

بعد احتلال الهند واندونيسيا ثم الجزائر وبقية الاقطار العربية ، ويطول الامر ان نحن عالجنا الاسباب التي ادت الى ضعف المسلمين حتى سقطوا قطراقطرا تحت نير الاستعمار المسيحي ، ولكن الوضعية الراهنة هي ان الاسلام قد استطاع ان يستعيد حريته واستقلاله فاصبح قوة هامة يحسب لها حسابها .

فهل معنى ذلك ان الدعوة الاسلامية قد استعادت روح التلقائية في التوسع ومقاومة العراقيل والتبشير ؟ ، وبالاحرى هل استعاد الاسلام قوته المنشودة ؟ الواقع ان المسلمين اصبحو اليوم قوة ، ولكنها ليست قوة روحية متماسكة كما كان يتمناها قادة الفكر والاصلاح في اواخر القرن الماضي من امثال السيد جمال الدين الافغاني وتلاميذه من بعده : ان العالم الاسلامي اليوم قوة مادية ، ولكن التجاوب فيما بين اجزائه لم يبلغ الهدف المرغوب فيه ، ويوم تصل الى ذلك المستوى يمكن القول عند ذاك ان الاسلام قد استعاد قوته الروحية ، اي انه سيجد صلابته وقابليته للانتشار التلقائي من جديد .

ان المشكلة بالنسبة لهذا الدين هو انه لا يستسيغ ابدا الافتعال في الدعوة اليه ، ومن ثم لا يقبل حركة التبشير بهذا الاسلوب المسيحي ، ذلك ان المبدا الاساسي واضح جلي ، انه يدعو الى ترك المجال فسيحا وحرا في العلاقة بين العبد وربه ، ولا يتدخل الانسان الا لشرح ما غمض على العباد من امور دينهم لا غير ، اما الوسائط فلا وجود لها ، ولذلك لا يتطلب منا ديننا فقط الوقوف في وجه الحركات التبشيرية التي أصبحت تتجرا اكثر من اللازم ، بل يدعونا ايضا الى مد يد المساعدة الى اخواننا الذين لا يعرفون العربية ، ومعنى ذلك ان واجبنا يدعونا الى مجاراة التطور والاخذ من الحضارة بنصيب وافر ، فتتعلم بعثاتنا الى الاقطار الاسلامية اللغات الاجنبية وتكون المثل الاعلى في الاخلاق والمحافظة على القيم الاسلامية لانها ستكون السفارات الدائمة او المؤقتة للاسلام في عصر الحضارة المادية الطاغية ، انني شخصيا قد وجدت منذ اسابيع مضت نسخة من انجيل لوقا في صندوق بريدي ، مطبوعا طبعا جيدا ، وكانت دهشتي اعظم عندما عرفت ان جميع اصدقائي تلقوا نفس الهدية صباح ذلك اليوم .

على ان هذا الامر ، وان كانت له دلالته العميقة في بلد مسلم وعربي مائة بالمائة ، فانه في الواقع يدل على ان هناك تخبطا في مناهج هذه المدارس التبشيرية ، لكن هذا لا يدعونا الى التقليل من خطر تلك الحركات في الاقطار الاخرى . فالمعروف ان الاقليات المسلمة في اقطار عديدة ، اسيوية او افريقية ، لاتفتأ تتطلع الى اليوم الذي ستتلقى فيه يد المساعدة من الاقطار الاسلامية المستقلة ، والعربية منها على الخصوص لتتفهم دينها وتستعين بذلك على تثقيف ابنائها الذين لا يذهبون الى المدارس الرسمية ، لانهم لا يجدون دروس الدين او يجدون اديانا اخرى لا يريدونها ، ان الاباء ، بالنسبة للاقليات المسلمة ، كآبائنا المحافظين على دينهم وقوميتهم ايام عهد الاستعمار البغيض ، كانوا يخشون من المدرسة المسيحية او اللادينية ، فكانوا يرضون بالجهل والحرمان من الوظيفة ، والابتعاد عن المشاركة في الحياة العامة او تسيير شؤون الدولة ، بسبب من تلك المحافظة او حرصا على قوميتهم ودينهم .

لقد كان المسلمون في عدد كبير من الاقطار ، يكافحون الى عهد قريب في سبيل تحرير الوطن الاسلامي ، ويمكن القول بان جانبا كبيرا من هذا الهدف قد تحقق ، فهل من الممكن بهذا فقط ان نحقق الهدفين في نفس الوقت ـ هدف تجديد الاسلام وابلاغ اصوله ومغزاه الى نفس المسلمين الذين لا يدركون منه غير الاشياء السطحية ـ . ثم اعادة الثقة الى الدعوة الاسلامية ، او اعادة قدرتها على قهر جميع الحركات المعادية لها ، واذا كان هذا الدين قد غزا قلوب مآت الملايين بكيفية تلقائية بحتة ، فانه بلا شك لم يفقد هذه القدرة على الاقناع واشباع الميول الانسانية الفطرية الى الاعتقاد والتدين .

انما الواجب هو ان نلتزم ، نحن الذين يمكن ان نكون قدوة اسلامية حقيقة ، بالسير حسب المبادىء والقيم الاسلامية في جميع الميادين ، واذا كانت الابعاد والمسافات قد طويت الان بفعل المواصلات ، فاننا نستطيع ان نفيد عددا ضخما من البشر في هذا المجال ، لكن فقط قدوة حسنة لهم ، كما كان المسلمون الاوائل ففي امكاننا اليوم ان نسافر ونتحدث ونشرح ونلبي طلبات الاخوة في كل مكان ، وبذلك فقط يمكن ان نخلق هذا التجاوب الروحي بين اجزاء العالم الاسلامي ونخلق الفرص للدعوة لكي تنطلق وتغزو الافاق .

موقف الإسلام من الربا

للأستاذ موساوي زروق

تحريم الربا :

الواقع ان الاديان السماوية جميعا حرمت الربا وحاربته وان اختلفت فى التشديد والتخفيف والتعميم والتخصيص فاليهودية مثلا لا تحرم الاعمال الربوية الا بين اتباعها ومعتنقيها من الاسرائليين كما جاء فى الاصحاح الثالث والعشرين ، اما غير الاسرائلي فيجوز لليهودي ان يرابيهم وهو تحريم جزئي خاص لا يستهدف مصلحة الانسانية جميعا .. اما المسيحية فقد حرمت الربا تحريما عاما شاملا لا يقتصر على اتباعها فقط ولكن لم توضح انواعه التي تحرم ولم تفصل حقيقة الربا الذي يمنع ، وانما اكتفت بالتعميم ومشت الكنيسة باقسامها على ذلك تمنع ما تشاء الى ان جاء المصلح لوثر مؤسس المذهب البروتستانتي فوجد الكنيسة غارقة فى المعاملات الربوية ، متسامحة مع المرابين الذين اشتروا رضا الكنيسة باموالهم وارباحهم، فثار لوثر على هذه التصرفات ، وكانت ثورته عنيفة ، فحرم جميع المعاملات التي تشم فيها رائحة الاستغلال او الغش من قريب او بعيد ، وشدد على الربا ، وطعن فى هذه الثروات التي تجمع باسم التجارة وما هي فى حقيقتها الا نتيجة للاعمال الربوية التي نها عنها الرب جل جلاله ، وقد كان لوثر فى فهمه وتجديده وثورته يساير الروح الحقيقية الصافية للمسيحية ويستمد مبادئه وآرآءه من الاسلام الذي جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل .. واذا فالاسلام لم يحرم الربا وحده وانما كان فى تحريمه شديدا قويا صريحا لا يرى فى المرابي الا رجلا فاقدا لانسانيته محاربا لله ورسوله ولا ينظر للربا الا انه وسيلة للاثراء على حساب الآخرين ، واستغلال لضعف المحتاجين ، وطريق لتضخيم رؤوس الاموال من غير جهد .. وقد جاء الاسلام فوجد المجتمع العربي يلاقي من المرابين انواعا من الظلم وضروبا من الذل فوقف بجانب اولئك المستضعفين ، واعلنها حربا على الاستغلال وحرم الربا تحريما لا تساهل فيه . « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » . وهناك قسمان من الربا : ربا النسيئة وربا الفضل وسنتكلم عليهما بتفصيل لنعلم حكم الاسلام فيهما :

1 — ربا الجاهلية :

المعروف فى الجاهلية هو ربا النسيئة — اخرني وازيدك — وصورة ذلك انهم كانوا يقرضون الى اجل، فاذا حل الاجل ولم يقض المدين زادوه فى الاجل مقابل تضعيف الدين نقودا او انعاما ، ويروي ابن حجر فى الزواجر ان ربا الجاهلية كان بالشهور ، اي ان صاحب المال كان يقرض المحتاج قدرا الى زمن معين على ان ياخذ قدرا معينا وراس المال باق ، فاذا حل الاجل ولم يقض زاده فى الاجل مقابل زيادة فى الحق الشهري .. ولكننا نجد ابن جرير الطبري يصف لنا ربا الجاهلية فى تفسير قوله تعالى : « يايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة » ، فيقول : كان اكلهم ذلك فى جاهليتهم ان الرجل منهم كان له على الرجل مال الى اجل ، فاذا حل الاجل طلبه من صاحبه فيقول الذي عليه المال : اخر عني وازيدك على مالك فيفعلان ذلك ، ثم يقول فذلك هو الربا اضعافا مضاعفة فنهاهم الله عز وجل فى اسلامهم عنه .. وقد روى ابن زيد عن ابيه الصحابي الجليل صورة واضحة للتضعيف الذي تعارف عليه المرابون فى الجاهلية اذ يقول انما كان الربا فى الجاهلية فى التضعيف فى السن وفصل ذلك وفى العين والنقود ثم شرح ذلك فقال : يأتيه اي صاحب المال فان لم يكن عنده اضعفه فى العام القابل ، فان لم يكن عنده اضعفه ايضا فتكون مئة فيجعلها لقابل مائتين فان لم يكن جعلها اربعمائة يضعفها كل سنة او يقضيه .. وبناء على الروايتين

فان الربا في الجاهلية كان بعد حلول الاجل وعجز المدين ، وان المتعارف عندهم من الربا هو الربا الفاحش ، والمعروف بالربا المركب الذي لا يقره اي قانون في الدنيا ولا ترضاه شريعة ولا دين ، وذلك ما رواه ابن جرير ومجاهد وعطاء وزيد ، واستنادا على هذه الروايات نجد الامام محمد عبده يقول ايضا في تفسيره ان الثابت من السلف في تصوير الربا كله في اقتضاء الدين بعد حلول الاجل ولا شيء منه في العقد الاول ، كان يعطيه المائة بمائة وعشرة او اكثر او اقل ، ذلك راي الامام وان كانت اية البقرة تنص على ان ما زاد على راس المال فهو ربا (فان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وانه لمن الظلم الكبير ان تستغل حاجة المحتاج فنفرض عليه عشرين في المائة مثلا في العقد الاول ثم لا نرى في ذلك حرجا ولا اثما ولا اربا ، بل هو الربا بعينه يحرم بنفس السبب والعلة التي حرم بها الربا الجاهلي ..

ومما تقدم نعلم ان الربا المحرم قطعا ومن غير شك هو هذا الربا المتعارف لدى الجاهلية والذي وصفه الامام احمد بن حنبل حين سئل عن الربا الذي لا يشك فيه فاجاب : هو ان يكون له دين فيقول له اتقضي ام تربي ؟ فان لم يقض زاده في المال وزاده في الاجل .

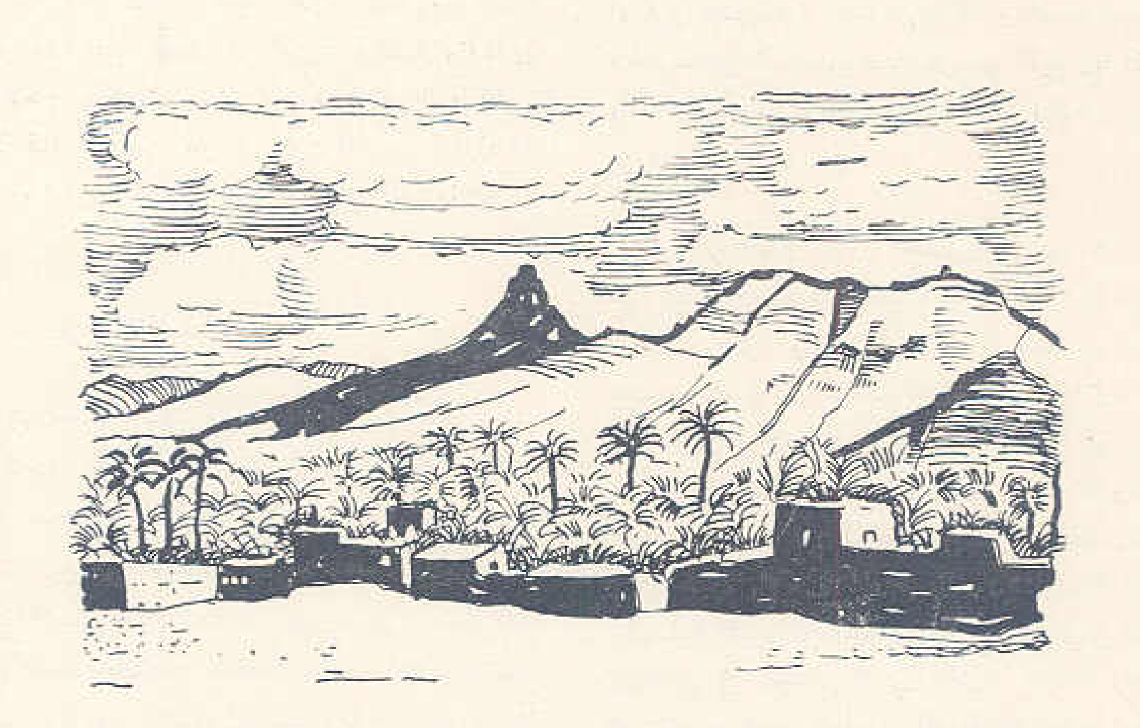
2 — ربا الفضل :

وهو القسم الثاني من الربا وقد استحدث بعد مجيء الاسلام وصفته ان يبيع الرجل جنسا بجنس مثله مع تفاضل ، والاساس الذي بني عليه تحريم هذا النوع من الربا عند من يحرمه وهم الاغلبية من مشرعي الاسلام هو الحديث المروي عن رسول الله (ص) « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا سواء بسواء يدا بيد فان اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ان كان يدا بيد » . وهناك من الصحابة رضوان الله عليهم من احله وعلى راسهم ابن العباس وابن عمر وأسامة وتبعهم ابن القيم الذي قسم الربا الى نوعين : ربا جليا ظاهرا وهو ربا الجاهلية ، وقد حرمه الاسلام قصدا ولا يمكن لاحد ان يحله ، وهناك ربا الفضل وقد حرم سدا للذرائع ، فهو ربا خفي لم يحرمه الشرع قصدا ولكن حرمه خوفا من ان يؤدي بالناس الى الربا المحرم ، ويستند في قوله الى احاديث صحيحة عن رسول الله (ص) منها ما رواه ابو سعيد الخدري عن الرسول الاكرم « لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فاني اخاف عليكم الرماء اي الرباء » ومنها الحديث الذي رواه ابن جرير والبيهقي عن ابن عمر : لا تبيعوا الذهب بالذهب الا مثلا بمثل ولا تبيعوا الورق بالورق الا مثلا بمثل سواء بسواء ولا تشقوا بعضه على بعض اني اخشى عليكم الرماء، وفي رواية اني اخاف عليكم الرماء.. فالاحاديث صريحة اذا في علة تحريم رباالفضل وهي اتقاد الحرام، كما ان هناك من الاحاديث ما يحصر الربا في ربا الجاهلية فقط كقوله (ص) فيما رواه الصحيحان ، انما الربا في النسيئة ، وبناء على ذلك وتحقيقا للمصلحة وتخفيفا على المسلمين فقد احل ابن القيم ربا الفضل وتبعه على ذلك الامام محمد عبده ، والمراغي وكثير من علماء المسلمين ..

ولكن اعتقد ان ربا الفضل الذي حرمه الاسلام انما حرمه قصدا ولا يمكن لاحد ان يحله لما فيه من اجحاف وظلم ، وهل يمكن لاحد ان يشتري جنسا بجنس مثله لا يختلف عن الاول لا جودة ولا قيمة ، زيادة على الا ان يكون مضطرا او سفيها ويكون البيع عندئذ زائفا تستر به للوصول الى الربا والاثراء على حساب الغير ويكون التحريم فيما اعتقدمقصودا لذاته في ربا الفضل لانه تدخل من الشارع لحماية المضطر والسفيه اللذين لا يصح منهما بيع .. واما ان كان التفاضل في الجنس الذي تتفاوت انواعه وتختلف اصنافه من حيث الجودة والقيمة فلا تحريم مطلقا من التفاضل بينهما لقوله (ص) فان اختلفت الاصناف فبيعوا كيف شئتم ؛ ولانه لا يعقل ان تحمل الناس على امر لا يعقل فندفعهم الى التحايل والا فكيف يجوز ان

نمنع التفاضل فى الثمر بالثمر مع اختلافه جودة وقيمة ونحن نشاهد فى الاسواق اختلافا عظيما بين انواعه ، فبينما تجد نوعا يباع بثلاثمائة درهم للقنطار تجد الآخر يباع بمائة درهم للقنطار ولا يمكن ان تساوي بين النوعين وما اظن الحديث الشريف يعني مطلق الجنس ولو اختلفت انواعه ..

وبعد فالربا المحرم باتفاق العلماء والمذاهب هو ربا الجاهلية المعروف بربا النسيئة اخرني فى الاجل ازدك فى الثمن ، واغلب الروايات على ان الزيادة كانت بتخفيف راس المال لا مطلق الزيادة ، اما ربا الفضل فقد علمنا انه حرم سدا للذرائع وخوفا من الوقوع فى الربا وان هناك من العلماء من احله للمصلحة، ولكن روح الاسلام تجعلنا نؤمن ان التفاضل فى الجنس المتفق جودة ونوعا وقيمة لا يمكن ان يجيزه الاسلام لانه تحليل باسم البيع لاستغلال المضطر او السفيه ، اما ان اختلفت اصناف وانواع الجنس الواحد فالتفاضل جائز لا للمصلحة فقط ولكن بصريح لفظ الحديث .. بقيت لنا مشكلة البنوك والمصارف ورأى الاسلام فى معاملاتها الربوية وذلك ما سنعالجه فى العدد القادم ان شاء الله .



الدعوة الاسلامية علم وفن

للأستاذ
جمال بغدادي القاري

ان الانسان حينما يعالج المادة لا يطلب منه عادة الا اتقان المتعلقات الخاصة بتركيب وتاليف هذه المادة ، كالميكانيكي حينما يصلح عطبا فى جهاز المحرك ، او المحلل الكيماوي وهو يؤلف بين العناصر لاخراج محلول جديد وهكذا فى كل شؤون الميادين الصناعية والالية لا ترى الخبرة تتعدى المظهر الخارجي لها .

وهذه المعرفة تتعقد قليلا حينما تنتقل من دائرة الماديات الى مجال النفس والانسان لان المعرفة هنا تتطلب العلم ثم الاستبصار ، اي ذلك الادراك الخفى الذي يدفعنا الى الاعماق الى استكناه خفي الاحاسيس، واغوار الشعور وصميم العقل؛ فالمعرفة لم تعد مرتبطة بالمعرفة الآنية بل وجب ربط التجربة الماضية والحياة السالفة بالحاضر وبالمستقبل حتى نستخرج النفس من حصنها المنيع ، والمحلل النفساني يدرك هذه الصعوبات الجمة وهو يعالج الاضطرابات العقلية والنفوس العليلة .

غير ان المعرفة السابقة تصل الى منتهى التعقيد حينما يصبح الامر يتعلق بالمجتمع — وهو حاصل جميع الافراد — ومعرفة الناس تتطلب استعدادا خاصا وتكوينا علميا عميقا لا سبيل الى التقصير فيهما حتى يكون اتصال العالم الاجتماعي بمجتمعه وبجمهوره اتصالا مجديا عميقا ، مؤثرا ، والاتصال بالناس يتطلب التدريب النفسي الخاص حتى تنقاد الجماهير وتنفعل لما يقال ،و تنصاع للاوامر والنواهي ؛ والدعوة الاسلامية تتسم بهذا الطابع الاجتماعي لانها اتصال دائم بالناس وسعي مستمر لصرف الافراد والجماعات نحو المسلك الخلقي القويم ، ولذلك امكن اعتبارها من اصعب المهن وابعدها طواعية للداعي الغافل عن سنن المجتمع .

كانت الدعوة الاسلامية فى عصورها الذهبية ذات مفعول واثر باق ولعل السبب يعود الى بساطة الحياة فى ذلك الحين ، وعيش الناس فى كنف الدولة القوية المشرفة على سلامة الاجهزة الثقافية وتماثل الطابع العام للبلاد والعقول، حيث ان الاتصال بالشعوب الاخرى كان محدودا لا كما هو اليوم فى عصر السرعة والمواصلات البرية والجوية والبحرية التي تنقل مع السيارة والفسالة والتليفزيون المذاهب التحررية فى الادب والفن والاخلاق ، ثم ان الحياة الديموقراطية المعاصرة جعلت شريعة التنافس الفكري الحر على اشدها ، وهذا الصراع قوى الوسائل وهذب اجهزة الدعاية واصبحت المجلة والكتاب والفيلم وغيرها تخدم جميعا فلسفة خاصة هي التحرر والتمرد والانانية المذهبية ، ونحن معشر المسلمين ماذا فعلنا لنقابل هذا التيار الجارف ، وهل تفهمنا منطق العصر ؟ ان الخطب التي تقال عندنا والكلام ، الذي يردد فى كل حين ليعكس البعد الشديد عن المنهج السليم .

ولذلك اصبح من المحتوم البناء من جديد والتدريب الجذري ، وتاهيل الرجال الاكفاء الذين يحملون الرسالة عالية مشرقة .

وباختصار نحن فى حاجة الى ركائز اساسية لابد منها اذا اردنا البقاء الفعال للدعوة الاسلامية سالمة من الشوائب والعراقيل التي تصد انطلاق الفكر الاسلامي الحي وتجعله يدور فى حلقة جامدة مفرغة

واريد هنا الاشارة الى جانبين اساسيين فى تدريب الداعي المنشود وهما جانب علمي وآخر فني .

الجانب العلمي للدعوة :

لا سبيل من جعل القاعدة الاولى فى هذا الاعتبار تعود الى الثقافة الاسلامية المحض ، وقد دخل

العقيدة كثير من الشوائب والخرافات والاساطير جاءتنا من الجهل والافساد المقصود والتحريف السافر خدمة لاغراض حزبية او شخصية او طائفية ، وهذه العوامل فعلت فعلتها منذ اقدم العصور حتى اصبحت لنا تركة ضخمة مما حرف وبدل من خالص العقيدة ، ولذلك وجب الرجوع الى المعين الصافي والمصدر الاول وهو القرءان ثم ما صح من حديث الرسول كنقطة انطلاق لا نحيد عنهما ولا نبتغي تعليلا وتوضيحا آخر يكون البرهان الفصل والحجة القاطعة دونهما ، وما نلتمسه من سبل اخرى يكون سديدا ما دام يتماشى مع القرءان والمسطرة الاولى كالتمعن في سير « الصالحين المصلحين » وكانتهاج سبيل المفكرين الذين اقتبسوا من روح القرءان والرسول سديد الرأي ومصفى العقيدة ، والتاريخ الاسلامي زاخر بالاسماء اللامعة التي تركت اثرا خالدا في دنيا العلم والفكر ، فالنماذج الحية لا تنقصنا وهي باقية ما بقي هذا الدين الحنيف ، غير ان الثقافة الاسلامية لم تعد كافية في مجتمعنا المعقد المختلط الذي اتصف بطابع العلم المادي والتسابق في العلوم الكونية ، واصبحنا لا نغفر للداعي المسلم جهل حقائق مكتشفات العصر ، ويجب ان نعلم ان العلوم هي نتائج الاجتهاد المستمر ، وبما ان الاسلام يدعو للتعلم والتنور العقلي فمن الواجب الديني ان نكون على بينة من بيئتنا القريبة والبعيدة .

والعلم حيادي بطبيعته لا يتصف بالصلاح او الفساد ما لم ندخل فيه ارادتنا الفاعلة وسلطتنا البشرية ، وطبيعة الاسلام الخيرة توجهه بعد ذلك نحو مسالك السلام ومنافع الناس ، وقد اهتم الجامع الازهر بتدريس كافة العلوم لطلاب الدعوة الاسلامية الذين يدربون تدريبا خاصا يؤهلهم لهذه الدعوة تجاه المشاكل التي يعيشها الناس في المجتمع الاسلامي وغيره .

ان اعداد الداعي الاسلامي للتعريف بالاسلام وحقائقه الخالدة لا ينبغي ان يكون قاصرا على مجتمعنا المؤمن فقط ، بل ان الهدف الرئيسي هو حمل هذه الرسالة من جديد الى الافاق البعيدة والامم المخالفة لعقيدتنا الجاهلة لمضمون الاسلام ، والعالم الغربي في حاجة ماسة الى فلسفة رشيدة تقوم مقام مذاهبه التي افلست حقا ، ولم تقدم للانسان الا الويل والدمار ، ان الناس هنالك في تطلع دائم الى ما يسد هذا النقص لانهم اشقياء النفوس ، واقرب الى الحياة الحيوانية الغريزية منهم الى المستوى الانساني الرفيع ، وهم على قدر انتصاراتهم في دنيا الماديات على قدر ما اسفوا في الفلسفات الانسانية ، واصبحوا اقرب الى الجنون والاضطرابات العقلية المدمنة والحسرة القاضية والقلق الشديد ، وهذه الحقائق يعرفها جيدا خبراء النفوس والمحللون النفسانيون يقتبلون في عياداتهم مئات الحالات المرضية كل يوم ، ولذلك يؤكد العلماء المسلمون الذين طافوا بهذه البلاد الغربية واتصلوا بافرادها ان هذه الظروف القلقة هي احسن جو ملائم لاستقبال نظام عقائدي جديد ، ولذلك يتدخل اعتبار آخر في هذا المجال بالاضافة الى التزود بالثقافة الاسلامية وبالعلوم وهو اتقان اللغات والتدرب على تعلم الالسن الحية التي بها نغزو العقول الثائية التي لم يصلها شيء يذكر من حقائق الدعوة الاسلامية ، فاللغات وسائل لابد منها في الافهام والتفهيم والداعي الحقيقي هو الذي يخدم الاسلام في الميادين البكر التي لم تؤمن بعد ولم يصلها البلاغ .

الجانب الفني للدعوة :

وبهذا التكوين العلمي التام يخرج الداعي الاسلامي الى عمله الحقيقي وهنا يدخل الاعتبار الفني في حسن معالجة مشاكل الناس اعتمادا على هذا التدريب وحسن التوفيق بين الثقافة الاسلامية ومعضلات الحياة الاجتماعية ، وهذا التأهيل يتطلب الاستعداد الخاص والقدرة الحكيمة على تقديم الحل الاسلامي الموفق للازمات الحالية الدائمة في كل الميادين .

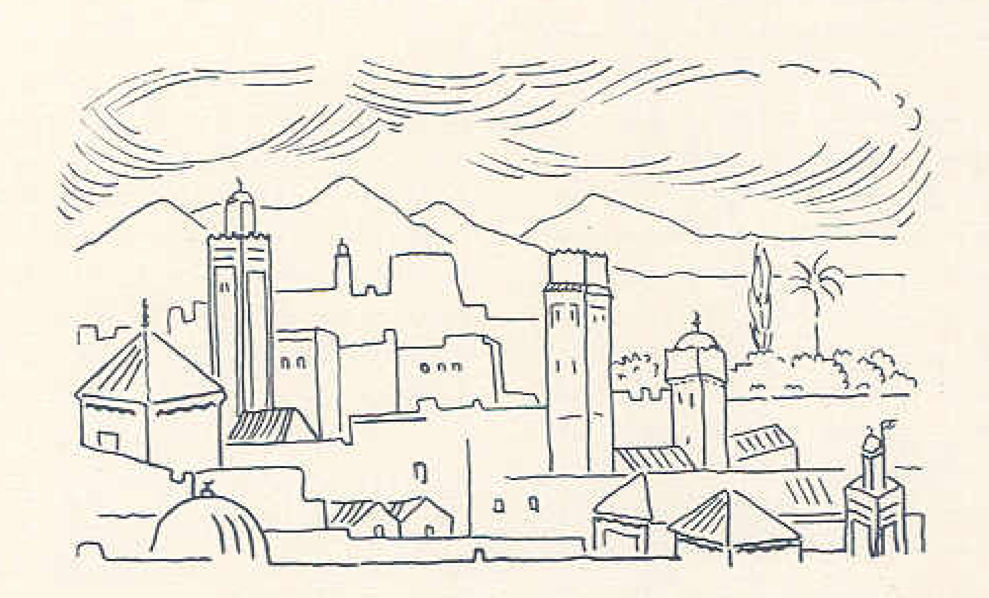
ان المجتمع الاسلامي الحديث لا يعرف راي الاسلام في مشاكله اليومية ، والداعي الاسلامي هو الصوت الحي الذي يقدم الحلول والاجوبة الشافية ، مثلا، ما موقف الاسلام من ازمة برلين ومن حرب الكونغو ومن خطب كينيدي وديغول ومن الجامعة العربية ، وما راي الاسلام في حل الاضطرابات المتكررة والازمات الاقتصادية والمشاريع الحاضرة في التعليم والفلاحة والصناعة ، ان فن الدعوة هو الربط الحكيم بين هذه النواحي التي نعيشها كل يوم دون ان نعرف موقف الاسلام الحقيقي منها ، فنحن نرى ان كل اتجاه حزبي او سياسي او طائفي الا وله صحيفة يومية او اسبوعية او شهرية تصدع برايها الخاص في الاحداث الدولية والمحلية ، وكل جريدة الا ولها ميل معين

يميني او يساري او معتدل والمفروض في خطبة الجمعة على الاقل وفي الداعي الاسلامي ان يكون لسان الاسلام والصحيفة الناطقة المدوية لمجريات الحياة والاحداث .

فالطريق القويم للدعوة كامن اذن في حسن الربط بين الاسلام كدين وبين مشاكل الناس المتنوعة .

وهذا الربط ياخذ اعتباره اذا انتبهنا الى الاهمية الكبرى التي اصبحت طريقة كافة المربين الذين ادركوا ان الجانب التطبيقي هو حياة النظريات ، فقد كانت التربية القديمة تعتني بالشؤون النظرية وتقدم المعلومات والاساليب اللفظية البعيدة عن الحياة وعن الواقع الذي نعيشه كل يوم ، وكانت النتيجة ان المدرسة بعدت عن المجتمع واصبح التثقيف فارغ المضمون ، اما التربية الحديثة – كما يقول زعيمها الامريكي « ديوي » فهي الاعداد للحياة ، فالمتخرج من المدرسة الحديثة يجب الا يشعر بالغرابة عندما يصطدم بالوقائع اليومية في بيئته ، بل يجب ان يشعر ان ليس هنالك انقطاع بين المدرسة ومجتمعه ، وهكذا نرى ان الدين ايضا ان بقي مقبورا في المساجد والزوايا فسوف يفقد معناه الحي ؛ وعلى المصلح الاجتماعي المسلم ان يخرج الدين من دائرته المحدودة الى العالم الفسيح فلا يكون كالرجل المريض الذي لا يرى الشمس ، ان الجانب الفني في الدعوة الاسلامية يحتل المكانة القصوى في ترسيخ الدين وتثبيت اركانه ، وعلى المصلح ان يدعو الناس بما يفهمون وفي المشاكل التي يعيشونها .

ان الدعوة الاسلامية لم تعد في عصر النور ادعية وتراتيل وانما اسلوبا حيا يسلط الاضواء الكاشفة على امراضنا وآلامنا فيقدم العلاج المستمد من قبس القرآن ، ويضع اللبنات الاولى للمجتمع الاسلامي المنتظر .





البحث الاول ــ قال تعالى : « انه لقرءان كريم ، فى كتاب مكنون : لا يمسه الا المطهرون » سورة الواقعة الآية : 77ـ78ـ79 .

تحت هذا العنوان نتعرض لعدة آيات من القرءان الكريم بالفحص والتمحيص ، ونعيد النظر فى الوجه او الوجوه التي فسرت به الآية ، لنرى ايها اولى واحق بما اراده الله ويريده فى كتابه العزيز وقد انزله علينا بلسان عربي مبين على اتم جلاء واكمل وضوح لنتدبره احسن تدبر ، ونتفهم معانيه على الوجه الصحيح كي يتسنى لنا ان نقوم باعتقاد ما ما يلزمنا اعتقاده ، واداء ما يطلب منا عمله من آداب واحكام فى الدين والحياة .

وذلك على ضوء ما جاء فى القرءان نفسه باستعراض عموم الاية الواحدة فى المواضيع التي يطرقها القرءان ، وهذا لا يفي ولا يكفي حتى نستوعب جميع ما فى القرءان من الايات الواردة فى مثل ذلك الموضوع ، فان الآيات تكمل بعضها ، وتخصص مطلقها، او تبين مجملها ، وتوضح مشكلها والقرءان يفسر بعضه بعضا فى كثير من الايات ، وذلك احسن الوجوه واولاها بالتقديم ، لانه من كلام الله الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد) .

ثم لابد من عرض آخر على ضوء ما ورد فى السنة الصحيحة وبيان الرسول (ص) المنزل عليه من ربه : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » كما نستأنس بمفاهيم الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ اولئك الذين عاشروا نزول الوحي ، وعرفوا اسباب نزوله ، وحقائق وروده .

وكل هذا ــ وذاك ــ لا يكون الا على اساس قواعد اللغة العربية والاساليب التي تعرفها العرب الذين نزل القرءان بلسانهم ، اذ هم المخاطبون به اولا وبالذات ، فلا يعرف الا بلسانهم ، ولا يفهم الا على ذوقهم جملة وتفصيلا .

ونحن اذ نعتمد على شيء ، فاعتمادنا على هذه الاضواء المنبعثة من العناصر الثلاثة ، وما جاء فيها من دلائل قاطعة ، وبراهين ساطعة ، تنير الاذهان ، وتدفع الشك باليقين ، فيدخل على النفس برد الرضى ، وحلاوة الاطمئنان .

آيات محكمات ، ودلائل بينات ، جلية فى نفسها واضحة فى امرها ودرسها ، وبما يحوطها ويكتنفها من جلاء القصد ، ونصاعة الموضوع .

نضع كل هذا ــ حسبما نتوفق اليه ان شاء الله ــ امام القارىء الكريم وتحت بصره على صفحات هذه المجلة الزاهرة ب « دعوة الحق » وما تنشره من ابحاث دينية قيمة ، وآراء علمية نزيهة ، تنير السبيل ، وتهدي للتي هي اقوم ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والاقناع بالحجة والبرهان على صراط مستقيم ، وفى طريق واضح سليم ، لا مداجاة ولا تخريف ، ولا التواء ولا تحريف ، ان شان من يريد الحق والخير ــ لنفسه وللناس ــ المطالبة بالدليل والمحاكمة اليه اذعانا للحق واعترافا به ، فى جو ملؤه الصفاء وصدق الاخلاص ، وذلك مما يبعد عن المراء والجدل الممقوت ، وقد جاء فى الحديث الشريف : « ما اوتي قوم الجدل الا ضلوا » الجدل على الباطل وطلب المغالبة به .

نعم ان التنازع والجدال امر فطري وهو مركز فى الطباع البشرية لا محيد عنه بحق او باطل ، قال

تعالى « وكان الانسان اكثر شيء جدلا » وقال « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم »

وعليه ، فان كان ولابد من هذين ـ التنازع والجدال ـ فليكن ذلك بمعروف واحسان، قال تعالى: «ادفع بالتيهي احسن» وقال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن » من غير عداوة ولا بفضاء توصل الى التدابر والقطيعة ، بل بتسامح وعدل وانصاف ، شأن النفوس الزكية الطيبة ، والقلوب الطاهرة النقية وهذا غير بعيد على هذه وتلك ، بل ما اسهل الانصاف والرجوع الى الحق على المسلم المتادب بآداب الدين خصوصا بين المسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله ، امتثالا لامر ربهم القائل لهم : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر ، ذلك خير واحسن تاويلا » فاي خير هذا ! واي تاويل احسن منه في المدخل والمخرج ! ولكن ـ كما قال جل ذكره : « وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » في العلم والفهم ، وذو قلب كبير في التسامح وطول الاناة .

فالرجوع الى الله والرسول يكون في الشيء المتنازع عليه بين المسلمين ، واما الدفع بالتي هي احسن يكون مطلقا عاما مع المخالف وغيره ، حتى مع الاعداء بما جاء في تمام الاية « فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم » وفي اولها قال « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة » وصدق الله ، فهما لا يستويان ابدا شرعا وطبعا ، فما اعظم آداب الاسلام ، وما اجل امره وحكمه .

جئنا بهذه المقدمة ونحن مقبلون على الخوض في معلومات الفها الناس فاستقرت في بعض الاذهان ، لا يبغون عنها حولا ، شأن المقلد الذي لا يفهم ، او بالاحرى لا يريد ان يفهم ، وبالاخص من كان يحسب انه على شيء من العلم ، والناس اعداء ما جهلوا ، او من جهل شيئا عاداه ، كما يقولون .

نقول هذا مشفقين بلا منة ولا غرور ، معترفين بما قال الله جل ذكره « كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا » وقد امنا وتبينا ، فلله المنة والحمد ، على ان هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

اللهم زدنا هداية وتبصرة لاتباع الحق ، وسلوك اقوم الطرق ، واحسن الاقوال .

ولندخل الآن في صميم الموضوع من الآيات الثلاث المصدر بها في عنوان هذا المقال ، وهي قوله تعالى « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون ، لا يمسه الا المطهرون » .

فاقول ان هذه الآية الكريمة جاءت جوابا من الله عن قسمه العظيم الذي اقسم به قبل قوله جل ذكره « فلا اقسم بمواقع النجوم » وذلك ردا على المشركين المكذبين ، وابطالا لزعمهم الباطل ، اذ قالوا : ان القرآن الذي اتى به محمد (ص) تنزلت به الشياطين .

وفي عرف مشركي العرب واعتقادهم من عهدهم بالملة الابراهيمية : ان الشياطين انجاس غير مطهرين . قالوا ذلك على سبيل الذم والتحقير من شان القرآن ومن اتى به ، فرد الله عليهم بقوله ـ الصادق الحق ـ في سورة الشعراء » وما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، انهم عن السمع لمعزولون» الاية 210ـ211ـ212 .

ولما كانت الشياطين انجاسا حقيقة ، فبالطبع لا يتنزلون الا على امثالهم من بني الانسان ، « الخبيثات للخبيثين » انباهم الله بقوله آخر السورة نفسها « هل انبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل افاك اثيم ، يلقون السمع واكثرهم كاذبون » اما الملائكة المطهرون ، فهم لا ينزلون الا على امثالهم من صفوة البشر انبياء ورسلا « والطيبات للطيبين » .

فالقرءان طاهر ـ وهو « في صحف مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة » ـ لا يتنزل الا على طاهر وذي نفس مطهرة من الله ، قال تعالى « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين » وفي آية اخرى : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا » .

والمراد بالروح في الآيتين : جبريل عليه السلام ، وهو من الملائكة الذين طهرهم الله ، واين الملائكة المطهرون ، من الشياطين الانجاس ، واين الرسل المعصومون من الكهان الافاكين الاثماء .

فالقرءان تنزيل من رب العالميـن ، وهو ـ اي القرءان ـ معلوم عند الخاص والعام ، هذا الكتـاب المتعبد بتلاوته ، المعجز بفصاحته للعرب قبل غيرهم ـ وهم اهل اللسان ، وفرسـان البيـان ، والمعجز باسلوبه ومعانيه للانس والجن اجمعيـن ـ تحديـا لهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ـ لا يقدرون علـى الاتيان بمثله ـ ولو باقل سورة منه ـ لا في الماضي ولا المستقبل البعيد على مدى الزمن وهو الكتاب الـذي تكفل الله بحفظه دون الكتب السماوية ليبقى ابـد الدهـر .

اما « الكتاب المكنون » فلا نعلم عنه شيئا الا مـا اخبرنا به الله في كتابه الكريم ، او جاء على لسان نبيه (ص) فيما صح عنه : انه اللوح المحفوظ ، والكتـاب المبين ، في مختلف الايات والسـور : « انه لقـرءان كريم ، في كتاب مكنون » بل هو قرءان مجيد في لـوح محفوظ » « انا جعلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون ، وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيـم » .

فيذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات كلها : ان القرءان كريم ، مجيد ، وانه لعلي ـ اي على كـل كتاب قبله ـ حكيم ـ اي ذو حكمة بالغة ـ وقد جعله الله قرءانا عربيا ، وانزله بلسـان عربي مبين ـ هـو مثبت عنده ولديه في كتابه الذي في السماء ، مكنـون مصون ، ومحفوظ لا تصل اليه ايدي الشياطين ، ولا يمسـه الا المطهرون من الملائكة بالتلقي والانزال علـى عبده ورسوله محمد بن عبد الله (ص) .

فيظهر من كل هذه الآيات المتناسقة ـ وهـي متظافرة على شيء واحد بمختلف الاساليب والالفاظ ـ ان آية : « لا يمسـه الا المطهرون » لا علاقة لها بنهـي اصحاب الاحداث من البشر عن مـس المصحف المعلوم حتى يتطهروا الطهارة الشرعية الخاصة .

ثم ان الآية مكية قبل ان يكـون هناك مصحف مجموع ، وهو بعد لم يكمل ولم يجمع ، وزيادة علـى ذلك فان الاعتناء في السور المكية انما هو باصول الدين من تقرير التوحيد والمعاد والنبوة ، واما تقرير الاحكام والشرائع فمظنة السور المدنية كما هو مقرر في علـوم القرءان وما حققه الائمة العظام مـن علمـاء السلف الصالح رضوان الله عليهم .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان الآيـة لا نهي فيها وقد سيقت للاخبار في جـواب القسـم ، واخبار الله حق وصدق ، لا يرد ولا ينقض ، وقد اخبر الله سبحانه وتعالى مؤكدا : ان هذا القرءان في كتـاب وهو في السـماء عنده ـ مكنـون مصون ، لا يمسه الا المطهرون وهم الملائكة ؛ اما المصحف المعلـوم ، فهو في الارض غيـر مكنون ولا مصون فيستطيـع ان يمسه المنافق والكافر ، والمشرك النجس .

ومن قال من المفسرين ان الخبر في الآية يـراد به النهي ـ كما جاء في تفسـير الجلالين ـ فقد تكلـف تاويلا شططا لا داعي له ، وهو ـ في هذه الآية ـ بعيد كل البعد ، ان لم يكن باطلا لا يصـح ، لا مـن جهـة اللفظ ولا من جهة المعنى ، فـان فعـل (لا يمـس) مرفوع بالضمة ، ولو كان نهيا لكانت السين منصوبة بالفتحة كما هو الشان في الفعل المضاعف المضارع المجزوم ، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنـه : « ما يمسـه الا المطهرون » بالنفـي الصريح الذي لا يحتمل النهـي مطلقا ، وذلك مما يؤيد الفهم الراجح الذي ذهب اليـه معظم المفـسرين واقتصر عليه جمهور المحققين .

هذا من جهة اللفظ ، واما من جهة المعنى فـلا يصح ان يكون هناك نهي يتوسط جملـة اخبـار في جواب القسـم .

وكذلك جملة « في كتاب مكنون » فهـذا الوصف غير واضح ، اذ يقال : عن اي شيء مكنون ؟ ولمـاذا ؟ فتكون الجملة ـ حينئذ ـ مبهمة خصوصا وانها متلوة بجملة يقصد بها النهي ـ كما يؤولون ـ ويكون الاخبار عن القرءان الكريم : انه في كتاب مصون ، ثم لا يجـوز ان يمسـه ـ اي القـرءان ـ الا المطهرون اي المتطهرون من الاحداث . هكذا يؤولون ويقولـون .

أبحاث ومقالات



للأستاذ
محمد زنيبر

منذ دخل النوع البشري الى التاريخ ، وهو ينتقل من طور الى طور ويتدرج فى سلم الرقي والتقدم، ويضيف كل يوم مكاسب جديدة الى مكاسبه القديمة ، بحيث كان فى الاول لا يختلف عن الحيوان فى شيء يقتات مثله باللحوم النيئة والاعشاب ، ويسكن مثله فى الكهوف والمغارات ، وصار فى الاخير يستمتع بعيشة لا صلة بينها وعيشته الاولى ، اذ كل شيء فيها دخلت عليه افانين الصنعة ، وتكيف حسب ما يقتضيه هواه ويوافق راحته ورفاهيته وحاجته ، بينما الحيوان ظل كما كان اول يوم فى كل مظاهر حياته .

هذه القابلية للتغير والانتقال من حال الى حال التي توجد عند الانسان هي التي صنعت التاريخ ، وهي التي مكنت البشرية من ان تسيطر شيئا فشيئا على الطبيعة ، وهي التي تسميها تارة الذكاء الانساني وطورا العبقرية الانسانية .

ولكن هل هي مجرد قابلية فقط أم هي اكثر واعمق من ذلك ؟ فنحن عندما نستعمل كلمة قابلية نفهمها بمعنى استعداد يوجد عند الانسان يتصرف فيه بكامل الحرية ، يستغله متى شاء ويبطل مفعوله عند الاستغناء ، وعلى هذا ، فسؤالنا معناه : هل التطور امر خاضع للارادة الانسانية تدبره كما تشاء ؟ أم هناك عامل او عوامل تحتم على الانسان ان يسير فى طريق معينة ؟.

وبعبارة اخرى ، هل للتاريخ وجهة يقصد اليها حتما ام التاريخ عبارة عن نسيج من الاحداث الاتفاقية ليس لها اي مدلول ؟

ذلك اهم سؤال يعترضنا فى دراسة التطور البشري ، وحسب ما تقدم من جواب عليه ، سنكون اخذنا اتجاها معينا ومنطقا خاصا فى فهم التاريخ .

حرية الانسان والتاريخ :

فاذا اخذنا بمذهب القائلين بان الانسان يتمتع بحرية كاملة فى تكوين تاريخه وتسييره ، اصبحنا نرى العالم وما يجري فيه من احداث على صورة خاصة واستخلصنا من ذلك نتائج اهمها :

1 — أن كل المذاهب القائلة بحتمية التطور باطلة من اساسها ، ما دام امام الانسان حرية الاختيار وحرية العمل .

2 — أن الفرد هو العنصر العامل فى التاريخ وان دور الشعوب يبقى ثانويا بالنسبة للرجال الموهوبين الافذاذ الذين يصنعون التاريخ ، ذلك ان الحرية بمعناها العميق الواسع لا يمكن ان توجد الا بالنسبة للافراد ، اما بالنسبة للجماعة ، فان الحرية مقيدة بالقوانين الاجتماعية ، ثم أن الارادة الجماعية تتكون فى الواقع من تشارك الارادات الفردية واتفاقها على بعض الاهداف ، كما بين ذلك « روسو » فى كتابه « العقد الاجتماعي » والحرية لا يمكن ان تقترن مع تعدد الارادات ، ولكنها صفة للارادة الواحدة ، ينبني على ذلك انه اذا ما ثبتت نظرية الحرية فى توجيه التاريخ ، فان الفرد هو الذي يمكنه ان يتصرف فى تلك الحرية ، لان الفرد هو وعاء الارادة الواحدة .

3 — انه لا يوجد خارج ارادة الانسان اي عامل يؤثر بصورة فعالة على سير الاحداث التاريخية وتوجيهها ، لان وجود مثل هذا العامل من شأنه ان يتنافى مع حرية الاختيار لدى الانسان التي يقول بها اصحاب هذا المذهب ، فالظروف السياسية والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ليس لها من اثر فى التطور الا بقدر ما تتلاءم وارادة الفرد العامل فى التاريخ ، بل ان فى مستطاع الانسان ان يقاوم مفعول هذه المؤثرات الخارجية ويعمل باستقلال عنها .

تلك بعض النتائج الحاصلة من المذهب الـذي يقول بان التاريخ لا يسير حسب اتجاه معين ، وانمـا هو تسلسل احداث عرضية كان من الممكن ان يقـع غيرها وتكون مناقضة لها ، ومعنى هذا ان التطـور المشاهد حسيا فى احداث التاريخ لا يسوغ تاويله حسب فلسفة او عقيدة ، بحيث ان ما ظهـر فى التاريخ مـن شرائع وما نشب من ثورات قلبت الاوضاع وغيـرت وجه الحياة لدى امم وامم لم يكـن ، حسب هـذه النظرية ، ناجما عن ضرورة اوجدها التطور واقتضتها ظروف موضوعية خارجة عن ارادة الانسان ، قاهرة لهـا .

هذه الاستنتاجات التي توصلنا اليها من نظرية حرية الانسان فى التاريخ قد تكتسي فى اعيننا صبغـة الحقيقة الثابتة العميقة عند ما تاملها على ضوء بعض الاحداث التاريخية ، خاصة فى القرون الماضية ولكن، سترى بعد دراسة احد الامثلة من التاريخ العربـي الاسلامي ان تلك الصبغة انما هي ظاهرية .

ومثالنا هو العصر العباسي ، فنحن عندما نقف وقفة قصيرة فى هذا العصـر ونستعـرض احداثه ، نجد وقائع كثيرة تبين لنا ان الفرد هو العامل الفعال فى التاريخ ، فكل خليفة من ابي العباس السفاح ومن يليه يظهر وكأنه يتصرف تصرفا خاصا به لا يخضـع لاي مؤثر خارجي عـن ارادته ، فالامة الاسلامية لـم يكن لها حسب الظاهر اي وسيلـة للتاثيـر عليـه ، ومصداق هذه الحرية الظاهرية هو ما نراه من تناقض صراح بين الخلفاء فى بعض تصرفاتهم ، من التغاضي والتسامح الديني ومنهم من اظهر عطفا على آل البيت وشيعتهم ومنهم من اضطهدهم ونكل بهم .

ومما يزيدنا اعتقادا بان الفرد هو الذي يسيـر التاريخ ، ان هذا الحكم المطلق الذي كان يتمتع بـه الخلفاء آنذاك كان ينسجم ظاهريا مع روح العصـر ، فلم يكن يثير اي تعجب او استنكـار من معاصريه : فالامة بالنسبة للخليفة كالمادة الخام تخضع لارادتـه وتتحول بمشيئته ، وهذا منطق فى فهم الحكم تقبلـه الامة وتسلم به ، فهو متفق عليـه سلفا مـن جانب الحاكم والمحكوم ، نتيجة للتقاليد القديمـة ولبعـض التعاليم الدينية ، وللهيبة التي يحظى بها الحاكم امـام المحكـوم .

وبالجملة ، فنحن عندما نعتبر الظاهر والقرائن البارزة ، نستنتج من دراسة تاريخ الدولة العباسية :

1) ان الحاكمين ورجال الحل والعقد كان لهـم مطلق التصرف كافراد فى تسيير الاحداث وتوجيههـا وفقا لاهوائهم وغرضهم .

2) ان ما يسمى بالشعب او العامة لم يكن لـه دور بارز فعال ، نعم، قد يثور فى بعض الاحيان ويحدث الضوضاء والفتنة ، ولكنها ثورة غيـر ذات اهداف ، سرعان ما يخمد اوارها وتبقى الكلمة الاخيرة لرجال الحكـم .

وهكذا ، فان الصراع الذي يحفل به تاريـخ الدولة العباسية لم يكن بين الشعب وحكامه ، وانمـا بين الافراد البارزين الطموحين الذين يتنازعون علـى الجاه والسـؤدد ، فالرغبة فى الحكم او « ارادة القوة » كما يقول « نيتشـه » هو المحرك الذي يدفع الاحداث ويخلق التاريخ ، هذا ما نشاهده فى قصة ابي جعفـر المنصور مع ابي مسلم الخرساني وفى قصة الرشيد مع البرامكة ، وفى النزاع بين الامين والمامون وفى ما تشب من صراع بين الخلفاء وبعض المسيطرين على مقاليـد الدولة امثال البويهيين وغيرهم .

ويخيل الينا ان الشعب يحضر لهذه الاحداث دون ان يشـارك فيها ، وانما يقف موقف المتفرج الذي لا ينتظر شيئا لنفسه ، وانما هو متفرج يجذبـه حب الاطلاع والاستزادة من المعرفـة .

ذلك هو الاستنتاج الذي نخرج به لاول وهلـة عندما نلقي نظرة سريعة على تاريخ الدولة العباسيـة التي لم نخترها الا كمثال ، وغيرها من الدول التـي كانت فى العصر القديم والعصر المتوسط .

ومعنى هذا الاستنتاج ان تاريخ تلك الـدول لا يبين عن اتجاه معين ، وانما هو تسلسل احداث فى شكل فوضوي وصـراع متواصـل بيـن اشخـاص وعصبيـات .

فهل يمكننا ان نطمئن الى هذا الاستنتاج ونقبله كقـول فصل فى الموضوع ؟

احداث التاريخ ومشاكل الجماعة :

الواقع اننا عندما نمعن النظر في ذلك التاريخ وتدبره بعمق ، نجد ان هذه النظرية تقبل الجدال بصور جلية .

لنعد الى مثال الدولة العباسية ، واول ما نلاحظه ان هذه الدولة نشأت في نطاق تطور العالم الاسلامي ، فهي التي تحملت مسؤولية الخلافة وتولت قيادة ذلك العالم طوال مدة مديدة من التاريخ .

ومعنى هذا انها ورثت عن الدولة الاموية ما كانت تتخبط فيه من مشاكل ومعضلات ، اضافت اليها ما تمخض عنه زمامها من مشاكل جديدة .

والدولة الاسلامية بوصفها دولة تأسست على مبادىء الاسلام الثورية ، نشأت معها منذ اليوم الاول مشاكل مذهبية كان لها فيما بعد الاثر البالغ في سير الاحداث ، ومن بين هذه المشاكل مشكلتان اساسيتان نقف عندهما الآن لحظة قصيرة :

المشكلة الاولى تتصل بنظام الخلافة وشكلها .

المشكلة الثانية تتعلق بتطبيق مبدأ المساواة الاسلامية بين العرب الفاتحين والشعوب التي دخلت تحت حكمهم واعتنقت الاسلام .

فمشكلة الخلافة كانت في الواقع منذ اليوم الاول هي مشكلة الحكم الديموقراطي في الاسلام ، كما بين ذلك طه حسين في كتابه « الفتنة الكبرى » فلقد حاول الخلفاء الراشدون ، كل حسب اجتهاده ، ان يحققوا نوعا من الديموقراطية طبقا لمبادىء الدين الجديد الذي يقر المساواة والشورى في تدبير مصالح الجماعة ويصون كرامة الانسان وحريته ، مما جعل الحكم في ايام الاسلام الاولى يمتاز بنوع من النزاهة والعدل .

ولكن ، سرعان ما ظهرت عند بعض الاسر القرشية الكبرى نزعة لاحتكار منصب الخلافة لفائدتها مما ادى الى نشوء التطاحن بين تلك الاسر ، ولنشر هنا بقصد التذكير الى النزاع الذي قام بين بني هاشم وبني امية ، وبين بني الزبير وبني امية ، وبين بني العباس وبني امية ، وبين بني العباس وبني علي ، فالصراع على كرسي الخلافة انحصر ، كما يرى القارىء ، بين بعض الاسر القرشية وسقوط منصب الخلافة في الاطماع الشخصية جعله ينسلخ شيئا فشيئا عن صبغته الديموقراطية التي اكتساها نوعا ما في ايام الخلفاء الراشدين .

وكان من الطبيعي ان تثير هذه الاطماع رد فعل قوي لدى العرب وغيرهم من الشعوب الاسلامية ، بحيث ان تلك الفكرة الديموقراطية لم تمت ، بالرغم من سيطرة تلك الاسر على الموقف ، فقد احتضنها الخوارج الذين كانوا يذهبون الى ان الخلافة حق مشاع بين جميع المسلمين ، الاحرار منهم والارقاء على السواء .

وكما يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن في كتابه « تاريخ الاسلام السياسي » ، فقد « انضم الى الخوارج وغذى صفوفهم اولئك العرب الخلص من رجال الصحراء وبخاصة بعض القبائل العربية ذات الخطر والشأن ، مثل قبيلة تميم وابطال القادسية ورؤساء الجند الذين انضم اليهم اولئك المتطرفون في الاسلام من اهل الصيام والصلاة ، كما سماهم بذلك الشهر ستاني ، ورأوا ان جماعة المسلمين اصبحت في خطر بسبب المطامع الشخصية » . (انظر ج 1 ص 301)

وكان يمثل الفكرة المناقضة للخوارج الشيعة الذين كانوا يقولون بان الخلافة يجب ان تنحصر في آل البيت ولا تصح لغيرهم .

والمشكلة الثانية تدخل هي ايضا في نطاق تطبيق الديموقراطية الاسلامية ، فمن جملة المبادىء التي دعا اليها الاسلام مبدأ المساواة بين المسلمين مهما كانت جنسيتهم وسلالتهم ولونهم ، بحيث لم يجعل للعرب وهم قوم النبي اي فضل على غيرهم من المسلمين الذين ينتمون لامم اعجمية .

ولكن الى اي حد استطاعت الدولة الاسلامية ان تطبق هذا المبدأ ؟ وهل امكنها ان تمنح للموالي نفس الحقوق التي كانت تمنحها للعرب ؟

اذا عدنا الى تاريخ الدولة الاموية التي تمت في ايامها الفتوحات الكبرى وتوطدت اركان الامبراطورية الاسلامية ، نجد ان هذه الدولة لم تكن تعتمد الا على العنصر العربي في ادارة شؤون الحكم ، فولاة الاقاليم والموظفون السامون ، وقواد الجيش ، والجند انفسهم كلهم

عرب، وبقاء النفوذ والسلطة بيدالعرب على هذه الصورة جعل الموالي يشعرون انهم مسودون وان العرب هم السادة ، وكان لهذا الوضع اثره فى اذكاء روح القومية لديهم وفى دفعهم نحو مواقف العداوة والتمرد .

ولقد ثار الموالي على الحكم الاموي ، بالفعل ، وحاربوا فى صفوف الخارجين عليه ، فانضموا الى الخوارج وشاركوا فى فتنة عبد الرحمن بن الاشعث ، وفتنة يزيد بن المهلب وغيرهما من الثورات .

وهكذا ، نشأت المشكلة الثانية التي كان لها اثر عميق فى تاريخ الاسلام ، وهي المشكلة الناشئة عن العجز فى تطبيق مبدا المساواة على حقيقته ، لقد اراد الاسلام ان يقيد العلاقات فيما بين الافراد بهذا المبدا ويحررها من منطق القوة حتى يبقى الضعيف آمنا على حقوقه ، الا ان الحكام ، على ما يظهر ، لم يقووا على تحقيق هذه الارادة الى اقصى حدودها .

هاتان مشكلتان اساسيتان صادفتهما الدولة الاسلامية الفتية حينما انحرف رجالها عن تطبيق الديموقراطية التي جاء بها الدين الجديد ، فقد عجزت من جهة ، ان تعطي لنظام الخلافة والحكم، بصفة عامة، الشكل الواضح المنطقي المطابق لمبادىء الاسلام ، كما انها من جهة اخرى ، لم تستطع ان تجعل من المساواة الاسلامية حقيقة واقعة فى العالم الاسلامي .

فمشكلة الخلافة وما اثارته من اهواء جامحة وصراع عنيف هي التي كانت سببا فى انهيار دولة الخلفاء الراشدين بعد مقتل علي ، وهي التي كانت سببا فى انقراض الدولة الاموية فيما بعد .

ومشكلة عدم التساوي بين العرب والموالي هي التي كانت سببا فى خلق حزب جديد فى الدولة الاسلامية يناوىء حزب العرب ، وهو حزب ابناء الشعوب المغلوبة ، وخاصة منهم الفارسيين والخراسانيين .

وقد برهن هذا الحزب عن وجوده حينما اصبح عاملا اساسيا يؤثر فى تاريخ الدولة الاسلامية واتجاه تطورها فالدولة العباسيةالتي اتخذناها مثالا لدراستنا انما هي ثمرة لكفاحه السياسي ، وما انتقال العاصمة من دمشق الى بغداد القريبة من فارس الا حادث يرمز بكيفية واضحة الى ان الدولة لم تعد دولة العرب وحدهم ، وانما هي دولة مشتركة بينهم وبين الشعوب العجمية التي دخلت الاسلام وهذا ما دل عليه فيما بعد دلالة واضحة دخول العناصر العجمية بكثرة فى خدمة الدولة العباسية وتقلدها للمناصب السامية على اختلافها من كتابة وحجابة ووزارة وقيادة عسكرية وما الى ذلك .

واذن ، لم يكن تاريخ الدولة العباسية تاريخا يتكون من احداث مفككة ، كما خيل الينا اول مرة ، بل هنالك عوامل تعمل فى الاعماق واحيانا فى الخفاء ، هي التي توجه ذلك التاريخ وتحرس سيره وتغذيه بالاحداث ، وهذه العوامل على اختلافها ترجع الى عامل اساسي واحد وهو رغبة الشعوب فى العدل والحكم العادل .

لقد جاء الاسلام فى وقته كثورة تاريخية تمثل بالنسبة لسائر الامم الموجودة آنذاك خطوات جريئة الى الامام ، فقد نادى بالمساواة بين البشر دون أي استثناء ووضع اسسا جديدةللحكم هي اقرب ما تكون للديموقراطية الحديثة ، وهذه الروح الثورية هي التي جعلت الاسلام ينتشر بسهولة ويغزو ضمائر الشعوب ويحل محل العقائد الجامدة المنافية للعقل .

لكن اتجاه الدولة الاسلامية بعد الخلفاء الراشدين وتصرفات رجال الحكم اظهرت لتلك الشعوب التناقض الموجود بين مبادىء الدين وتعاليمه ، وبين ما ياتي به الساسة والمتصرفون ، وكان الشعور بهذه الظاهرة هو بداية التنافر بين الحاكمين والمحكومين .

التاريخ مرتبط بمطامح الشعوب :

ذلك ان تاريخ الدولة العباسية لم يكن من صنع الرجال الافذاذ امثال ابي جعفر المنصور والرشيد والمامون وغيرهم ، كما تصورنا لاول وهلة ، وانما هو نتيجة لكفاح الشعوب الاسلامية فىسبيل الحصول على الحكم العادل ، لقد ثارت تلك الشعوب على الخلافة الاموية لما تبين لها انها تسلك سياسة متحيزة للعرب وعملت على قيام دولة اخرى تكون احفظ لحقوقها فكان هذا هو الاصل فى الدولة العباسية .

لكن الدولة العباسية ان استطاعت ان تزيل الفوارق بين العرب وغيرهم من الشعوب الاسلامية ، فانها لم تستطع ان تحل المشاكل الاجتماعية لتلك الشعوب وانما اقتصر عملها على ترضية بعض الاسر الفارسية والتركية والاعتماد على شوكتها وعصبيتها ، فكان هذا سببا فى نشوء قلق جديد داخل المجتمع العباسي .

وهذا القلق تجلى ، بصورة عامة فى الضعف الذي اخذ يسري شيئا فشيئا للخلافة العباسية ، وفى تفككها وانقسامها ، كما تجلى فى عدة ثورات قامت فى مختلف انحاء العالم الاسلامي ، فالبربر فى المغرب انساقوا مع دعوة الخوارج واسسوا عدة دول ، والشيعة فى الشرق ما فتئوا ينتفضون ، وثورة الزنوج والقرامطة ما هي الا مظهر من مظاهر القلق الاجتماعي الذي يكاد يشابه فى شكله الثورات الاشتراكية .

لقد خلق الاسلام فى نفس الشعوب آمالا ، واحيا فيها مطامح ، وحركها للوصول الى مثل عليا ما فتىء الانسان يتطلع اليها ، وعاد من المستحيل ان لا يتأثر التاريخ بتلك الطاقة الثورية التي حملها الاسلام ، فاتجاه التاريخ فى عهد الدولة العباسية مقيد، ولا شك، بتلك المطامح التي كانت تحملها الشعوب الاسلامية .

وهنا تعترضنا مشكلة جوهرية : اذا كانت هذه النظرية صحيحة ، فما بال ذلك الاتجاه الذي لاحظناه فى تاريخ الدولة العباسية لم يصل الى اهدافه ؟ وما بال الشعوب الاسلامية ظلت على ما هي عليه لم تحقق اي مطمح من مطامحها ، بل انها سارت نحو التدهور والانحطاط ؟

سؤال لا ينفي وجود اتجاه فى التاريخ وانما يلاحظ ان ذلك الاتجاه يظل بعيدا من اهدافه ، ومعنى هذا ان التاريخ يسير نحو وجهته ، ولكنه يسير ببطء لا نسبة بينه وبين عمر الانسان .

بحيث انه قد تمر اجيال واجيال بل قرون وقرون دون ان يظهر للتاريخ اتجاه فى سيره ، وقد تتعدد الاحداث والثورات دون ان تصل الى نتيجة ، بل ربما تدهورت الاحوال وسارت من سيىء الى اسوا ، وهذا ما حصل بالضبط فى تاريخ الدولة العباسية ، حيث تكاثرت الاحداث بشكل فوضوي قد يحار فيها المؤرخ .

ومع ذلك ، فلا يصح لنا ان نقول ان التاريخ العباسي لم يكن له اتجاه ، بل الاولى ان نتساءل هل لم يكن هنالك اتجاه يعمل عمله فى الخفاء ، وسواء تحققت المطامح التي يحملها ذلك الاتجاه ام لم تتحقق آنذاك ، فالذي يهمنا الآن هو ان نعلم أن تلك المطامح هي التي كانت تحرك التاريخ وتغذيه بالاحداث وتضع امامه اهدافا وقبلة .

وعدم تحقيق تلك المطامح انما يرجع الى كون الدولة الاسلامية عجزت فى النهاية عن تطبيق النظام السياسي والاجتماعي الذي اتى به الاسلام ، وبذلك فقدت قوتها المعنوية، وسارت فى منحدر التدهور والانحطاط وهذا الانحطاط انما يصور لنا اليأس الذي اصبحت تعيش فيه الشعوب الاسلامية ، بعد ان ظلت حقبة من الزمان يحدوها الامل والثقة والحماس .

فهو فى الواقع يقدم لنا صورة معكوسة عن اتجاه التاريخ ، صورة تبين لنا ان الامم اذا لم تساير التاريخ فى اتجاهه ولم تقبل سنن التطور الاجتماعي، فانها تنحل وتنهار ، وتفقد شخصيتها كامة ، وتعيش فى غيبوبة قد يطول امدها .

حقا ان كفاح الشعوب الاسلامية من اجل العدالة والديموقراطية لم ينته فى العصر الوسيط الى نتيجة حاسمة ، ولكن يبقى مع ذلك ان ذلك الاتجاه وتلك الاهداف لم تمت ، ولم تفقد قوة جاذبيتها بالنسبة لكل الشعوب ، اسلامية كانت ام غير اسلامية .

وانحطاط الشعوب الاسلامية ليس معناه ان التاريخ توقف فى سيره او تحول عن وجهته ، انما معناه ان المشعل سينتقل من يد طائفة من الامم الى طائفة اخرى ، من يد الشعوب الاسلامية التي لم تستطع اقرار الحكم الديموقراطي الى يد الشعوب الاروبية التي سيساعدها التطور والظروف على ان تخطو خطوات واسعة فى هذا السبيل .

وهذا لا يدل مطلقا على تفوق خاص يمتاز به الاروبيون وانما على كون الاروبيين توفرت لديهم كل الشروط التي سهلت عليهم تحقيق ما عجزت عنه الامم السابقة ، على ان الامم الاروبية قد استفادت كثيرا من التجارب التي عاشتها الدول الاسلامية .

ومهما يكن ، فان تاريخ الدولة العباسية ، رغم الظواهر ، يدل على وجود اتجاه واهداف كانت الامم الاسلامية تنحو اليها وتكافح من اجلها ، وهذا ما يلحم ذلك التاريخ ويجعل له معنى ومغزى .

على اننا اذا تركنا الدولة العباسية وكل دول العصر الوسيط والقديم وانتقلنا الى العصر الحديث ، سيظهر لنا بصورة اوضح وانصع ان للتاريخ اتجاها محتوما يسير نحوه رويدا رويدا ، ولكنه لا ينحرف عنه ، ولربما تناولنا فى مقال قريب هذا الموضوع على ضوء أحداث العصر .



- 2 -

الوشحات فى الاندلس :

انتهينا فى الفصل السابق الى ان التوشيح فن اندلسي نشا فى اواخر القرن الثالث الهجري ، ولكننا نلاحظ انه لم يظهر ولم ترد نصوصه الا بعد قرن من هذا التاريخ بعد ان استقل عن الاغاني الشعبية التي كانت اساسه ومصدره ، ويغلب على الظن ان السبب فى هذا الابطاء هو صدود المسؤولين وشيوخ الادب الذين رفضوا قبوله وحاربوه حماية منهم للثقافة العربية والشعر خاصة .

وربما كان مكرم بن سعيد وابن ابي الحسن من اول الوشاحين الاندلسيين وان لم يرد ذكرهما عند غير ابن بسام ، كذلك يعتبر يوسف بن هرون الرمادي من اوائل الناظمين فى هذا الفن ، وفى الذخيرة انه (اول من اكثر من التضمين فى المراكز يضمن كل موقف يقف عليه فى المركز خاصة) (*) اذ لم يكن فى الموشحات تضمين ولا اغصان ، ولكننا للاسف الشديد لم نتوصل من توشيحه ولا بنموذج واحد ، ولعل عبادة بن ماء السماء هو اول من اكتملت عنده صورة هذا الفن ، فقد قال عنه ابن بسام انه (كان فى ذلك العصر شيخ الصناعة) (*) ويظهر انه كان مكثرا من نظم الموشحات وان لم تحفظ لنا غير اثنتين منها اوردهما ابن شاكر عند ترجمته له (*) ، نسب الصلاح الصفدي احداهما الى ابن عبادة القزاز وهي التي مطلعها :

من ولي ، فى امة ولم يعدل ، يعزل ، الا لحاظ الرشا الاكحل

وفى خرجتها يقول :

يا علي ، سلطت جفنك على مقلتي فابق لي ،

وجد بالفضل يا مؤلي

وبالرغم من مكانة عبادة فقد اغفل ذكره ابن خلدون كما اضطرب فيه ابن سناء الملك فخلط بينه وبين ابن عبادة القزاز ، وابو بكر محمد بن عبادة (*) هذا هو اشهر وشاح خلف ابن ماء السماء، كان الشاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية مدحه فى كثير من الموشحات ، ومن مذاهبه الغزلية :

اذاب الخلد نهد مشهد
وغصن تأود فى دعص ملبد
عن سقم مكمد

ومن الوشاحين الذين عاصروا ملوك الطوائف ابو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة كان كثير المدح للمعتصم المذكور ثم للمعتمد بن عباد وابنه رشيد حيث زارهما فى منفاهما باغمات ومدحهما هناك ، كذلك ممن نبغوا فى هذا العصر ابو بكر محمد بن رافع راسه الذي قال عنه صاحب المغرب (له موشحات مشهورة يغني بها فى بلاد المغرب منها فى مدح المامون ابن ذي النون) (*) .

(*) الذخيرة قسم 1 ج 2 ص 2 وربما كما كان المركز هو القفل ، توفى الرمادي سنة 403 هـ.
(*) توفى فى آخر عصر بني مروان سنة 419 وقيل سنة 421 او سنة 422 هـ.
(*) ج 1 ص 246 من فوات الوفيات .
(*) من حصن بلور فى البيرة .
(*) ج 2 ص 18 .

والملاحظ ان شعراء الاندلس الممتازين امثال ابن هانيء وابن زيدون وابن دراج القسطلي وابن شهيد ظلوا محافظين على طريقتهم التقليدية ولم ينظموا فى الموشحات وان كان لبعضهم شيء قريب منها ؛ فابن هانيء مثلا كان له بعض القصائد الشبيهة بالموشحات والازجال وابن زيدون له مخمسات اعتبرها بعض الباحثين من الموشحات وهي ليست منها كالتي يقول فيها :

سقى الله اطلال الاحبة بالحمى
وحاك عليها ثوب وشي منمقا
واطلع فيها للازاهر انجما
فكم رفلت فيها الخرائد كالدمى
اذ العيش غض والزمان غلام
اهيم بجبار يعز واخضع
شذا المسك من ارادنه يتضوع
اذا جئت اشكوه الجوى ليس يسمع
فما انا فى شيء من الوصل اطمع
ولا ان يزور المقلتين منام
قضيت من الريحان اثمر بالبدر
لواحظ عينيه ملئن من السحر
وديباج خديه حكى رونق الخمر
والفاظه فى النطق كاللؤلؤ النثر
وريقه فى الارتشاف مدام

وفى العصر المرابطي ، ويعتبر العصر الذهبي لهذا الفن بفضل تشجيع المسؤولين الذين كانوا يميلون الى عدم التقيد بتقاليد الشرق ، لمع اسم احمد بن علي الشهير باعمى طليطلة الذي عمل مع ابن بقي (*) على رفع مستوى الموشحة الى مكانة القصيدة وجعلها تنافسها حيث بدات تعالج كل الموضوعات ، وقد كان ابن علي شاعرا مجيدا ومع ذلك فقد كانت موشحاته سبب ما نال من حظوة وشهرة ؛ اما ابن بقي واسمه يحيى بن عبد الرحمن القرطبي فقد اشتهر بمدحه لبني القاسم قضاة سلا بالمغرب وكان مكثرا من التوشيح حتى لقد قال عنه صاحب الخريدة ان له ما ينيف عن ثلاثة آلاف موشحة ومثلها قصائد ومقطوعات .

ومن اشهر الوشاحين فى هذا العصر الفيلسوف الشاعر ابو بكر محمد بن يحيى الرقطي المعروف بابن باجة وابو بكر محمد بن عيسى بن قزمان القرطبي الذي قال عنه صاحب « المغرب » انه كان (امام الزجالين بالاندلس) وانه انصرف عن النظم المعرب عند ما راى نفسه تقصر عن افراد عصره كابن خفاجة وغيره فعمد الى طريقة لا يمازجه فيها احد منهم فصار امام اهل الزجل المنظوم بكلام عامة اهل الاندلس .

كذلك كان من المبرزين فى هذا الفن علي بن حزمون المرسي الذي كان معروفا بنظراته الدقيقة فيه ، فقد ذكروا ان يحيى الخزرجي انشده مرة بعض موشحاته فقال له ابن حزمون : (ما الموشح بموشح حتى يكون عاريا عن التكلف) فلما طلب منه مثالا على ذلك قال : (مثل قولي :

يا هاجري هل الى الوصال	منك سبيل
او هل ترى عن هواك سالي	قلب عليل

اما فى العصر الموحدي فقد بدا نجم هذا الفن فى الافول حيث نجد ان اشهر وشاح هو الحفيد ابو بكر محمد بن زهر طبيب يعقوب المنصور ؛ وقد كان عالما بفنون الادب وضروب التوشيح لدرجة ان الادباء كانوا يحكمونه فى كثير من قضاياهم ، سئل مرة عن احسن موشحاته فاشار الى التي يقول فيها :

ما للموله	من سكره لا يفيق	ياله حيران
من غير خمر	ما للكئيب المشوق	يندب الاوطان

ومن الذين برعوا فى هذا العصر كذلك اسحق بن سهل الاشبيلي ومن احسن منظوماته تلك التي قال عنها ابن خلدون انها من احسن الموشحات فى هذا العصر وهي التي يقول فى مذهبها :

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى
قلب صب حله عن منكس
فهو فى حر وخفق مثلما
لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد عارض لسان الدين بن الخطيب فقال :

جادك الغيث اذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما
فى الكرى او خلسة المختلس

(*) المتوفى سنة 520 هـ.

وقد كاد يموت هذا الفن بعد ان انصرف الناس عنه الى الزجل لولا محاولات ابن الخطيب الذي عمل على احيائه فالف كتابا على غرار (دار الطراز) جمع فيه الموشحات الاندلسية سماه (جيش التوشيح) وجاء بعد لسان الدين تلميذه ابن زمرك فقلد استاذه في الاكثار من معارضة موشحات ابن سهل ولكنه على عكسه كان ينظم منظوماته يستي بها ويطيل النظر في اسلوبها .

وكان ان انتهى امر هذا الفن في الاندلس بانتهاء امر المسلمين فيها ولكن لا الى الموت وانما الى الرحيل نحو المشرق حيث عالجه الشعراء في غير قليل من التكلف متقيدين بكثير من القيود الشكلية التي سطرها ابن سناء .

الموشحات في الشرق :

في التقديم الذي كتبه الدكتور جودة الركابي لدار الطراز قال متحدثا عن صاحب الكتاب انه (اول من ادخل فن الموشحات الى الشرق) وهو قول غير صحيح بدليل ان ابن سناء الملك ذكر في اول كتابه انه كان شغوفا بالموشحات الاندلسية والمغربية يقراها ويحفظها ويحاول تحليلها وادراك قيمتها ، ويزيد في ابطال هذا الراي ان الشاعر المصري لم يتصل مباشرة ببلاد الاندلس والمغرب حتى يتاح له التعرف على هذا الفن في موطنه الاصلي ، فابن سناء الملك اذن لم يكن اول من ادخل هذا الفن الى بلاد الشرق فقد كانت تعرفه من قبل ولكن البحث لم يصل بعد الى نتيجة نهائية في التعرف على من سبق في تعريف المشارقة بهذا الفن ، لعله اندلسي سافر الى بلاد الشرق لسبب او لآخر ، او لعله احد المشارقة رحل الى بلاد المغرب الاندلس ، او لعلها جماعة من المغنين والملحنين سافرت من هنا او هناك ، او لعلها كتب ورسائل كانت تتبادل بين البلدين ، وربما يكشف البحث في مستقبل الايام عما يثبت به بعض هذه الفروض .

وبالرغم من اننا لا نملك دليلا يمكن الاعتماد عليه، فقد زعم اكثر من مستشرق ان بعض الاندلسيين رحلوا الى بلاد المشرق ونقلوا معهم فن الموشحات ، يقول (انخل بالنثيا) انه في خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين توجه من اهل الاندلس نفر من الفقهاء والمتصوفين والاطباء واهل الادب الى المشرق وكان لهم اثر عظيم هناك ، وعن طريق هؤلاء انتقل الزجل الى المشرق وكان اول من علم اهله ابو مروان بن زهر الذي مارس الطب في بغداد ، وابو علي الشلوبيني النحوي ، وعبد المنعم بن عمر وكان كحالا وفيلسوفا واصله من جيان واصبح فيما بعد شاعر صلاح الدين الايوبي ، وابن سعيد الغرناطي الذي اجتمع في المشرق بشعراء اندلسيين هاجروا من بلادهم وانصرفوا الى صناعة الزجل في مهاجرهم ومن اولئك ابو الحاج يوسف بن عقبة) (※) وقد رد على هذا الراي الدكتور مصطفى عوض الكريم بان الموشحات في ذلك الوقت لم تكن قد اصبحت فنا معترفا به في الاندلس (※) . وواضح ان هذا راي خاطىء لما مر بنا من ان العهد المرابطي وهو الفترة التي رحل فيها هؤلاء الاندلسيون ، كان العصر الذهبي لهذا الفن . وشبيه براي المستشرق الاسباني قول صاحب المغرب متحدثا عن امية بن ابي الصلت الاشبيلي : (وتوجه في رسالة الى مصر فسجن في القاهرة في خزانة البنود ، وكان فيها خزائن من اصناف الكتب ، فاقام بها نحو عشرين سنة ، فخرج منها وقد برع في علوم كثيرة من حديثة وقديمة .. وعنه اخذ اهل افريقية الالحان التي هي الآن بايديهم) واستند الدكتور شوقي ضيف على اهل هذا الكلام وعقب عليه بقوله : (ولابد انها كانت مصحوبة بموشحات رواها لهم) .

ومهما كانت الوسيلة التي انتقل بها هذا الفن الى المشرق فان مصر كانت اول دولة تقبلت هذا الفن الذي وجد في ربوعها بيئة صالحة لانتشاره وازدهاره، فقد الف الشاعر المصري هبة الله بن سناء الملك كتاب (دار الطراز) ضمنه كثيرا من موشحات الاندلسيين وما نظمه على طريقتها من غير ان يورد ما انتجه غيره من المشارقة في هذا الفن ، وفي مقدمته التي تحدث فيها عن اصول فن التوشيح وطريقة نظمه قال : (ولم ار احدا صنف في اصولها يكون للمتعلم مثالا يحتذي به وسبيلا يقتفى ، جمعت في هذه الاوراق ما لابد لمن يعانيها ويعنى بها من معرفته ، ولا غناء بها عن تفصيله وجملته ليكون للمنتهى تذكره وللمبتدىء تبصرة) (※) .

※) تاريخ الفكر الاندلسي ص 76 + 166 .
※) فن التواشيح ص 150 .
※) دار الطراز ص 24 .

والى جانب تفننه لهذا الفن الذي كان عالما به ناقدا له عالج موضوعات في براعة واجادة ودون تكلف كثير ، ولعل اهم ما يلاحظ على ابن سناء الملك في بعض موشحاته ظاهرتان ، اما الاولى فابتكاره للخرجات وعدم تقيده بالخرجات المغربية التي كان معاصروه لا يختمون توشيحاتهم بغيرها بل عمد الى وضع خرجة فارسية في موشحته التي مذهبها :

في خديك من صير اللاذ ثياب الياسمين
ودع ذاقيا حيرة الواشي من ذا السحر المبين

وفي الخرجة يقول :

دانستي كربوسة بمن داد دهـا انكسترين
او اركواي دست من باش ببوستـه شبين

ومعناها (هل تعرف متى قبلتها ان فمها .. كن شاهدي على هذه القبلة التي منحتني اياها) (*) ويظهر ان ابن سناء الملك كان يحاول تقليد بعض الوشحين الاندلسيين الذين كانوا يضعون لموشحاتهم خرجات رومانية امثال ابن بقي الذي يقول في احدى خواتم منظوماته :

البـ ديه اشت ديه	دي ذا العنصر حقا
بشتري مو المدبج	ونشق الرمح شقا

ومعناها : اهذا اليوم يوم فجري ، انه يوم عيد العنصرة ؛ سوف البس ثوبي المزين واشق الرمح شقا) .

واما الظاهرة الثانية التي خالف بها ما درج عليه الوشحون فعدم التزامه احيانا لقافية واحدة في اسماط كل بيت كما في موشحه الذي يقول فيه :

عسى ، ويا قلما تفيد عسى
اري لنفسي من الهوى نفسا
مذ بان عني من قد كلفت به
به قلبي تدلـج في تقلبه
وبي اذن شوق عاتي
ومدمع يوم شاتي
لا اترك اللهو والهوى ابدا
وان اطلت العتاب والفندا
ان شئت فاعدل فلست اسمع
انا الذي في الغرام اتبع
وتحـذي صبابتي
فلتدعني وعاداتي

وغير ابن سناء الملك نبغ وشاحون آخرون في مصر منهم ابن الوكيل صدر الدين محمد بن عمر الدمياطي المعروف برقته في الشعر وبمعارضته لقصائد غيره ، وقد اورد له المقري موشحة ضمن خواتم اقفالها اعجاز تونية ابن زيدون ، منها هذه الاشطار :

غدا منادينا ، محكما فينا
يقضي علينا الاسى لولا تاسينا

بحر الهوى يغرق	من فيه جهده عام
وناره تحرق	من هم او قد هام
وربما تقلق	فتى عليه تام

قد غير الاجسام وصير الايام
سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

ومنهم كذلك محمد بن سليمان بن علي التلمساني المعروف بالشاب الظريف وكما الدين علي بن محمد بن يوسف الشهير بابن النبيه ، وجمال الدين محمد بن محمد بن نباتة الذي اورد له المقري موشحة لا توجد بديوانه وهي التي يقول فيها :

احبتي وصحابي	هذا اوان شرابي
باكر خلاصة خمر	مشوقة للنفوس
على اهله قطر	تحكي شفاه الكؤوس
من كف ظبي كبدر	في الترك نامي الغروس
الى الخطا ذي انتساب	عدمت فيه صوابي

ولم تكن مصر وحدها التي تقبلت هذا الفن النازح من الاندلس ، وانما سمت اليه كذلك اقطار الشام والعراق بالرغم مما كان في هذا الاخير من سيادة الموسيقى والغناء الفارسيين ، وربما كان ابو مروان بن زهر الذي مارس الطب في بغداد ناقل هذا الفن الى العراقيين ، وقد نبغ منهم فيه شهاب الدين محمد بن يوسف التلعفري الموصلي ، والقاسم الواسطي ، وشمس الدين محمد بن دانيال الموصلي ، الطبيب الشاعر ، وعبد العزيز بن سرايا المعروف بصفي الدين الحلي ، ويعتبر من اشهر الوشحين المشارقة ، وفي ديوانه موشحات كثيرة يبدو عليها طابع التكلف والتصنع ومن اشهرها تلك التي يقول في مذهبها :

(*) (دراسات في الشعر في العصر الايوبي) للدكتور محمد كامل حسين ص 129 .

شق جيب الليل عن نحر الصباح ايها الساقون
وبدا للطل في جيد الاقاح لؤلؤ مكنون
ودعانا للذيذ الاصطباح طائر ميمون

وفي آخرها :

نال فعل الخمر من ذات الخمار عند شرب الراح
فغدت تستر من فرط الخمار وجهها الوضاح
خلتها اذ لم تدع بالاختمار غير صلت لاح
قمرا تم لسبع وثمان في الليالي الون
قدرته الشمس في حال القران فهو كالعرجون

اما الشام فمن الاسماء التي لمعت فيها سراج الدين عمر بن مسعود الحلبي ، وخليل بن ايبك الفلسطيني المعروف بالصلاح الصفدي ، وكان متصلا بالوشح الاندلسي محمد بن يوسف بن حيان ولعله استفاد منه كثيرا مما يتعلق بهذا الفن ، ومن قوله في توشيحاته :

لا تحسب القلب عن هواك سلا
وانما حاسدي الذي نقلا حرف
اسلو ولا صبر لي ولا جلد
ونار شوقي وسط الحشا تقد
وكل وجد دون الذي اجد
ما وصل القلب في هواك الى
هذا ولو شئت ان ترى بدلا سوف

وقد وصف ابن خلدون هؤلاء الوشاحين فقال : (واما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما قالوه من الموشحات ، ومن احسن ما وقع لهم في ذلك موشحة ابن سناء الملك التي اشتهرت شرقا وغربا اولها :

حبيبي ارفع حجاب النور عن العذار
تنظر المسك على كافور في جلنار)

واعترف المشارقة انفسهم بذلك وفي مقدمتهم ابن سناء الملك الذي قال عن موشحاته انها كالظل اذا قورنت بالموشحات الاندلسية وانها ناقصة عند قدر كمالها .

الموشحات في المغرب :

اذا كان المشارقة على نحو ما راينا قد عالجوا فن الموشحات وقننوه بعد ان انتقل اليهم على بعد المسافة وطولها ، فماذا كان دور المغاربة الذين هم اقرب العرب جوارا للاندلس ، لا يفصلهم عنها غير مضيق لا يتعدى بضعة اميال والذين اخضعوها لحكمهم في الفترات الاخيرة من تاريخها .

للاسف الشديد ليس في كتب الادب والتاريخ التي بين ايدينا نصوص تثبت ان المغاربة عالجوا فن التوشيح ، وقد كان منتظرا من صاحب المطرب ان يطلعنا على نماذج مغربية لهذا الفن ، خاصة بعد ان قال عن الموشحات بانها (من الفنون التي اغرب بها اهل المغرب على اهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق) ولكنه لم يفعل حتى بالنسبة للاندلسيين واكتفى بذكر موشحين لابي بكر ابن زهر .

ولعل السبب في ضياع هذه الموشحات ان الذين كتبوا عن المغرب اهملوا تسجيلها ظنا منهم انها ليست من الاهمية حتى يوردوا نصوصها ، واعتذر بعضهم عن ذلك بانه (لم تجر العادة بايرادها في الكتب المجلدة المخلدة) .

وربما كان الداعي الى فتور هذا الفن عند المغاربة وعدم اهتمام مؤرخيهم بذكره وتسجيله ان ادباء العصر الموحدي ، وهو عصر ازدهار اللغة العربية وادابها في المغرب، حاولوا البعد عن تقليد الادب الاندلسي معرضين عن اصحابه الذين كانوا كثيري الفخر والمباهاة .

ولكنا مع هذا لا نستبعد ان يكون المغاربة قد عالجوا هذا الفن في كثير من الاتقان والابداع خاصة وقد وفد عليهم كثير من الوشاحين والزجاليين الاندلسيين امثال الحفيد بن زهر ، وابن حزمون والهيثم المريبطري ، وسهل بن مالك الفرناطي ؛ ولعلهم لم يمارسوه الا في العصور المتاخرة وبعد سقوط الاندلس ونزوح الهاربين منها الى المغرب ، وبعد انتشار الطرب الاندلسي القائم على الموشحات واقبال المغاربة عليه .

وقد ازدهر هذا الفن الغنائي الجديد في تطوان وفاس والرباط وهي اهم المدن التي استوطنها اهل الاندلس ، وقامت له اجواق كثيرة متعددة على ما وضعه فنان مغربي لا يستبعد انه من سلالة هؤلاء الوافدين يدعى (الحايك) كان له فضل جمع الموشحات

والازجال وما اليها وتلحين ما ناسب منها مزاج المغاربة وذوقهم . ومن الامثلة على ذلك موشحة فى مدح الرسول لا زال المغاربة حتى اليوم يتغنون بها فى المحافل الدينية منها :

يا محمد يا جوهرة عقدي	يا هلال التمام
المحبة قد هيجت وجدي	وفناني الغرام
انت اسكرتني على سكري	من لذيذ الشراب
ثم خاطبتني كما تدري	ففهمت الخطاب
ثم شاهدت وجهك البدري	عند رفع الحجاب

ولم يلبث المغاربة بعد انتشار فن التوشيح ان ابتكروا فنا قريبا منه تحدث عنه ابن خلدون حين قال (ثم استحدث اهل الامصار بالمغرب فنا آخر من الشعر فى اعاريض مزدوجة كالموشح نظموا فيه بلغتهم الحضرية وسموه عروض البلد وكان اول من استحدثه فيهم رجل من اهل الاندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير فنظم قطعة على طريقة الموشح لم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب الا قليلا فاستحسنه اهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذي ليس من شانهم ، وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافا الى المزدوج والكازي والملعبة ، والغزل واختلفت اسماؤها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها) .

وربما كانت قطعة ابن عمير المشار اليها هي التي يقول فى مطلعها :

ابكاني بشاطىء النهر نوح الحمام
على الغصن فى البستان قريب الصباح
وكف السحر يمحو مداد الظلام
وماء الندى يجري بثغر الاقاح

وقد يكون ميمون بن خبازة وحسن بن عمر السبتي من الذين برعوا فى هذا الفن الذي يغلب على الظن انه كان وسطا بين الزجل والتوشيح ، فقد عرف الاول انه (كان متفننا فى اساليب الكلام معربه وهزله على اختلاق اللغات) وعرف عن الثاني انه كان يجول فى الاسواق وينشد الاغاني والالحان ، كذلك من الذين نبغوا فى هذا الفن الكفيف الزرهوني الذي وصف هزيمة ابي الحسن المريني فى القيروان بقطعة يقول فى اولها :

سبحان مالك خواطر الامر
ونواصيها فى كل حين وزمان
ان طعناه عطفهم لنا قسرا
وان عصيناه عاقب بكل هوان
كن مرعي قل لا تكن راعي
فالراعي عن رعيته مسئول

ولا شك ان هذا الفن الذي تحدث عنه ابن خلدون قد تطور فى العصر المريني الى نوع من الادب الشعبي شديد القرب من الزجل يعرف حتى اليوم (بالملحون) ويظهر انه تطور على يد البربر وكان قد تم تعريبهم فى هذا العهد .

وقد اعتنى به المغاربة فنظم فيه الادباء والملوك والامراء وبرع كثير من الشعراء اهمهم التهامي المضغري الذي كان معاصرا للسلطان عبد الرحمن العلوي والذي كان ولا يزال يعتبر شيخ الملحون فى المغرب .
ومن اهم قصائده فى هذا الفن (النحلة) التي يقول فيها :

اوحى لك الله فى كتاب ولهمك لقطيف الانوار

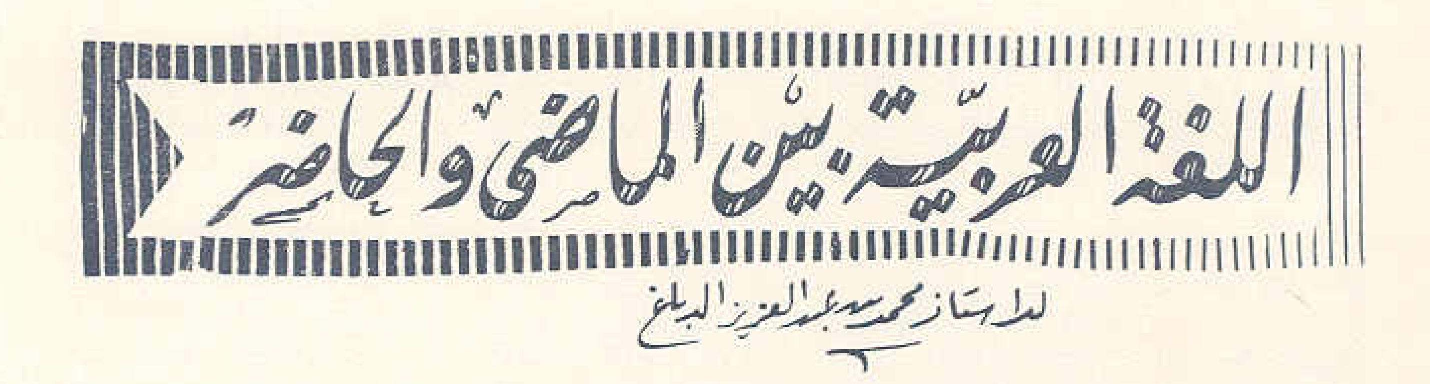
وروى ان السلطان اشتاق الى ابنائه وكان قد بعثهم فى عائلته لزيارة اقاربهم وقبور اجدادهم بتافيلالت فقال :

ما اعظم ذاك اليوم فشصد ناسي واشو

فاجازه المضغري :

تركني نواح فرسيم ضميري كاوي

ــ يتبع ــ



- 2 -

اللغة العربية ايام العباسيين :

العصر العباسي منسوب الى الدولة العباسية التي خلفت الدولة الاموية سنة 132هـ وكان اول ملوكها هو ابو العباس السفاح ولم تكن ايامه ايام ازدهار علمي وانما كانت لتركيز النظام الجديد عن طريق القوة ، وان لقبه بالسفاح ليدل على ذلك ، ثم خلفه اخوه ابو جعفر المنصور ، وكان عالما مهتما بالعلماء وبدات الحركة العلمية فى ايامه تبدو ثم كان بعده المهدي ثم الهادي ثم هارون الرشيد وقد بلغ اعتناؤه بالعلم انه كان لا يسافر الا ومعه مائة عالم يشاورهم ويهتدي برايهم ، ثم كان الامين ، فالمامون وهو الملك السابع من الدولة العباسية وقد ولي الخلافة سنة 218هـ ويعتبر اعظم ملك فيها على الاطلاق .

وقد قررنا مرارا ان اللغة لا تسمو الا باصحابها وانها لا تكتسب القوة الا عن طريقهم ولذلك نرى ان اللغة العربية ايام مجد العرب لم تجد من وصفها بالجمود والانحلال والتقهقر لان القوة كانت بيد العرب .

وحيث ان العرب كانت لهم فى صدر الاسلام وفى العصر الاموي وفى العصر العباسي قوة ، كانت لغتها تسرع الى الشعوب بقوة هائلة ، ويتسابق الناس الى تعلمها لانهم يعلمون ان الاطلاع عليها سيقربهم من كراسي الحكم وسيجعل لهم عند المسلمين جاها .

ولما تولى المامون الخلافة لم يترك التقدم العلمي للمصادفة ، بل اسس مدارس خاصة للتعليم واعتنى بالكتب العلمية واسس خزانة عظمى سماها « دار الحكمة » ويقال أن هاته الخزانة كانت تضم جل الكتب التى الفت باللغات الاجنبية، كاليونانية والفرسية والعبرية والهندية .

ولقد اتصل بملوك الروم فارسلوا له بعض الكتب وجعل من شروط صلحه مع ميخائيل الثالث ملك البزنطيين ان يرسل اليه بعض الكتب النادرة .

ولم يكن هم المامون هو جمع الكتب ، ولكنه كان يرى ان اعظم شيء يمكن ان تثبت به قواعد الدول هو العلم ، وراى ان اللغة العربية كانت تتسع للدراسات الفقهية والادبية واللغوية ، وان العرب كانوا مشهورين بالشعر والفقه والكلام ، ولكنهم كانوا فى حاجة الى الرومانيين فى الطب ونحوه ، وراى ان الذين يدرسون هاته المواد من العرب يرجعون فيها الى ما خلفه اليونانيون ، لذلك راى انه لا يهدأ له بال الا اذا ضمت اللغة العربية كل ذلك فجمع علماء يحسنون اللغة العربية واللغات الاجنبية وخصص فريقا لترجمة الكتب الفارسية وفريقا لترجمة الكتب اليونانية وآخرين لترجمة الكتب العبرية والهندسية واصبحت اللغة العربية ترحب بهاته العلوم ووسعتها جميعها .

وقد عمل المامون على ترجمة جل ما الفه افلاطون وارسطو وسقراط وجالينوس واوكليد (اقليدش) من اليونان، وعمل على ترجمة جل ما الفه الفرس من كتب الادب والفلسفة كما عمل على نقل ما عند الهنود من الكتب فى الحساب والنجوم .

وضم حوله جماعة من المترجمين ينتمي اكثرهم الى المسيحيين ، واسس مدرسة للترجمة ادت اكبر الخدمات الى اللغة العربية والى العرب انفسهم .

يقول سيديو Sedillot احد المؤرخين الفرنسيين المولودبباريس سنة1808م في كتاب له اسمه خلاصة تاريخ العرب : « ان العباسيين رتبوا خمسة عشر الف دينار لمدرسة يتعلم بها مجانا ستة آلاف تلميذ من الفقراء والاغنياء ، وانشأوا مراكز للتعليم الحر رخصوا الدخول فيها لمن اراد ، فانتشرت اللغة العربية في سائر جهات آسيا حتى تكلموا بها بدلا عن لغتهم ، واعتاد المامون ومن اقتدى به بعده حضور الدروس العامة التي يلقيها المدرسون » ويقول ايضا : « ان العباسيين بنوا ارصادا بها آلات عجيبة للاستكشاف الفلكي ومستشفيات يمتحن فيها من اراد ان يوظف عدة امتحانات » .

ونحن اذا ما راينا شهادة هذا المؤرخ الفرنسي فاننا لنعرف ما ادته الدولة العباسية الى الحضارة العربية من مجد ، وقد كان المامون ينفق بسخاء على ترجمة الكتب بحيث كان يعطي نفقة شهرية تعد بخمسمائة دينار في الشهر لكل مترجم ، ومما يحكى أن المامون كان يعطي لحنين بن اسحق اصفر مترجميه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى اللغة العربية مثلا بمثل (*) .

ولما نقل العرب هاته العلوم لم يكونوا جامدين بل تصرفوا فيها وشرحوها وحللوها وربطوا بعضها ببعض وبينوا الاسباب لبعض المظاهر الطبيعية كالانعكاس الضوئي مثلا الذي يتجلى في قوس قزح .

وقد اخترع العرب بلغتهم العربية القواعد الاساسية لعلم الجبر حتى أن هاته الكلمة ماخوذة من اسم كتاب الفه محمد بن موسى الخوارزمي للمامون اسمه « حساب الجبر والمقابلة » وقر المامون امره بتاليف كتاب باسلوب بسيط يبين فيه طريقة المعادلات الجبرية ، كما انهم قد اشتهروا بالطب والفلسفة حتى ان ابا بكر الرازي (864 ـ 932م) لقب بجالينوس العرب لاعتبارمهارته في الطب، وقد استطاع ان يشخص مرض الحصبة والجدري والسل ، وهو اول من اشار الى وجود الجراثيم قبل ان يقول باستور ذلك بالف سنة ، والف باللغة العربية كتبا متعددة في ذلك وترجمت فيما بعد الى اللغة اللاتينية ، واشتهر بين العرب ابو نصر محمد الفارابي (260 ـ 334 هـ 873 ـ 950 م) الملقب بالمعلم الثاني لانه سعى الى التوفيق بين آراء ارسطو وافلاطون .

ونحن اذا ما تحدثنا عن الحركة العلمية ايام العباسيين وركزنا اتجاهنا في نهضة اللغة العربية من الناحية العلمية دون غيرها لندل على ان لغة العرب لم تكن لغة الادب فقط ، بل هي لغة العلم ايضا ، وقد شاهدنا بعد هذا النهوض الموجز ان العرب كانت لهم شخصية قوية في خلق اتجاه علمي جديد كان له اكبر الاثر في توجيه الغرب فيما بعد .

اللغة العربية بالمغرب والاندلس :

واذا كنا راينا ما حققته اللغة العربية من نصر في الشرق ، فيجب ان نعلم ان العرب بالمغرب والاندلس لم يكونوا خاملين ، بل انهم كانوا يعملون جهد مستطاعهم على ان تكون اللغة العربية هي اللغة السائدة فان عبد الرحمن المامون الداخل الى الاندلس والملقب بصقر قريش قد اقام دولة بالاندلس تناهض دولة العباسيين ، كما ان المولى ادريس قد اسس بالمغرب الاقصى دولة بالاستعانة بالبربر ، وكانت اللغة العربية هي اللغة التي يعمل كل من هذين المؤسسين لتكون هي الرسمية في البلاد الا ان الدولة الاموية بالاندلس كانت لها من القوة ما هو اشد من دولة الادارسة نظرا للعصبية العربية التي كانت قوية بالاندلس ، وقد بلغت هذه الدولة اوج مجدها ايام عبد الرحمن الناصر ما بين سنة 300 و350 هـ .

وانتشرت اللغة العربية في الاندلس ايام الامويين انتشارا لا مثيل له ، حتى قال دوزي في كتاب له اسمه تاريخ مسلمي اسبانيا: «ان اسبانيا المسلمة كادت كلها تقرا وتكتب على حين ان الطبقة الرفيعة من اوربا المسيحية لم تكن كذلك اذا استثنينا رجال الدين » .

وعن طريق الاندلس والمغرب انتقلت حضارة العرب الى اوربا ، وعن طريق العرب عرف الاوربيون اشعاع الحضارة واهتدوا الى المعرفة وانتقلوا من جهالة القرون الوسطى الى عصر النهضة ، ولولا العرب لتاخرت حضارة اوربا قرونا اخرى ، ولقد شعر الاوربيون حينما اتصلوا بالعرب بانه يجب عليهم ان

(*) عصر المامون للدكتور احمد فريد الرفاعي ط الرابعة ج 1 ص 377 .

يقتدوا بهم ، وان يطلعوا على علومهم ، وان يترجموا كتبهم ، واصبحوا يؤمون الجامعات العربية ليتعلموا وتوجه الفرنسيون ومن جاورهم الى طليطلة وقرطبة وفاس وغصت جامعة القرويين بالوفود من كل ناحية .

ولقد اشتهرت هاته الجامعات بالمحافظة على اللغة العربية وعلى الثقافة الاسلامية وعلى نشر العلوم العامة فكانت هي الواسطة بين حضارة اليونان القديمة وحضارة اوربا الحديثة .

ولم تصل حضارة العرب الى اوربا عن طريق الثقافة ، بل وصلت كذلك عن طريق الفتح العربي ، فالعرب كانوا قد وصلوا الى اسبانيا واحتلوا صقلية وغزوا فرنسا ووقعت جل مدنها الجنوبية في قبضتهم، فاحتلوا بروفانس وبوردو ومرسيليا وارلو ووصلوا الى بواتييه ، ولا شك ان هذا الاحتلال اثر على الحضارة الاوربية وعلى لغتها ودخلت عدد من الكلمات العربيةالى لغتهم فنجدمثلا لفظة damasquiner بمعنى رصع اي خلط النحاس ببعض الخطوط الذهبية او الفضية وذلك بارجاعها الى تلك الصنعة الفنية التي اشتهرت بها دمشق ، ونجد ايضا كثيرا من الكلمات الدخيلة في لغتهم كلفظة coton قطن magazins مخازن ، ولفظة chemise قميص ، ولفظة chèque صك ، وغير ذلك كثير .

ولم يقتصر العرب في الاندلس والمغرب على الاطلاع على العلوم الرياضية فقط ، بل اشتهروا بعلم الجغرافية والتاريخ والرحلات ومن اشهرهم الادريسي السبتي 1166 م (560هـ) الذي ذهب الى صقلية واتصل بملكها روجر الثاني فالف له كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق في شرح الكرة الارضية الفضية التي رسمها الشريف الادريسي باللغة العربية ، ورسم في هذا الكتاب احدى وسبعين خريطة تناقلها الاوربيون وترجموها الى لغتهم .

واننا بعد هاته النظرة نجد ان العرب اذا كانوا عملوا ما في جهدهم ليكونوا سادة العالم وان كانوا قد جعلوا من لغتهم لغة تتسع لجميع العلوم والاداب فانهم ايضا استطاعوا ان يدخلوا الى اوربا الكتابة الموسيقية فان ما خلفه زرياب الموسيقي في اصول الموسيقى الاسبانية ليعد دليلا على ما كان للعرب من مجد وحضارة .

يقول عمر الدسوقي في احد اعداد مجلة الامالي « فالموسيقى يدين بها الاوربيون للعرب اذ ان آلاتها عربية ، فالقيثارة والعود والرباب كل ذلك من اختراع العرب وليس هذا عجيب بل ان النوطة الموسيقية التي اخترعها الخليل بن احمد ، وزاد عليها الفارابي والكندي وابن سينا مع ماعرفوه من الموسيقى اليونانية، قد اثرت اثرا كبيرا في الموسيقى الاوربية اذ لم تكن اوربا قبل العرب تعرف العزف الجمعي (اوركسترا) الى ان دخلت الكتابة الموسيقية العربية » .

واننا اذا ما اطلنا في ذكر الحضارة العربية فلاننا نؤمن بان هاته الحضارة كان للغة العربية اكبر الاثر في تدوينها والعمل على نشرها بدليل الحركة الاستشراقية التي انبثقت من اوربا لتنقل كل ما عندنا الى الاوربيين وبدليل ما خلفته هاته الحركة من اثر على الاتجاه العلمي في اوربا ما زالت تستغل نتائجه الى الآن .

اللغة العربية ايام المماليك والعثمانيين الى سنة 1220 هـ :

في سنة 556 هـ (1258 م) انقض التتار على بغداد وخربوها واحرقوا عددا كبيرا من الكتب العربية وقتلوا المستعصم آخر الملوك العباسيين ، وضعف بذلك شان اللغة العربية ، الا ان الدولة في مصر كانت بيد المماليك ولم تكن لهم لغة خاصة يقاومون بها اللغة العربية لذلك بقيت بعض الحركات العلمية باللغة العربية في مصر والشام والمغرب والاندلس ، ومع ذلك فقد ضعف شان العرب لتجزئتهم وتفرقتهم واستيلاء الترك على كثير من دول الشرق وجعل اللغة التركية هي اللغة الرسمية في الدولة التابعة لها ، وتبع هذا الضعف انحلال في الاتجاه الفكري العربي وفي الاسلوب الادبي وغلب على التاليف مظاهر من السجع المكلف والاعتناء بالجناس والطباق والمحسنات اللفظية ، الا ما شذ من بعض البلدان حيث ظهر فيها بعض المؤلفين الافذاذ كابن خلدون بتونس والسيوطي بمصر ، ولم يبق اعتناء الشعب باللغة لانها لم تبق موصلة الى كراسي الحكم بل ضعف شان العلم نفسه لان كثيرا من المناصب القضائية اصبحت تورث ولو من اب عالم الى ابن جاهل وهكذا نعتبر هذا العصر هو عصر الانحطاط اللغوي ولا نطيل فيه الحديث فلننتقل منه الى عصر النهضة .

عصر النهضة 1220 هـ :

لا تعيش اللغات الا باحياء ذويها ، ونحن نرى ان اللغة العربية قد ضعفت لما استولى التركيون على الحكم فى الشرق وكذلك لما عمل الاسبانيون على ارجاع الاندلس من المسلمين ، واما فى المغرب فقد ضعفت ايضا نظرا لان الاتجاه العملي فى المغرب حينذاك انما كان يقوم على رد كل عدوان سواء عن طريق الغرب او الشرق ، وبقي المغرب محافظا على عروبته ولم يستطع العثمانيون الاتراك ان يحتلوه رغم ما كانوا يقومون به من مناورات ، ومن يدرس تاريخ الدولة السعدية يعرف ما كان يقوم به المغرب من الاعمال لحفظ حريته وعروبته سواء من غزو البرتغاليين والاسبانيين او من جشع التركيين .

ولكن لا نستطيع ان نتغافل عن الوعي العربي الذي انتشر فى الامم العربية فى اوائل القرن الماضي وعن التفكير الذي اصبح يسود العرب لرد مجدهم وقد انتبهوا لذلك يوم غزا نابليون بونابرت مصر فادخل المطبعة اليها وفتح المدارس ونظم المصانع ، فلما اخرجه المصريون واستولى محمد على على الحكم اراد ان ياخذ النظم الاوربية وان يجعلها اساسا لدولته ، لذلك راى انه لا يمكن ان ينجح الا اذا عمل على احياء اللغة العربية وعلى ترجمة العلوم من اللغات الاوربية وبذلك ابتدات الحركة العلمية من جديد واصبحنا ناخذ ما كنا قد اعطيناه وارسل البعثات الى اوربا ، كما قامت حركة اخرى ببلادنا تعهدها المولى الحسن العلوي وارسل بعثات الى اوربا ايضا ونهضت حركة التعليم بلبنان وقام اليسوعيون بدور فعال فى احياء اللغة من جديد .

عمل هؤلاء جميعا على احياء اللغة العربية واحياء العلوم واقتباس ما عند الافرنج وقامت جامعة الازهر فى مصر ، وجامعة الزيتونة فى تونس ، وجامعة القرويين بفاس باعظم الاثر فى حفظ اللغة خصوصا عندما اصبح الاوربيون عازمين على غزو هذا الوعي العربي متفقين على تجزئة العرب واحتلالهم والقضاء على معنوياتهم واستغلال ارضهم وعقولهم، فاستعمروا ارضنا واستعمروا ارواحنا بما كانوا ينفثونه من افكار فتاكة تقضي على تراثنا وتنسينا تاريخنا ، وعملوا جهد مستطاعهم على اماتة لغتنا ونعتوها باللغة الميتة ولكننا حينما شعرنا بان اللغة لا تموت الا اذا مات اهلها ؛ قام العرب فى كل انحاء العالم يعملون على تهذيب لغتهم واجتهدوا فى تطعيمها وتقليمها حتى تصبح صالحة للتقدم العلمي الجديد وقامت حركة مباركة فى القرن الماضي وما زالت تؤتي اكلها الى الآن .

ابتدات حركة النقل فى عصر النهضة بمدرسة الترجمةالتي كانيراسهافى مصر الاستاذرفاعةالطهطاوي وهو الاستاذ الفذ الذي اخذ ثقافته فى جامعة الازهر ، ثم ارسل اماما لبعثة علمية الى فرنسا فاستهوته اللغة الفرنسية فدرسها ، ولما رجع الى مصر اصبح مدير مدرسة ابي زعبل للترجمة وكانت تضم مائتين وخمسين تلميذا من بينهم علي مبارك الذي اختص

فى الهندسة وعمل على نقل كثير من الكتب العلمية من اللغات الاجنبية ، وهو الذي اعطى الامر لما كان وزير التعليم بمصر على نقل جل الكتب التي تعترف للعرب بقيمتهم ومنها كتاب خلاصة تاريخ العرب لسيديو الذي اخذنا بعض فقراته حين التكلم على اللغة العربية ايام العباسيين ، ومن اعماله العظيمة انشاء دار الكتب ، وانشاء مدرسة دار العلوم وفق فيها بين طلبة العلم القديم وطلبة العلم الحديث ، توفى سنة 1311 هـ.

ومن الله على اللغة العربية حين بعث فى القرن الماضي الامام محمد عبده فأحياها من الاندثار وعهد اليه بتدريسها فى دار العلوم ، فكان خير استاذ استطاع ان يدل التلاميذ على مكنون اللغة وجواهرها وعلى قدرتها على التعبير عن جل المعاني ، الا انه لاحظ ان بعض الكتب التي ترجمت فيها نوع من الركاكة والعجز عن التعبير عن بعض المصطلحات العلمية الحديثة ، لذلك اتفق مع بعض اصدقائه على ايجاد مجمع لغوي يحددون فيهالكلمات العربية المناسبة لتلك المصطلحات ، ولكن هذا العمل لم يتم نظرا لكثرة الحوادث السياسية التي كانت تحيط بالدولة المصرية والتي شغلت هؤلاء العلماء ، ولكن الفكرة لم يقض عليها بل استمرت فى النفوس الى ان وجدت من الاستاذ محمد كرد علي رحمه الله رجلا قوي العزيمة والايمان فاتفق مع جماعة من اصدقائه واسسوا المجمع اللغوي العربي سنة 1920 بدمشق؛ وسار على نهجه مجمع آخر تاسس بالقاهرة سنة 1934 ، ولقد عمل هذان المجمعان ما فى استطاعتهما لنقل كثير من المصطلحات العلمية ، وتاسست بعض المجامع فى

بغداد وغيرها ، وفي السنة الماضية تأسس مجمع لغوي بالرباط وسيتعاون هؤلاء جميعا على تعزيز جانب اللغة العربية في العصر الحديث .

وما مؤتمر اللغة العربية الذي انعقد بالمغرب الا دليل على اهتمام العرب بمستقبل لغتهم .

ولم يعد الآن شك في اعتبار اللغة العربية لغة حية وان اعتراف هيئة الاونيسكو بها لاكبر دليل على ذلك فقد طبعت لاول مرة مجلتها (البريد) بلغتنا وذلك بتاريخ 16 دسمبر 1960 ولقد خصصت اعتمادا كبيرا للتعريف بالادب العربي وعلوم العرب الى العالم كلـه .

انه من العار ان تعترف هيئة دولية بلغتنا في الوقت الذي ما يزال فيه بعض الشباب العربي لا يومن بها ولا يعمل على نشرها بكل الوسائل ، ان قوميتنا لا تثبت الا على اساس اللغة العربية وذلك لان تراثنا لا يتجلى للعيان الا بواسطتها فلنقتد بتاريخنا ، ولنعمل على تحقيق مجدنا ، ولنقبل بكل قوانا على التعريب والاستفادة من الانطلاقة الادبية الشعبية ومن الاتجاه العلمي المنظم الذي تنشره مجامعنا .

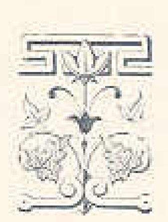
اننا اذا رددنا بان اللغة العربية ضعيفة او بان فكرنا ضعيف فانما ذلك اعتراف لما يردده اعداؤنا يجب ان نتحداهم ، وان نجعل لغتنا لغة العلم كما كانت من قبل فاذا ما قلنا في المغرب ان التعريب لا يمكن نظرا لعدم وجود الاساتذة باللغة العربية وانتظرنا حتى يوجدوا ، وآمنا بان هاته العلوم يجب ان تدرس بلغة اجنبية فلا شك ان الذين سيوجدون سيكونون جاهلين باللغة العربية ايضا ، فاذا اردنا ان نعرب التعليم بعد عشر سنوات فسيقول الآخرون : ان التعريب لا يمكن نظرا لعدم وجود الاساتذة باللغة العربية ولننتظر حتى يوجدوا وهكذا تستمر العلة ويستمر التعليم بلغة غير لغتنا .

نحن لا ننكر فضل اللغات الاخرى على العالم وعلينا ايضا ولكننا ننكر ان ننسى لغتنا وحضارتنا وتاريخنا ونتصل بلغة اخرى فنطلع بواسطتها على حضارة الاوربيين وعلومهم فنعظمهم ونستصغر تراثنا وعروبتنا، ونحن لا ندعي ان اللغة العربية اصبحت الآن في طور الكمال لان هذا الاعتبار سيعد من خطل القول، ولكننا نريد ان نقول ان اللغة التي استطاعت ان تنهض ايام العباسيين وان تسع حضارة اليونان ، تستطيع الآن اذا ما توحدت جهود العرب ان تساير الركب وان تكون في مقدمتـه .

لذلك يجب ان نضع انفسنا امام الامر الواقع وان نعلن تعريب التعليم وبذلك سنضطر الى ايجاد ما عجزنا عليه ، لان الحاجة دائما هي التي تدعو الى الاكتشاف والاستنباط سواء في حاجيات الانسان الضرورية او في التعبير عن مفاهيمها بعد اكتشافها ، ونحن نرى ان كثيرا من الاختراعات الحديثة قد وجدت من العرب عند ارادة التعبير انطلاقا من السنتهم وفكرهم فاختلقوا لها معاني جديدة كانت ملائمة للمعنى المقصود بها بعد الوضع ، فالقطار والسيارة ، والدبابة او الزاحفة ، والصاروخ ، والقنبلة الذرية والقمر الاصطناعي ، والسفينة الفضائية كل هذا يدل على ان في لغتنا تعابير يمكن ان تستعمل للدلالة على جل المخترعات .

وما هاته الامثلة الا ادلة على اننا اذا هيأنا الفرصة لانتشار لغتنا فسيجد المجال كثير من العلماء والادباء لخلق ما احتجنا اليـه .

وليعلم العرب انه لا يرجع انجاح لغتنا الا لايدينا فلنؤمن بانتصارنا ولنعتقد ذلك لان الايمان هو اساس النجاح ومهما دخل الايمان بشيء في قلوب قوم الا حولوه من طريق التفكير الى طريق التطبيق والانجاز .



من تراثنا الفكري في الاندلس

أبو محمد بن عبدون اليابري

للاستاذ
محمد الامين محمد

تمهيـد :

الشخصية التي نحن بصدد دراستها وهـي شخصية ابي محمد بن عبدون من الشخصيات الفـذة النادرة فى الاندلس ، بل من العبقريات الفريدة التـي يزهى بها الاندلس بوجه عام ويابرة بوجه خاص ، فقد اجتمعت لابن عبدون هذا مواهب متعددة ، وتوافرت لديه امكانيات علمية وثقافية قلما تهيأت لكثيرين غيره فيمن عرفنا من الاندلسيين ، كان ابن عبدون لغويـا فقيها اديبا شاعرا كاتبا ، او بعبارة اخرى ملما بكثيـر من العلوم التي كانت معروفة فى عصره ، ثم هو الى جانب هذا كان واسع الاطلاع كثير الحفظ صافـي القريحة متوقد الذكاء ، صائب الراي ، قوي الحجـة ناقدا متبصرا ، ذا دراية واسعة بايام العرب واخبارها، وبقديم الشعر العربي وحديثه ، يدرك هذا من يقـرا تلك الثروة الضخمة التي خلفها وراءه من شـعر ونثر والتي ما تزال بعد متناثرة هنا وهناك فى ثنايـا الكتب والمخطوطات ولم يقدر لها ان تنشر فى كتاب يسـهل تناوله ويقرب ماتاه على عشاق الادب وطلاب البحث ومحبي المعرفـة .

ومع انه قد مضى على وفاة ابن عبدون نحـو سبعة قرون فان شخصيته لمـا تزل بعد مجهولة ولا يعرف من انتاجه الادبي اكثر من قصيدته فى رثاء بني الافطس ، كما يعرف عنه البعض قوة ذاكرته وانه يحفظ كتاب الاغاني ، ثم لا يعرف عنه اكثر من هذا ، وهـو الامر الذي حدانا ان نعرف بشخصيته وبمكانته بيـن مفكري عصره ، وان ننفض عن تلك الشخصية غبـار القرون ونجلوها فى اطار واضح يفيد منه المتطلعون الى تراثنا فى الاندلس ، ولن ننفض ايدينا من هذا البحث كذلك قبل ان نقدم للقاريء العزيز دراسة منهجية لاثار ابن عبدون الادبية ونعني بذلك شعره ونثره ، محاولين ان نبين مصادر ثقافتـه والعوامـل التي اثـرت فى شخصيته الادبية ولونت ادبه على نحو ما سترى ذلك بعـد .

مولده ونشأتـه :

كان مولد ابن عبدون فى يابرة من اعمال بطليوس بغرب الاندلـس ، وهي اليوم من مدن البرتغال ، وقـد كانت يابرة على عهد ابن عبدون موطنا لكثير من العلماء والادباء من بينهم ابو بكر (*) عبد الله بـن طلحـة اليابري النحوي الذي ارتحل الى اشبيلية فروى عن ابي الوليد الباجي ، كما روى عن جماعـة من علمـاء بطليوس من بينهم ابو بكر بـن ايوب وابو الحزم بـن عليم وابو عبد الله بن مزاحم ، ومن علماء يابرة كذلك خلف (*) بن فتح بن نادر الاديب اللغوي اليابري الذي كان قد ارتحل الى قرطبة وروى عن ابي محمد عبـد الله بن سعيد ومنهم كذلـك شعيب (*) بن عيسـى ابن علي بن جابر الاديب المقريء الـذي روى عن خاله

---

* ياقوت : معجم البلدان ج 7 ص 489
* شكيب ارسلان : الحلل السندسية ج 1 ص 52
* ابن الجزري : غاية النهايـة فى طبقات القراء ج 1 ص 328

خلف بن شعيب وعن ابي بكر محمد بن الفرج البطليوسي وعن ابي بكر بن عباس وعبد الله بن طلحة وغيرهم .

وهكذا كانت يابرة تزخر بالعلماء والادباء فولد ابن عبدون ثم نشأ في جو ادبي علمي يحيط به ، وقد كان لهذا الجو اثره في تكوينه الثقافي .

لم نقع على مصدر واحد من بين المصادر العربية او غيرهما ذكر لنا تاريخ مولد ابن عبدون ، ولعل ابن عبدون ليس وحده الذي يجهل تاريخ مولده ، بل هناك شخصيات اندلسية كثيرة من معاصريه لايعرف عن تاريخ مولدهم شيء ، اذ لم تكن العناية بتسجيل تاريخ الميلاد في كثير من الحالات من الامور الهامة ، بل كانوا يعنون بذكر تاريخ الوفاة اكثر من عنايتهم بذكر تاريخ الميلاد ، ونحن وان كنا لم نتعرف على تاريخ مولده بالضبط ، ولكنا سنستطيع مما توافر لدينا من وسائل البحث ان نشير الى ذلك التاريخ اشارة تقريبية . نستطيع ان نقرر بان ابن عبدون قد ولد سنة 430هـ او قبل ذلك بقليل مستندين في ذلك الى امرين :

احدهما ما اورده الضبي (*) حيث يقول « ابن عبدون اليابري اديب شاعر كان في حدود الاربعمائة او نحوها » . وثانيهما ما ذكره ابن بسام (*) من ان ابن عبدون حينما استوحش من المنصور بن الافطس ولحق باشبيلية قد كتب الى ابن زيدون بهذه الابيات:

لك الخير من مشري اليدين من العلى
اذا تربت ايدي الندى والتطول

بما كان بين الماضيين من الذي
اليه اجتهادي او اليه معولي

فلم تتمسك بالمؤيد لي يد
وقد زلقت رجلي عن المتوكل

ولسنا نستطيع ان نجاري الضبي فيما اشار اليه من ان ابن عبدون قد ولد مثلا سنة 400 او سنة 410 لانه من الثابت في جميع المصادر العربية وغيرها ان وفاة ابن عبدون كانت في منتصف العقد الثالث من القرن السادس الهجري او اخرياته ونعني سنة 526 او 529 ، وطبقا لما ذهب اليه الضبي يكون ابن عبدون قد عاش مائة وعشرين سنة تقريبا وهوامر يعتبر قليل الاحتمال اذا قسناه بالنسبة الى معاصري ابن عبدون

ولاشك ان تلك الابيات التي بعث بها ابن عبدون الى ابن زيدون كانت فيما بين سنة 441 و460 ، اذ ان الثابت ان ابن زيدون قد افلت من السجن الذي وضعه فيه ابن جهور سنة 441 حيث لحق باشبيلية واتصل ببلاط بني عباد ، ومن الثابت كذلك ان المنصور ابن الافطس قد توفي سنة 460 كما كانت وفاة ابن زيدون سنة 462 ولنا أن نتصور بان ابن عبدون عند ما بعث بالابيات المتقدمة الى ابن زيدون كان في الثلاثين من عمره تقريبا، في وقت كانت فيه فكرته قد انحصرت في الادب الامر الذي جعله يطلب عملا في بلاط بني عباد ، والى جوار ابن زيدون وهو يعلم منزلة هذا في الادب والشعر ، كما يعلم بان المعتمد الذي يطلب العمل في بلاطه هو نفسه شاعر رقيق الاحساس مرهف الشعور وناقد بصير ، وايا ما كان الامر فقد تحققت لابن عبدون بغيته وعاش في بلاط المعتمد فترة لم تطل مدحه فيها بكثير من القصائد التي ستوردها بعد في مكانها من هذا البحث ، ولكن سوته لم تنفق مما جعله يترك اشبيلية ويلحق بصديقه القديم المتوكل ابن الافطس ، ولم يثبت لدينا بان ابن عبدون ولي عملا رسميا للمعتمد بن عباد ، وان كان عبد الواحد (*) قد ذكر بان ابن عبدون كان من بين كتاب المعتمد ، ولكنا لم نجد ذكر ذلك في مصدر آخر من المصادر التي تحدثت عن ابن عبدون ، كما انا لم نعثر على رسالة واحدة مما كتبه ابن عبدون عن المعتمد .

لقد ابتدا ابن عبدون دراسته الاولى في بلده يابرة حيث حفظ القرءان الكريم ودرس مبادىء النحو واللغة ، وكان استاذه اذ ذاك (*) محمد بن علي ابن يعيش المعروف بابي الوليد بن ضابط النحوي ، بدأ ابن عبدون يدرس على ابي الوليد هذا وهو في الثالثة عشرة من عمره حيث تفتحت مواهبه للادب وبدأ يعالج قول الشعر ، ونحسب ان تأثره باستاذه هو الذي غرس في نفسه الميل الى الشعر ، فقد كان

(*) بغية الملتمس ص 523 .
(*) القسم الثاني من الذخيرة مخطوط جامعة القاهرة ورقة رقم 438 .
(*) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 164 .
(*) التكملة لكتاب الصلة ج 1 ص 141 .

ابن ضابط هذا متكسبا بالشعر الا انه لم يصب نجحا، يروى (※) انه ضجر يوما فقال :

« الشعر خطة خسف » .

وكان ابن عبدون جالسا بين يديه ، فكتب في لوحه يكمل المصراع الثاني من البيت : « لكل طالب عرف » .

ثم زاد بيتا آخر كتبه وهو :

للشيخ عيبة عيب　　　وللفتى ظرف ظرف

قال ابن عبدون : انه لما كتب هذا نظر اليه مؤدبه ابو الوليد وقال له : يا عبد المجيد ماذا تكتب ؟ فأراه البيتين فلما رآهما لطمه وعرك اذنه وقال له : لا تشتغل بهذا ، ثم اخذ البيتين عنده ، وانما نهاه عن قول الشعر لانه هو شخصيا كان شيخا مسنا يستجدي بالشعر وقد ادى به اخفاقه في التكسب الى كراهية الشعر .

وليس من شك في ان هذا الشعر يدل على الموهبة التي كان يتمتع بها ابن عبدون منذ حداثته واستعداده لقول الشعر بفطرته ، كما يدل على حدة ذكائه وروحه الساخرة التي جعلته يغمز استاذه ويعرض به مشيرا الى تكسبه وهو الامر الذي جعل استاذه يلطمه ويعرك اذنه .

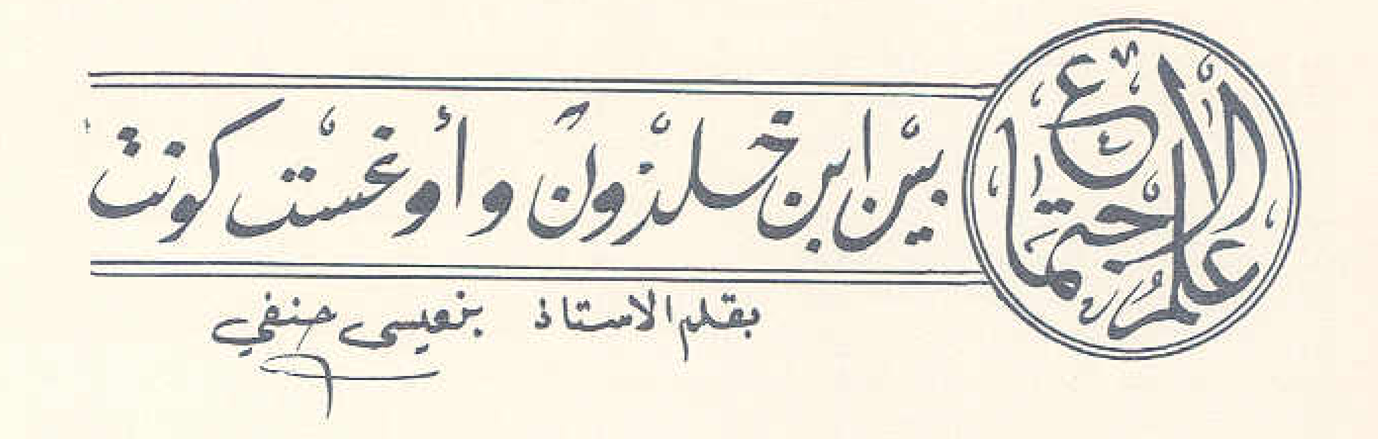
على ان ابن عبدون ما لبث ان ضاق ذرعا باستاذه هذا واحس بانه في حاجة الى ان يلتمس اساتذة آخرين اوسع افاقا واغزر مادة في الادب واللغة واكثر تسامحا من ابن ضابط ، فاتصل بابي مروان بن سراج، وكان ابو مروان هذا من اعيان (※) البيان ، بليغا فصيحا ذا مرتبة سامية في الادب كما كان شاعرا مجيدا ولكنه كان ضيق الطبع سريع الغضب ومن ثم لم يلازمه ابن عبدون طويلا مع حرصه على الافادة منه ، ولذا سرعان ما نجده يبحث له عن استاذ غيره يشبع لديه رغبته في الاستزادة من العلم والمعرفة ، ولكنه في هذه المرة لم يظفر بطلبته في بلده يابرة ، فيمم وجهه شطر بطليوس حيث التقى هناك بابي الحجاج يوسف ابن سليمان النحوي الاديب المعروف بالاعلم ، وكان ابو الحجاج هذا عالما (※) بالعربية واللغة ومعاني الاشعار حافظا لها حسن الضبط لما يحفظ ، دقيق الرواية كثير الاعتناء بها مشهورا بذلك ، ولقد اتصلت اسباب ابن عبدون بابي الحجاج هذا واعجب كل منهما بالآخر ، الاستاذ بتلميذه والتلميذ باستاذه ، وقامت بينهما روابط من الود المتبادل فافاد ابن عبدون من استاذه كثيرا واخذ عنه كثيرا من مسائل اللغة والنحو ومعاني الشعر كما درس عليه شعر المتنبي بوجه خاص وهو الامر الذي كان له بعد في حياة ابن عبدون وشعره اكبر الاثر ، على ان ابن عبدون ما لبث ان هجر استاذه هذا على غير قلي وذهب فاتصل بابي عاصم بن ايوب حيث روى عنه الحديث والفقه واللغة كذلك ، وكان ابن عبدون اذ ذاك قد احس بمكانته في الادب وبمنزلته في الشعر فابتدات نفسه تتطلع الى مستقبل احسن والى حياة اكرم ، ولذلك نراه يضيق ذرعا ببلدته يابرة التي كان قد رجع اليها ، ويرى من العار بقاءه فيها فنسمعه يقول :

فعاد على العلياء سكناي بلدة
كبلدة عالي الافق من دون انجم

ثم يتصل بالمنصور بن الافطس فيمدحه ولكن سوقه لم تنفق لديه ، فيقرر الهجرة الى اشبيلية .

— يتبع —

※ المقري : نفح الطيب ج4 ص 367 .
※ ابن خاقان : قلائد العقيان ص 198 .
※ السيوطي : بغية الوعاة ص 422 .



من هم مؤسس علم الاجتمـاع ؟

قـد يكون من المفيد ، قبل ان نحاول الاجابة على هذا السؤال ، ان نتفق على بعض من المبـادىء الاساسية التي من شانها ان تلقي بعض الاضواء على البحث ، ومن جملة هذه المبادىء ، ينبغي ان نتفق منذ البداية على معنى التأسيس .

يقول احد اساتذة علم النفس التكنيكي في تعريف العلم : ان النظرية وحدها ليست هي العلم ، كما ان التطبيق وحده ليس هو العلم ، ان العلم الصحيح هو ما تركب من النظري والعملي ، وذلك انه لا فائدة من النظرية التي لا يمكن ان تتحقق عمليا، ومن جهة اخرى فان التجربة العملية لا تستغني عن النظرية التي توجهها (*) .

واذا كان هذا صحيحا بالنسبة للعلوم التكنيكية فانه صحيح ايضا بالنسبة لعلم الاجتماع ، ويبدو لنا ان العالم الذي يقف من المجتمع موقف المتفرج ويكتفي بدراسته نظريا ، ان مثل هذا العالم لا يستحق لقب العالم الاجتماعي ، ومن قبيل المستحيل ان تكون الدراسة التي يقوم بها علمية ، فيجب علينا ان نبحث عن الصفات التي ينبغي ان تتوفر في هذه الدراسة حتى يقال عنها انها علمية ، وبعبارة اخرى يجب علينا ان نحدد طريقة البحث في علم الاجتماع .

لا شك ان العقلية الديكارتية l'esprit cartésien قد اثرت تاثيرا بعيد المدى في طرق البحث ، وابرز ما في هذه العقلية الديكارتية هو « فكر الدقة » الذي شرحه ديكارت في كتابه « قواعد المنهج » .

ونحن نعتقد ان الفلسفة الايجابية التي بشر بها اوغست كومت Auguste Comte كانت تتمة وتتويجا لهذا التفكير المنهجي الذي استطاع اخيرا ان يتخلص من تلمسات التفكير الميتافيزيائي العشوائية، ومن خرافات القرون الوسطى .

لنتصور بان موضوع علم الاجتماع هو بمثابة ارض مجهولة terra incognita فمهمة العالم هي اكتشاف هذه الارض وازاحة الستار عن اسرارها ، ولكن هذا الاكتشاف ينبغي ان يتم بعناية ودقة ، وعلينا ان نتذكر دوما بان الحوادث الاجتماعية شديدة التعقيد ، وغني عن الذكر ان التأملات الباطلة والافكار المسبقة ، والاستنتاجات الشخصية لايمكن ان تؤدي الى معرفة صريحة للواقع الاجتماعي ، ونعود مرة ثانية لنؤكد بان النظري يجب ان يتعاون مع العملي حتى يكون فهمنا للحوادث الاجتماعية اقرب ما يكون من الصحة .

تاسيس علم الاجتماع اذن معناه وضع الاسس القوية العلمية له ، وتمييزه عن سائر العلوم الاخرى ، وتحديد مجال تجرباته ، ووضع طرق للبحث فيه ، وكل ذلك يجب ان يتم بدقة وعناية .

ولا شك ان العلماء قد تحدثوا عن الشؤون الاجتماعية منذ زمن طويل ، فقد تحدث سقراط وافلاطون وارسطو عن هذه الشؤون ، وكان في آرائهم كثير من العمق وغير قليل من الدقة ، كما ان العلماء المسلمين لم يقصروا في هذا الجانب ، بل ان مباحثهم

* راجع A. Cuvillier: Introduction à la Sociologie, page 89

لتعد في طبيعة الابحاث التي ركزت دعائم علم الاجتماع والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو التالي : اذا كان العلماء قد بحثوا الشؤون الاجتماعية منذ زمن طويل فالى اي عهد من عهود التاريخ يمكن ان نرجع تأسيس علم الاجتماع ؟ ومن هو من العلماء مؤسس علم الاجتماع ؟ .

لقد اختلف الكتاب في هذه القضية اختلافا كبيرا ، فيرى الدكتور اليافي(*) ان الفضل في التاسيس يرجع الى ابن خلدون ، بينما يرى الدكتور منير (*) مشابك ان المؤسس الحقيقي انما هو اوغست كونت .

ان مثل هذه الآراء تقتضي منا ان نتفحص عن قرب وان نتساءل : الى اي حد ساهم ابن خلدون في الابحاث الاجتماعية ؟ ما نصيب آرائه من «فكرة الدقة» كما يقول ديكارت ؟ الا يمكن لنا في نهاية المطاف ، ان نقول بان افكاره كانت اقرب الى فلسفة التاريخ منها الى علم الاجتماع ؟

اشتهر ابن خلدون بمقدمته ، وقد راى الدكتور اليافي ان هذه المقدمة تحتوي على آراء تؤهل صاحبها لان يكون اول مؤسس لعلم الاجتماع ، ولا احد ينكر اليوم بان ابن خلدون قد تحدث في كتابه عن امور وقضايا هي من صميم علم الاجتماع ، فهو يرى : ضرورة الاجتماع الانساني وبالتالي ضرورة السلطة التي تنظم العلاقات بين الناس ، ويبحث عن اصل هذه السلطة فيجدها في العصبية ، وينتقد الفلاسفة الذين يرجعونها الى اصل ديني . ويبحث في اختلاف الاقاليم في الاعتدال والانحراف ، وتأثير الهواء في الوان البشر ، وفي اخلاقهم وفي الكثير من احوالهم .

ويجد ان للمجتمع شكلين : البدو والحضر ، ويرى ان الاول اصل للثاني ، ويبحث في تطور الدولة ويجد ان لها اعمارا طبيعية تتبع نفسيات الاجيال ، ويعقد فصلا في ان (الدولة لها اعمار طبيعية كالاشخاص ، وعمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة اجيال) ، اما الاستاذ ساطع الحصري فيجد في دراسته لابن خلدون بذورا للنظريات الاجتماعية الحديثة ، وذلك ان ابن خلدون يعتمد بعض التشبيهات لتوضيح بعض الظواهر الاجتماعية ، وفي مكان آخر يمثل المجتمع بكائن حي على غرار ما فعل سبنسر Spencer وفورمس R. Worms وكثيرا ما يلجأ الى الاعتبارات النفسية في ابحاثه فهو مثلا يقول بان المغلوب مولع دائما بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر احواله وعوائده ، ويعلل ذلك بان النفس تعتقد الكمال فيمن غلبها .

ويعلل ابن خلدون الامور الاجتماعية بامور مثلها ، مما يذكرنا بتعليل دوركايم Durkheim المورفولوجي .

ويقول ابن خلدون ايضا : ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلتهم من المعاش ، وفي هذا نزوع الى تعليل الحوادث الاجتماعية بالعوامل الاقتصادية ، كما نجد عند ابن خلدون نظرات ثاقبة في القضايا الديموغرافية ، فهو يستبعد ان يكون عدد جيوش اسرائيل في التيه ، ايام النبي موسى عليه السلام ، اقول يستبعد ان يكون عددها ستمائة الف جندي كما روى ذلك بعض المؤرخين .

وبحث في الاسعار فوجد ان السلع ترخص في البلاد الكثيرة السكان على حين ترتفع اسعار الحاجات الكمالية ، وفي هذا اشارة الى قانون العرض والطلب.

وكذلك انتبه الى تسلسل الكائنات ، واتصال عالم الجماد بعالم النبات ، وعالم النبات بعالم الحيوان ووجد ان الانسان يقع في ذروة عالم الحيوان بعد القردة .

واخيرا حاول ابن خلدون ان يصنف علوم عصره تصنيفا علميا فوجدها صنفين : صنف طبيعي يهتدي اليه الانسان بفكره، وصنف نقلي ياخذه عمن وضعه(*) ولقد دعت الافكار السابقة الدكتور اليافي الى ان يقول : (وصفوة القول ان ابن خلدون قد اسس علم الاجتماع واعيا لهذا التأسيس) .

(*) الدكتور عبد الكريم اليافي استاذ علم الاجتماع بجامعة دمشق ، انظر كتابه تمهيد الى علم الاجتماع.
(*) الدكتور منير مشابك استاذ علم الاجتماع بجامعة دمشق ، انظر كتابه (المطول في علم الاجتماع) .
(*) راجع تمهيد الى علم الاجتماع : الدكتور عبد الكريم اليافي .

ومما لا شك فيه ان الحوادث الاجتماعية معقدة الى درجة انه يصعب وضع الحدود بين مختلف العلوم الانسانية فعلم التاريخ متداخل مع علم الاجتماع وليس من السهل أن نضع الحدود التي ينتهي اليها كل منهما ، وابن خلدون حينما يتحدث عن (العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، في ايام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر) حينما يفعل ذلك يتحدث عن مواضيع هي من صميم التاريخ ولكنه يمزج هذه المواضيع بملاحظات تحمل الطابع الاجتماعي .

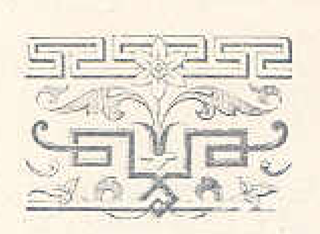
ولا شك انه تحدث عن « العمران » ولكن هل يقصد بالعمران علم الاجتماع ؟ لقد اشار ايضا الى علم مستقل بنفسه، وذي موضوع هو العمران البشري والاجتماع الانساني ، وذي مسائل هي بيان ما يلحقه من العوارض والاحوال الذاتية واحدة بعد الاخرى) وقال بانه لم يسبق الى هذا العلم من طرف اي انسان (ولم اقف على الكلام في منحاه لاحد من الخليقة)

ولكن ابن خلدون يقول في مكان آخر من المقدمة: (فانشأنا في التاريخ كتابا رفعت به عن احوال الناشئة حجابا) ولنا ان نتساءل بعد هذا عما اذا كان ابن خلدون يتحدث عن التاريخ أو عن علم الاجتماع (العمران على حد تعبيره) .

ان الذي يبدو ، بعد الاطلاع على المقدمة ، هو ان طريقة ابن خلدون في البحث هي اقرب ما تكون الى طريقة المؤرخ ، وقد ذكر خلال ابحاثه بعض الشؤون الاجتماعية ولكن الطابع التاريخي يسيطر على الكتاب في جملته ، ولا يخفى على احد .

وقد تحدث الفلاسفة اليونان عن الشؤون الاجتماعية ، ولكن لم يفكر احد في ان يعتبرهم مؤسسين لعلم الاجتماع ، الم يبحث افلاطون في كتابه (الجمهورية) عن اصل الحكومة التي تنشأ عن عجز الانسان عن كفاية نفسه بنفسه ، الم يتحدث ايضا عن نظام الطبقات الاجتماعية ؟ الم يشبه ارسطو المجتمع بكائن يولد وينمو ويموت ، كما فعل ذلك ابن خلدون نفسه ، وربني فورمس فيما بعد ؟ .

لقد ذكرت الحوادث الاجتماعية في الابحاث السابقة **عرضا** ولم تكن مقصودة . اما اوغست كونت فقد ورث تراثا علميا زاهرا ، وتبنى الفكر النقدي الذي وضعه ديكارت ، واستفاد من نظريات مفكرين كبار امثال فيكو ، وسان سيمون ، وابن خلدون نفسه ، ولا شك ان هذه العلوم التي استفاد منها كانت له بمثابة الاساس الذي بنى عليه فلسفته الايجابية ، ومما هو جدير بالذكر ان اوغست كونت هو اول من ابتكر كلمة سوسيولوجيا اي علم الاجتماع ، واشتقها من لفظين احدهما لاتيني ومعناه الاجتماع والثاني يوناني ومعناه العلم ، وكان في البداية يستعمل تعبير الفيزياء الاجتماعية ، والنتيجة الطبيعية التي ينبغي ان ينتهي اليها الباحث هي ان كثيرا من العلماء قد ساهموا في تأسيس علم الاجتماع وان ابن خلدون قد وضع اللبنات الاولى لعلم كان يسميه تارة العمران ، وتارة اخرى التاريخ ، ونحن نميل الى الاعتقاد بان ابن خلدون انما انشا فلسفة التاريخ ، ويكفي ان نذكر راي المؤرخ الانجليزي توينبي Toynbee : (لقد انشأ ابن خلدون فلسفة تاريخ وهي ــ بدون شك ــ اعظم عمل ابدعه فكر في اي زمان ومكان) ونضيف بان فلسفة اوغست كونت كانت تتويجا لجهود العلماء الذين ساهموا في تأسيس هذا العلم .



أدب بلا نسب

للأستاذ رابح منصر

في حديث العدد الماضي تعرضت الى موضوع (الادب الهجين) ، الذي صدر عن الكتاب الناطقين بالفرنسية من ابناء المغرب الكبير ، وطرحت مسالة انتماء هذا الادب او عدم انتمائه الى تراث الامة العربية الادبي ، وتوصلت الى نتيجة خلاصتها بان هذا الادب ليس له من صلة تذكر مع الادب العربي في المشرق كما هو الشان في المغرب ، ولم يكن رايي هذا الذي سيثير ولا شك حفيظة بعض اخواتي الناطقين بالفرنسية ، لم يكن وليد اندفاع عاطفي او نظرة ضيقة يحدوها التعصب الى لون من الادب دون الآخر ، ولم يكن هذا الراي ايضا دعوة الى العزلة او الانكماش عن الذات ، كان رايي اذن نتيجة منطقية لتحليل واقعي لطبيعة هذا الادب الذي اعتقد انه ثمرة غير شرعية لفترة زمنية ، في حياة المغرب العربي ، فترة من تاريخه عاشها تحت السيطرة العسكرية اولا ثم الثقافية ثانيا ، وهكذا اصبح امرا مالوفا جدا اننا حين نفتش عن المعالم المميزة للشخصية العربية في هذا الادب فاننا لا نكاد نظفر بواحدة تصله بالعربية وادابها ، ويصدق القول غاية الصدق حين نقول ان انتاج اخواننا الناطقين بالفرنسية يمكن ان يوصف بانه ظاهرة بارزة للواقع الاستعماري في ميدان التكوين الثقافي الذي يستهدف تزييف الشخصية القومية لا ابراز معالمها ومميزاتها التي تختلف عن شخصية ومميزات الامة المستعمرة .

لقد جهدت نفسي اخيرا وعدت الى مطالعة جزء هام من انتاج ادبائنا الناطقين بالفرنسية ، والحق اني اعجبت غاية الاعجاب بمواهب بعض هؤلاء وبالروح القومية التي يتوفرون عليها واخص بالذكر من هؤلاء مالك حداد الذي لم يتردد لحظة بالاعتراف بواقع الزيف الذي يعيشه وبهذا المنفى الذي يثقل حياته الفكرية .

وكم احسست بالالم وانا اطالع هذا الادب وتمنيت من كل قلبي لو انه كتب بلسان عربي مبين ليحق لنا جميعا ان نفخر به ايما فخر ، وخلال مطالعاتي غير السريعة لم استطع ان اظفر بوجود شخصية عربية متميزة المعالم والاتجاهات ، فهو وان كان ادبيا يتجه نحو الالتزام في تحليل الوقائع الاجتماعية والنماذج الانسانية ، الا انه مع ذلك ظل فاقدا لحرارة الروح العربية ولا نكاد نلمس لها من اثر سوى صور مادية مستمدة من واقع جزائري اومغربي ، سلطت عليها اضواء من الخارج دون ان تمس هذه الاضواء عمق الواقع الجزائري او المغربي بمختلف ابعاده ، وبالاضافة الى ذلك فان هذا الادب يتسم بالازدواج والقلق ونماذجه الانسانية لا تتوفر على قدرة تمكنها من التعبير عن ذات وجودها العربي فهي صماء ، سوى هذه الايماءات والاشارات الحية التي ليست لها القابلية لان تشخص كيانها تشخيصا يجعلها تتميز لاول وهلة بعروبتها .

وقد قرات اخيرا في مجلة (*) Confluent ردا للكاتب ادريس الشرايبي على حديث ادبي اذيع على امواج الاذاعة الوطنية بالرباط ، تطرق فيه كاتبه الى هذا الادب الهجين ، والحق ان ادريس الشرايبي

(*) Confluent N° 15, septembre-octobre 1961

لم يتناول جوهر الموضوع لاعطاء ايضاحات تتعلق بموقفه من هذا الادب الذي هو احد رواده ، وانما كان هذا الرد استعراضا لافكار تنم عن عاطفة سياسية، ومع ذلك فلو كانت عواطف الكاتب السياسية اصيلة لكان في الامكان تقديرها واحترامها ، ولعل الانصاف يقتضي منا اقتطاف بعض الفقرات من كلمة السيد الشرايبي ، لتثبيت ما تقوله من عدم اصالة ما يقول : « ... خلال فترة السيادة الفرنسية على مجموع المغرب كانت المدارس الوحيدة الجديرة بهذا الاسم هي المدارس الفرنسية ، ولا يعني هذا اننا حين حققنا استقلالنا يتعين علينا ان ننفي هذه الحقيقة .. ولا استطيع القول بانه يوجد قراء في العربية .. العربية الفصحى ، وقد قمت اخيرا بزيارة للمغرب وشاهدت بعيني .. بنظارتي ، وسألت ماذا يقرأ الناس هنا ؟ حقا هناك جامعة ولكنها تستعمل الكتب الفرنسية ، وهذه الجامعة لا تمثل شيئا مجديا في حد ذاته » واضاف السيد الشرايبي قوله « نحن ـ يعني الناطقين بالفرنسية ـ سنظل هدفا لهجمات من هنا وهناك ، من كلا ضفتي الابيض المتوسط » .

وبجانب هذه الروح المتميعة في اطار اجنبي غريب نجد روحا اخرى تختلف عنها كل الاختلاف وان تغذتا معا في معين واحد ، هذه الروح الحيرى القلقة الاصيلة في ذات الوقت تتمثل في الكاتب مالك حداد ، لندعه يتحدث الينا في قصيدته (المسير الطويل) (*) :

ابـي .. يابـي ؟
لمـاذا حرمتنـي
تلك الموسيقى المنسوجة من لحمي ودمي
انظـر الـي
الى ابنك الذي يلقن ان يقول في لغة غريبة
تلك الكلمات الحلوة التي كان يعرفها عندما كان راعيا
• • •
يا الهـي ما اشـد وطـأة الظلام في عيني هذه الليلة
امـاه .. يامـاه
هل يمكن ان يكون اسمـك Ma mère
لقد فقدت برنسي ، وبندقيتي ، وقلمي
لقد حملت اسما اشـد زيفا من مظهـري
يـا الهـي ،
انا الذي يجهل من اصله .. من نسبه مهنة زوبة

هذه زفرات مالك حداد تثير بعمق فيه حرارة وفيه الم وفيه اقرار بواقع الزيف الذي فرض عليه فرضا . وليس لي من سبيل لاجابة الشرايبي ادريس سوى ان اعرض عليه هذه المقطوعة الشعرية ، لشاعر موهوب عيبه الوحيد انه نطق بالفرنسية بآيات ابداعه ، شاعر لا يستطيع الشرايبي ان يصفه بالتعصب او الغرور الزائف ، ولا بضيق الافق والعجز دون فهم الحضارة الغربية (الفرنسية) هذا الشاعر مالك حداد الناطق بالفرنسية رغما عنه ، ومع ذلك فهو لا يزال يعي وجوده ، ويعي بعمق حالة المنفى التي يعيشها فكريا ، ولا تكاد تخلو قصيدة او قصة له من التشكي من هذا المنفى ، اي اللغة الفرنسية (وسيلته الوحيدة في التعبير) .. (عن آلام شعبه واحساساته الثورية) ، يشعر مالك حداد بمدى الهوة السحيقة التي تفصله عن مجتمعه ، وعن الاتصال بتراثه القومي بطريق مباشر ، وعن التاثير فيه والتاثر به ، وعن طريق هذا التكوين الثقافي المفروض استحال حداد الى كائن غريب ، يعيش غريبا عن الواقع القومي الجزائري الثقافي الاصيل ، ومع ذلك فان هذا الواقع الجزائري العربي يتملك احساسه وشعوره الى حد يستحيل معه الى متصوف غارق في التصوف عارق في الهيام به ، وايثاره الى حد الاسراف .

والحق ان غرباء اللغة العربية هؤلاء ليسوا مسؤولين شخصيا عن هذا الزيف الذي يدثر هياكلهم من راسها الى اخمص قدميها ، ولكن المسؤول اولا واخيرا هو واقع الاحتلال ، والذي لا يجدر بالسيد الشرايبي وغيره تبريره واتخاذ انفسهم امداء له ، اصداء لهذا الزيف الزائف ، وانا على يقين من ان ثورة مالك حداد على هذا الزيف الذي دفعوا اليه دفعا وحملتهم عليه الظروف حملا ، ان هذه الثورة تعد في واقع الامر نصرا للاحساس القومي ، والكرامة القومية ، ونصرا مرة اخرى للوجود الوطني ضد جرائيم الهدم والتخريب للكيان العربي ، هذه الجرائيم التي تزخر بها بعض مظاهر هذه الثقافة الاجنبية الموجهة المسوقة ، والتي لا تستهدف الثقافة لذات الثقافة وانما تستهدف المسخ لذات المسخ ، حتى انه يخيل الي من خلال كلمة الاستاذ الشرايبي في مجلة (Confluent) انه يؤمن او انه ربما على الاقل مقتنع بان كل شيء ليس بفرنسي فهو ليس بجدير

(*) مجلة الاداب العدد 8 ـ غشت 1961 .

بان يذكر حين تذكر الثقافة ، واللغة ، والحضارة ، واللغة العربية فى رايه لم تتطور منذ قرون ، وقرون ، وحرية التفكير والتعبير ، والكتابة يمكن قياسها على حد قوله بما هو قائم فى الجمهوريات الشعبية ، اما فيما يخص اللغة العربية وكونها لم تتطور منذ قرون وقرون ، فالشرايبي آخر من يصدر هذا الحكم ، ولو صدر من بلاشير او ماسنيون لكان فى الامكان اخذ هذا الرأي بعين الاعتبار وان كان اساسا مغلوطا ، لسبب بسيط هو ان ماسنيون يحسن اللغة العربية والشرايبي فيما اعلم وارجو ان اكون مخطئا لا يحسن التكلم بها فضلا عن قراءتها والاطلاع على ادابها . المهم هو ان الاستاذ الشرايبي قد اخطأ فى الفهم واخطأ فى التقدير كما اخطأ فى فهم واقع الثقافة العربية والعالم العربي ، ولا اظن ان مؤرخ الادب الفرنسي بعد قرن سيجد كثيرا مما كتبه الشرايبي وغيره من الوجهة القومية او حتى الانسانية ، لسبب بسيط هو ان هذا الانتاج جاء غير مستند على دعائم من حضارة قومية عرفت منذ قرون ولا زالت تعرف بطابعها الخاص المميز ، ولكن هذا الادب الذي يعد الشرايبي احد رواده سيظل على هامش التاريخ سواء بالنسبة للادب الفرنسي او العربي وان كان عميد الادب العربي الدكتور طه حسين حين تحدث عن قصة (الربوة المنسية) لمولود معمري ، اعتبر هذا الادب من الادب الفرنسي بكل ما تعنيه كلمة ادب فرنسي من معنى (...)(*) الربوة المنسية كتاب رائع اشد الروعة واقصاها ، بحيث يمكن ان يعد من خير ما اخرج فى الادب الفرنسي اثناء هذه الاعوام الاخيرة .. وان كنت لا اعرف انه ظفر بجائزة من هذه الجوائز الكثيرة التي تمنح فرنسا لكتب لا ترقى الى منزلة هذا الكتاب روعة وجمالا) .

وايا كان الامر فان هذا الادب اليتيم ليس من اليسير التكهن بمن سيتبناه فى الغد البعيد ، وان كنت اميل الى الاعتقاد بانه سيظل بعد اجيال دون عائلة ادبية يمكن ان ينسب اليها .

(*) نقد واصلاح ص 48–49 .



من أصداء العدد الممتاز



اطلعت على العدد الخاص من دعوة الحق الذي عالجت فيه مجموعة من الكتاب المحترمين ازمة الركود الفكري بالمغرب . ولم تكن لي فرصة المشاركة في هذا العدد لمشاغل طرات ، فاحببت ان ادلي بدلوي كما يقال مساهمة في ايجاد حل لهذه الازمة الخانقة والتي اريد لها ان تكون خانقة .

اما اسباب هذا الركود في رايي وارجو ان لا اكون مخطئا ـ فيمكن حصرها في ثلاثة :

1) ازمة القراء

ويمكن القول بان مشكلة القراء اصبحت عالمية رغم ما تتمتع به الدول المتقدمة فكريا من عدد وفير من القراء ، ولكنه لا يمثل نسبة هامة من مجموع الافراد المستعدين للقراءة . ومع ذلك ، فالدول المتخلفة فكريا كالمغرب ـ من ناحية عدد القراء على الاقل ـ يفترض ان يكون استعدادها للقراءة اكثر من استعداد الدول المتقدمة ، لان هذه قد جرفتها سيول المادية فانصرفت اغلبية القراء الى المسليات التي تدخل فيها دور اللهو والسياحة والسماع الى الموسيقى والرقص وغير ذلك مما صرف هذه الاغلبية ، بقطع النظر عن مشاغل الحياة التي تعقدت ، ووسائل الراحة والكسل التي تيسرت مع ذلك . اما الدول المتخلفة فهي بطبيعة الحال اقل اخذا بوسائل الحياة المادية ، ولكن ما يعوزها هو ان تتوفر على انتاج فكري ملائم ، وان يكون في وسع كل قارىء ، الحصول على شيء مفيد يقرؤه باقل ثمن ممكن .

وفي بلاد المغرب توجد مجموعة لا باس بها من المثقفين والمتنورين الذين لا يكادون يقراون شيئا اصلا ، حتى الصحف اليومية التي تمكنهم على الاقل من معرفة تطورات الاحوال في بلدهم مهما كان من اتجاه اصحابها . ولا يمكن الشك في ان ازمة القراء تستفحل في الدول الراقية التي بدات تستخدم الوسائل السمعية الى جانب الوسائل البصرية ، فالطالب او التلميذ الذي يكتفي بان يصغي باذنيه الى درس بواسطة مسجلة ليهضمه بالتكرار ستتربى له مع الزمن حاسة السمع التي يمكن ان تحل بنسبة كبيرة محل حاسة البصر بقطع النظر عما سيكون لذلك من تاثير على الفكر . وقد لا يكون بعيدا ذلك اليوم الذي يسجل فيه الكاتب مؤلفا بكامله في شريط يباع ويستغل عوض الكتاب نفسه

ولكن القارىء المغربي سيقطع سنوات وربما عقودا عديدة قبل ان يبلغ الى هذه المرحلة من تعويض السمع بنسبة كبيرة مكان البصر والفكر (المجهد)

والواقع ان ازمة القراء في المغرب ترجع الى سلسلة من العوامل التي تشكل حلقات متشابكة . واقل ما يقال عنها انها ترتبط بازمة الكتاب ونوع الانتاج ، وهذه ترتبط بازمة قلة التشجيع . ثم ان ابناءنا لا يربون على القراءة منذ الصبا فمعظم المدرسين يكتفون بالقاء دروسهم بواسطة السبورة في المرحلة الابتدائية . ومعظم الكتب المقررة لا تصلح من حيث الاخراج والطبع واحيانا من حيث التاليف ، وما صلح منها يستعمله المعلم وحده غالبا عوض التلاميذ . وآباء هؤلاء لا يابهون بتكوين خزائن لاطفالهم حسب الطاقة ، حتى ينشاوا ولهم ولع بالقراءة التي هي احسن تغذية للفكر . اضف الى ذلك ارتفاع تكاليف الكتاب التي تعجز اغلبية الآباء عن شرائه لابنائهم .

واهم فئة لدينا من حيث العددهم اولئك الفتيان والفتيات الذين تتراوح اعمارهم بين سن المراهقة وسن الزواج ، وفي هذه المرحلة الخطيرة من عمر

الانسان تشكل عاطفة الحب اقوى النزعات البشرية فيقبل الفتى ، والحالة هذه ـ على مطالعة القصص الغرامية العنيفة ، كرد فعل للكبت او هربا من مجابهة الواقع . وهذه الطائفة لا يمكن صرفها الى نوع آخر من الانتاج الا اذا قدم فى اطار مشوق حتى ولو طعم احيانا بالعنصر العاطفي ولكن فى مظهر شريف . وبعد مرور هذه المرحلة يفتر الميل الى القراءة شيئا فشيئا، باستثناء عدد محدود من الذين يوسعون نشاطهم الفكري اما مدفوعين بسبب تخصص دراسي واما لمجرد الاستفادة .

2) ازمـة الانتـاج

اما ازمة الانتاج فهي ازمة نوع وكم معا ، اما النوع فقلما يتجاوز انتاجنا المقالة او البحث ينشر فى مجله او جريدة . **واذا استثنينا عـددا لا باس به مـن المقالات والابحاث التي تطلع علينا بها دعوة الحـق ومجلة تطوان** وبعض الصحف ، فالفقر والرداءة تخيم على هذا النوع من الانتاج . وكان المفروض ان تكون لدينا مجالات ثقافية متعددة بعد الاستقلال الا اننا مع شديد الاسف نرى ان كل المجلات الثقافية تقريبا قد اختفت من المنطقة الشمالية بعد الاستقلال ، وقد عرفت هذه المنطقة نشاطا فكريا رائعا قبله . واغلبية الادباء والكتاب الذين عرفوا بمقدرتهم قبل الاستقلال انستهم الوظائف السامية او قتلت فيهم هذه الوظائف نشاطهم الفكري . وكان يمكن ان يخلفهم كتاب ومفكرون من هذه الافواج المتدفقة من جامعات الشرق بالاضافة الى جامعة الرباط . ولولا ان اغلب هذه الافواج انصرفت الى انواع اخرى من النشاط ، خصوصا فى الميدان السياسي ، ومع ذلك فليس كل متخرج باهل لتقديم الانتاج الجيد والموضوع المبتكر ، كما أنه ليس كل من لم يتخرج عاجزا عن تقديم مثل هذا الموضوع وذلك الانتاج .

وتطلع علينا الايام بين آن وآخر بكتاب فى موضوع ما ، ولكننا لا نكاد نتلقف كتابا من شانه ان يحرك أقلام الناقدين والمحللين الا فيما ندر . ونحن نشكو فقرا هائلا فى كتاب القصة الطويلة والابحاث المستفيضة فى مختلف العلوم والفنون ، والذين يتوفرون على علم غزير قد تعوزهم روح النظام والتنسيق ويعجزون عن الابداع فى التقديم فيتقاعسون عن تاليف الكتب او يقدمون كتبا تسود الفوضى مادتها وقد تقدم فى صورة الكتب التي عرفها عصر الاصمعي ، ونـدر ان يتلاءم التقديم والغرض مع مقتضيات التاليف الحديث ، ومعظم كتبنا المنتجة تدخل فى ميدان التاليف المدرسي بسبب النقص الذي كانت مدارسنا ولا زالت تشكو منه فى ميدان التاليف المدرسي الجيد الملائم للبيئة المحلية . ومن المؤسف ان كثيرا ممن تتوفر لديهم المقدرة العلمية والكفاءة الفنية فى التاليف يهملون هذا الواجب طوعا او مكرهين بسبب ظروف خاصة .

3) قلـة التشجيـع

وهذه اكبر مصيبة منيت بها الحركة الفكرية فى هذه الظروف . فالمغرب يجتاز الآن مرحلة سريعة نحو الرقي المادي ولكنه مقصر فى الميدان الفكري او الروحي على الاصح فشبابنا يتوجه نحو الهندسة والحقوق والطب والمدارس الفنية التي تضمن ربحا ماديا كبيرا وسريعا فى آن واحد . والدولة نفسها قد كادت تقصر تشجيعها على اخراج مجموعات متخصصة فى الفلاحة او الهندسة او الفنون التقنية . وحصول المغرب على عدد كبير من المتخصصين فى هذه الفنون الحيوية ضرورة لا مفر منها حتى يصل المغرب الى شيء مما يسمى بالاكتفاء الذاتي . ولكن حملة الاقلام ورجال البحث والمتخصصين فى العلوم التي لا تضمن من ذاتها كسبا يذكر فى الميدان الحر كالادب والتاريخ والجغرافية لا يلتفت اليهم احد ، وربما كادوا لا يلتفتون حتى الى انفسهم، ويخيل الي ـ والله اعلم ـ ان المغرب اصبح يشكو فقرا شديدا فى هذاه العلوم المنتجة ماديا ، ونظرة واحدة الى الارقام التي تقدمها كلية الحقوق وكلية الآداب بالرباط ، ترينا الى اي حد من الافلاس قد بلغت علوم الآداب على اختلافها ، واي مدى وصلت اليه علوم القانون التي يضمن فيها الطالب كسبا محققا ومستقبلا لامعا .

ومهما يكن من عدد متخرجينا وتخصصهم فالتشجيع الخاص بالانتاج الفكري ضعيف جدا فى المستوى الرسمي كما يندر بين طبقة القراء عامة . ويجب ان لا نغالط مع ذلك انفسنا ، فانتاجنا فى الواقع هزيل فى معظمه ولا يمكن ضمان اكبر عدد من القراء ما دام الانتاج على هذه الصورة . اما الدولة فاولى بها ان تاخذ بيد الانتاج الفكري ، ولن تقوم للمغرب قائمة ما دامت الدولة لم ترع الانتاج الفكري ، فهذه سنة الطبيعة والتاريخ :

ان النشاط الفكري الذي عرفه اليونان والرومان كان لرؤسائهم واباطرتهم فضل عظيم عليه . وقد كان فى القرطاجنيين امراء وضعوا هم انفسهم كتبا . والنهضة الاسلامية الجبارة فى ميدان العلوم والمعارف كان للخلفاء والملوك فيها معظم الفضل وقد دشن الرسول محمد عليه السلام هذه النهضة بتشجيعه لرجال العلم والادب كابي بكر والخنساء وكعب بن زهير وابي هريرة . وقام كل من المنصور العباسي وهرون الرشيد والمامون بتيسير سبل العلم عن طريق الترجمة والتاليف وتشجيع الكتاب والعلماء والمؤلفين ، والنهضة الفكرية الواسعة التي عرفتها فرنسا فى القرون الثلاثة الاخيرة ساهمت فيها الحكومات ورؤسائها باوفر نصيب ، وما قيام نابليون بحملته على مصر التي صحبه اليها مئات العلماء لاكتشاف كنوزها العلمية والاثرية الا مثال بسيط على هذا الاهتمام بشؤون العلم والفكر ، ولم تتوان دول المغرب منذ الادارسة عن نشر العلم وتيسير اسبابه حتى اكتظت خزائن المثقفين بآلاف من المخطوطات التي لا تزال بقاياها شاهدة على هذا الانتاج العلمي الواسع . وكان فى ملوك العلويين من ساهموا بتاليف عدة مصنفات كمحمد بن عبد الله وسليمان وعبد الحفيظ.

وحتى فى ايام الحماية كنا نشهد حركة انتاج واسعة لولا ان الانتاج لم يكن يساير فى معظمه المناهج الحديثة . وظهرت فى هذا العهد مصنفات ابن الموقت المراكشي ، وعبد الرحمن بن زيدان والفقيه الحجوي وغيرهم .

اما ركود الحركة الفكرية بعد الاستقلال فيرجع الى اسباب شرحت بعضها واذكر منها هنا البعض الآخر وهو :

1) ان وزارات التعليم المتعاقبة صرفت كل جهودها تقريبا لصالح نشر التعليم الابتدائي ثم التقني ومع وجود تعليم عال اصبح يتسع نطاقه ، فان حركة التاليف والبحث لم تساير هذا التطور السريع لا من حيث النوع ولا من جهة الكم .

2) لم يفكر احد من وزراء التعليم فى احداث لجنة دائمة ترعى شؤون الفكر انتاجا واخراجا وتشجيعا . وكان جديرا بالمغرب ان يتوفر على مثل هذه اللجان التي كان من الانسب ان تنبثق عن المجالس المختلفة للتعليم والتي كان دورها فى معظمه سلبيا اكثر منه ايجابيا .

فكيف اذن ترعى الدولة الحركة الفكرية ؟

بل كيف تشترك جهود الباحثين والمربين والادباء مع جهود الدولة التي يجب ان ترعى هذه الحركة ؟

ففيما يرجع الى الدولة :

1) من الضروري احداث مجلس على غرار المجلس الاعلى لرعاية الآداب بالجمهورية العربية المتحدة، والا فتوسع دائرة المجلس الاعلى للتربية الوطنية الذي يبدو انه دخل فى ذمة التاريخ . ويجب ان يكون من شان هذا التوسيع فتح المجال لمجموعة من رجال الفكر المعروفين بحماسهم ونشاطهم عمليا فى ميدان المعرفة والانتاج بالاضافة الى ضرورة توفرهم على النزاهة النفسية حتى ينصبوا من قلوبهم على العمل الفكري ، تارة بالتاليف وطورا بالترجمة مع الاهتمام المتواصل بتشجيع الانتاج الفكري المحلي وتخصيص جوائز عالية ومتعددة لمختلف فروع المعرفة ولاكبر عدد ممكن من الكتاب والمنتجين .

2) يجب ان تحدث البلديات الكبرى خاصة جوائز للتاليف والانتاج الفكري .

3) تنشيء جميع الكليات والمعاهد العليا مجلات وكتبا دورية وتخصص اعتمادات للابحاث المقدمة **باللغة العربية** بمشاركة المفكرين والاساتذة وخريجي المعاهد العالية ، وتجهز كل كلية ومعهد عال بمطبعة لنشر الكتب والابحاث ، خصوصا ما ينتجه خريجوها واساتذتها .

4) تيسر كل الوسائل الممكنة لطلاب الدراسات العليا حتى يقوم كل منهم بالتنقيب والبحث ؛ كل فيما يهم دائرة اختصاصه . وهكذا تفتح اعتمادات للمتخصصين فى التاريخ والآثار واللغة والعلوم حتى يدرسوا اولا وقبل كل شيء مناطق وسكان وآثار المغرب المجهولة ، ويصححوا اخطاء علماء الغرب ، ويتصلوا بالمجتمعات فى كل مكان ويدونوا لهجات السكان على اختلافها وكذا عوائدهم وسلوكهم وطريقة معيشتهم وسكناهم . كما تفتح الخزائن التي تتضمن

آلاف المخطوطات فى وجه هؤلاء الطلاب والباحثين ، ويفسح المجال لعدد منهم حتى يتفرغوا للبحث فى هذه المخطوطات واخراجها فى اقرب وقت ممكن مع ضرورة تيسير وسائل الطبع حيثما توفرت الدولة على خزانة تحتوي مخطوطات كثيرة هامة . ان الباحث الحق ليكاد يجن عند ما يرى هذه المخطوطات تأكلها الارضة ويتراكم عليها الغبار ، وليس له من وسيلة الى وضعها فى ايدي الناس عامة ، وربما حتى الى ان يطلع عليها شخصيا .

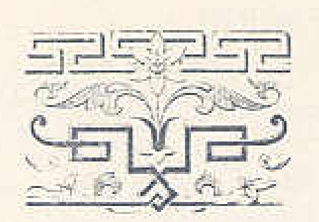
5) يجب ان تهتم وزارة التربية الوطنية بتاليف مجموعات متنوعة من مجلات الاطفال والشباب والقصص والكتب ، وان تفتح اكبر عدد ممكن من الخزائن فى مختلف المدن والقرى

6) يجب ان يحاط رجال الفكر خصوصا عباقرتهم بما يليق بهم من الاجلال ، فتقدم اليهم الاوسمة والدرجات الجامعية الفخرية وينصبون حيث يليق تنصيبهم .

قد يقال ان هذه اشياء ستحتاج كلها او معظمها الى اعتمادات ضخمة على حساب الدولة ، وقد يقال انه يجب أن نفكر اولا فى تهييء العيش لآلاف العاطلين لكن الواقع ان لكل من رعاية الفكر ومحاربة البطالة نصيبا من اهتمام كل الدول الآخذة فى النمو . ففي كل من مصر وامريكا ودول عديدة من آسيا وافريقيا نسبة كبيرة من العاطلين الى جانب نسبة كبيرة كذلك من تشجيع العلم والادب ونشر المعرفة بين عموم السكان . وليس ضروريا ان تموت الحركة الفكرية بسبب البطالة . وان فى تغذية الفكر وسيلة لاطعام ابناء المستقبل .

وفيما يرجع الى رجال العلم والادب يجب ان يعملوا لخدمة العلم ، وفى استطاعتهم ان ينتزعوا اعتراف الدولة بخدماتهم اذا هم افادوا العلم بنشره بمختلف الوسائل : محاضرات ، ابحاث ، مجلات ، كتب ، مسامرات ، الخ .. والدولة لابد ان تشجعهم اذا هم تكتلوا لهذا الفرض النبيل وضمن رجال العلم والادب ، اذكر خريجي الجامعات على اختلافهم . ان الارقام الاستدلالية والشواش على ابواب المكاتب وما يتبع ذلك من بهرجة فارغة قد انست كثيرا منهم ان آباءهم ودولتهم ، انفقوا عليهم من المال والجهد نصيبا عظيما لا ليقتعدوا الكراسي الانيقة ويترفعوا عن النزول الى خدمة الشعب ، وانما انفق هذا الجهد وذلك المال ، لكي يستغلوا معارفهم فى البحث والانتاج والتعليم وانشاء هيئات للنشر والترجمة والتاليف ، او على الاقل ليساهموا بشيء من ذلك فى خدمة وطنهم الى جانب اعمالهم المهنية التي تضمن لهم من العيش اكثر من الكفاية فى ادارات عديدة .

اما الآباء والمربون ، فمسؤوليتهم جسيمة فى تعويد اطفالهم على حب العلم وتنمية المعرفة منذ نشأتهم . والتلميذ الذي بلغ سنه مستوى الشهادة الابتدائية وهو بعد لم يكون مكتبة يرعاها ويتعهدها بنفسه ، محكوم عليه بالفشل الفكري فى المستقبل . واقصى ما يمكن ان يبلغ اليه ، بعد ، هو أن يتخرج ورأسه محشو بمعلومات مدرسية بحث سرعان ما ينساها اذا دخل معترك الحياة . ولا فائدة للامة من شخص يقف حيث تتطور الدنيا بعلومها وابحاثها ، ومن شب على شيء شاب عليه .



مشاكل الأدب المغربي المعاصر

للاستاذ
محمد برادة

كان الادب المغربي الى الربع الاول من القرن العشرين يعكس صورة مجتمعنا آنذاك.. وكان الشعر هو النوع السائد الذي يتوسل به للتعبير في ظروف تنعدم فيها الحرية ، لان الشعراء كانوا يمتهنون الشعر ويتخذونه مطية للتكسب ، وتبريرا لعطالتهم ، ولان الحكام كانوا يتذرعون بقصائد الشعراء لنشر مآثرهم واشاعة امجادهم على العالمين . وهي ظاهرة لايتفرد بها التاريخ المغربي وحده ، بل نجدها ايضا في العالم الاسلامي وفي الاقطار الاوروبية قبل نهضتها الحديثة . وليس موضوعنا الآن دراسة هذه الظاهرة ولكنني اشرت اليها تمهيدا لبعض الفرضيات التي ساعتمد عليها فيما سيأتي من حديث .

واولى هذه الفرضيات ، ان الادب قيمة اجتماعية ، لكل المواطنين حق الاسهام في خلقها وتطويرها .. ولكي تكون هذه القيمة متوفرة على شروط النمو والتفتح ، يجب ان تقترن بالحرية حتى يتاح لجميع افراد المجتمع على اختلاف طبقاتهم ومفاهيمهم ان ينتجوا دون التعرض لتعسف او توجيه مفروض . هذه الحرية لم تكن متوفرة خلال فترة طويلة من تاريخ المجتمع الاسلامي والمجتمعات الاوروبية وغير الاوروبية في عصور انحطاطها . ولعل ذلك امر طبيعي بالنسبة للحكم الاوتوقراطي ؛ اذ من غير المعقول ان يسمح الحاكم وحاشيته لابناء الطبقة المحكومة — المضطهدة في معظم الاحيان — بالتعبير عن مطامحها وسخطها .

اعتمادا على هذه الملاحظة يسهل علينا ادراك الفرق الشاسع بين مفهوم وظيفة الادب في العصور الفارطة ، ومفهوم الادب في العصر الحديث ، عصر الديمقراطية ، وعصر تبلور الصراع الطبقي ، وعصر سيطرة روح الجماعة على الفردانية .

ومهما يحاول بعض النقاد ويجهدوا انفسهم للعثور على ملامح مشتركة تجمع بين غزليات امرىء القيس، وغلاميات ابي نواس، وشوقيات امير الشعراء، فان من يتمعن في الظروف الجديدة التي اصبح يعيش فيها مجتمعنا وباقي المجتمعات ، والهزات المتتالية التي لحقت مختلف القيم والمقاييس ، يدرك بوضوح مقدار تميز تجربتنا ومشاكلنا عن تلك الانماط من الحياة والانتاج . .

ولا مناص لمن يريد ان يتعرف على مشاكل ادبنا الحديث او على الاصح لمن يريد ان يسبر اسباب ازمته الموقتة ، من الرجوع الى اوائل هذا القرن . وأنا اسارع — قبل الدخول في التحليل — الى توضيح فكرتي الاجمالية التي اريد ان انتهي اليها ، وهي انني استبعد المشاكل ذات المظهر المادي الصرف المتمثلة في عدم توفر وسائل الطبع والتوزيع ومردودات الكتب، واحصر كل اهتمامي في مشاكل تتصل بمستوى ادبنا ومدى استجابته لظروف مجتمعه ، وامكانيات تاثيره، ومبررات وجوده ، وانا ازعم منذ البداية ان هذا المظهر الثاني من المشاكل هو الذي سيخط مصير ازمتنا وسيحدد ما اذا كان الادب المغربي الحديث سيكتب له النمو والتفتح ام سيظل حبيس مشاكله الوهمية والحقيقية . .

لقد بدا العالم العربي يخرج من سكونه وخفوته عندما تعرض لغزو اوروبا ، وتجابهت حضارته التقليدية الحائرة مع حضارة تتمتع بكل مقومات الحياة من ديناميكية وقوة وتفوق .

وكانت عملية التجابه هذه عاملا منشطا ، ونورا كاشفا ، ازاح كثيرا من الحجب وخلق صراعا بين حضارة منهارة فارغة الوفاض الا من كبرياء وذكريات

مجيدة ، وحضارة براقة في عنفوان الشباب ، وقد تعرض المغرب بحكم انتسابه الى العالم العربي تاريخيا وحضاريا لنفس التجربة رغم محاولته الاحتفاظ بعزلته وحريته مدة اطول .

وكلكم تعلمون تفاصيل ردود الفعل لشعوبنا العربية ازاء خطر الغزو الاوروبي وبخاصة عندما ظهرت نواياه سافرة ، هادفة الى مسخ مقومات الحضارة العربية ومحو شخصيتها واعطائها شكلا يضمن للراسمالية والدول الكبرى استغلالا ابديا ، واستسلاما كليا وقد كان رد الفعل في المغرب امام محاولات الفرنسة يعتمد على دعامة اساسية في تكوين مجتمعنا آنذاك ، وهي دعامة الثقافة العربية . والواقع ان بعض الدول العربية في المشرق استطاعت ان تلقح الثقافة التقليدية وان تحييها بكيفية اكثر تنظيما وفعالية ، اما هنا في المغرب ، فان الثقافة التقليدية اندمجت في اطار الكفاح الوطني ، واصبحت وسيلة من وسائل الدفاع عن الشخصية والاحتماء من فظائع المسخ والتشويه ، لذلك فان انتاج فترة الحماية ينعدم فيه الاهتمام بتطوير الشكل وتعميق المضمون.. واكثر ما يتجلى ذلك في سيل القصائد التي نظمت بمناسبة اعياد العرش ، والتي لم تكن — في حقيقتها — مدحا خالصا بل ابرازا لقضية اساسية كانت تشغل الراي العام المغربي قاطبة .. ونفس الملاحظة يمكن ان توجه الى الابحاث التاريخية والمقالات وبعض القصص القصيرة ، والمسرحيات .. فقد كانت تهدف الى اقامة حاجز يحول دون تسرب المد الفرنسي الى عقول وارواح المغاربة .. ومن ثم نجد بعض نقادنا يقررون ان انتاجنا الفكري والادبي في فترة الحماية كان اكثر ازدهارا مما هو عليه الآن . الحقيقة ان هذا الراي يحتاج الى مناقشة يمكن ان تجعل منها مفتاحا لجوهر المشكل .. فمن المغالطة القول بان انتاج فترة الحماية كان في مستوى عميق يعبر عن جميع ابعاد تجربة شعبنا المقهور .. بل كان — كما قلت من قبل — وسيلة من وسائل الكفاح يردد في اشكال متباينة اصداء المعركة ، ولكنه لم يكن قط ثوريا كاشفا لآفاق جديدة متخطيا عهد الاستعمار الى ما بعده ، مثلما فعل محمد ديب في روايته الخالدة البيت الكبير حينما ركز محور الاحداث على مشكلة الجوع والتخلف وحمل الاستعمار النصيب الاكبر من المسؤولية ، وفي نفس الوقت اوحى لنا من خلال الحوار ان زوال الانظمة المستعمر غير كاف لحل المأساة ، بل يتحتم ايجاد نظام اكثر عدلا وتجاوبا مع مطامح الانسان الجزائري..

ونتيجة لهذه الرؤية العميقة اكتسبت روايات الديب اصالتها وقوتها وغدت في مستوى الثورة التي يعيشها مواطنوه .. مثل هذا الانتاج لم يوجد عندنا في فترة الحماية ، ولكن قيمة محصول هذه المرحلة آتية من كون معظم الذين كتبوا باقلامهم كانوا يصدرون عن عقيدة وايمان ، وكانوا يترجمون مشاركتهم العملية في الكفاح الى قصائد او مقالات وهكذا فان فترة الحماية جسمت لادبائنا الاخطار المحدقة بوطنهم فلم يتقاعسوا عن تحمل مسؤولياتهم ..

نريد ان نتخطى الآن كل التفاصيل لنصل الى عهد الاستقلال .. فقد لوحظ في هذه الفترة ان معظم الاقلام قد خفت صريرها وتضاءل الانتاج .. مما دفع البعض الى تعليل ذلك بان الوظائف قد امتصت مختلف الطاقات وشغلتها عن ميدان الادب والفكر — وهو تعليل يبدو معقولا لاول وهلة الا اننا سرعان ما نتبين جوانب اخرى للمشكل . فالاستقلال حدث هام، كاف لاحداث تغييرات بعيدة الغور في بنية المجتمع ، وهو في نفس الوقت اعلان عن نهاية وضعية شاذة ، وعودة المجتمع الى تكوينه الطبيعي بما فيه من تعارض بين الطبقات وبحث عن نظام يكفل التوازن والاستقرار، فاذا كان الحجر قد رفع ، فقد ترك لنا مشكلة التخلف ماديا وحضاريا .. واذا كانت كل الطبقات والآراء متفقة من قبل على ضرورة التعجيل بفك قيود العبودية ، فان عهد الحرية قد حمل معه اعباءها وقلقها ، وجعلنا نعيش تجربة اكثر عمقا وتعقيدا ، هي تجربة البحث عن اسس حضارية وطيدة في عالم سريع التغير . فكان من الطبيعي ان تطرأ هذه الوقفة المؤقتة على حركتنا الادبية ، وهي وقفة تتخذ طابع الازمة لانها تقترن بسؤال خطير تلقى الاجابة عليه اضواء ساطعة على دروب المستقبل .. هذا السؤال هو : هل بامكان الادب المغربي المعاصر ان يبرر وجوده اي ان يضطلع بوظيفته في مجتمعنا المتخلف المتازم ؟

ان تحديد وظيفة الادب يتطلب مجالا اوسع ، لانه موضوع متشعب تختلف حوله الآراء نتيجة لاختلاف الرؤيات والمفاهيم الحياتية .. ومع ذلك يمكننا ان نجيب على السؤال في اختصار معتمدين على المفهوم الذي نؤمن به .

يقول جان بول سارتر في كتابه Situations (مواقف) الجزء الثاني « ان الادب هو ـ في جوهره ـ ذاتية مجتمع يعيش ثورة دائمة » .

يقصد سارتر الى اعتبار الادب نداءات حرة تصدر عن مختلف الاشخاص لا لتؤثر مباشرة في السلوك العملي ، وانما لتكون اطار الافكار والمفاهيم ، ولتسجل التحولات وردات الفعل طيلة مراحل التبدل المستمر التي يعيشها مجتمع ما . ومعنى ذلك ان الادب يغدو بمثابة ضمير مرهف يسجل كل الذبذبات والارتجاجات داخل المجتمع مهما تباينت الطبقات ، ولما كان الادب يتوسل باللغة ويدخل في نطاق التفكير ومجالات الامكان ، فانه بذلك يصبح معارضا لمجالات الفعل والتطبيق ، وهو تعارض لم يمح قط لان احلام الانسانية وامانيها لم تتحقق بالضبط في دنيا الواقع ، ولان الواقع يتغير بسرعة دائبة . من ثم اصبح يتحتم على الادب ان يكون سباقا يعكس باستمرار التحولات الطارئة في حياة المجتمعات .

كل هذه الآراء وغيرها تقرب الى اذهاننا المحتوى الجديد لمفهوم الادب في عصرنا وهي تلح على ضرورة التحام الادباء بعصرهم ، ومحاولة عكس كل التغيرات والتحولات التي يجتازها الانسان والمجتمع .. فالانسان هو محور النشاط والتقويم والفعالية ، وليست هناك قيم وافكار سابقة تقيده .. بل هو يعيش تجربة منفردة يجهل نهايتها ، ولكنه يؤمن بمسؤوليته في الاختيار ، ويؤمن بحقه في الرفض والتمرد ..

طبيعي ان هذه الافكار مشتركة بين كثير من الاناسي في المجتمع الحديث ، ولكنها لا تنفي وجود النسبية الناجمة عن تغاير الظروف المجتمعة . وعلى هذا الاعتبار ، فان المشكلة الاساسية التي تواجه ادبنا الوليد المتلمس لخطاه ، الباحث عن نفسه ، هي مدى قدرته على تمثل المفاهيم السائدة في مجتمعه والعمل على بلورة الصالح منها اي بلورة المفاهيم التي ستمكن لشعبه المتخلف من اللحاق بركب الحضارة المعاصرة ..

الواقع ان عملية مثل هذه ليست هينة لانها يجب ان تتم في مستويين مختلفين ، ولكنهما متكاملان :

1 ـ المستوى الايديولوجي : واقصد به مصدر الرؤية الحياتية للاديب او المفكر .. وليس ضروريا ان يرتبط بايديولوجية سياسية ولكن اديب المستقبل في بلادنا كما افهمه ـ يجب ان يكون اكثر تقدما من جميع الايديولوجيات ، وبعبارة اخرى يجب ان يربط مصيره بمصير الطبقات العاملة الحية عندنا ، لانها هي التي ستكون جمهور الادباء في المستقبل ، ولان اي تقدم او حضارة في شعب متخلف لا يمكن ان يصنع بدونها .

2 ـ المستوى الفني : وهذا العنصر الثاني اكثر تعقيدا وصعوبة ، ذلك اننا نواجه ارثا ضخما من الثقافات والمذاهب ، تستوجب فهما واستيعابا دقيقا ، قبل ان نتمكن من ايجاد شخصية فنية أصيلة. واذا كان الجيل الجديد من ادبائنا سيؤثر اختيار مبدأ الالتزام فان الشعار لن يعفيه من تحقيق شرط الجودة الفنية ، لان الادب يختلف عن العلم والفلسفة يقول الناقد فاديم كوزينوف في هذا المعنى (3) :

« من الضروري ان يكون التفكير في الفن تفكيرا فنيا ، ولهذا يختلف اختلافا جذريا عن التفكير العلمي او التفكير الفلسفي ، والفكرة الفنية توجد وتنمو كصور ، وهذه الصور هي الشكل الداخلي لتفكير الفنان تماما كما ان الادراك هو الشكل الداخلي لتفكير الفيلسوف » .

وهذه الصعوبة التي ستعترض ادبائنا الناشئين، هي نفس الصعوبة التي واجهت الادب العربي في المشرق بعد ان طرح مبدأ الالتزام، وارتاد آفاقا جديدة اكثر صدقا واستجابة لمشاكل شعوبهم . وقد نتج عن هذا التحول من القالب التقليدي الى القالب الحديث، تخلخل في الاشكال الفنية ، الا ان المفهوم الجديد للادب في المشرق العربي استطاع رغم كل شيء ، ان يفرض نفسه ، وان يقدم نماذج ناجحة تمتد من قصيدة عبد الرحمن الشرقاوي « رسالة من اب مصري الى

1) سارتر Situations II

2) Express 30 نوفمبر 1961 ص 14

3) مجلة الآداب ـ اكتوبر 1961

الرئيس ترومان » لتبلغ آخر ديوان اصدره صلاح عبد الصبور ، وعبد الباسط الصوفي وبدر شاكر السياب .. وفي ميدان الرواية تنطلق من « عودة الروح » لتصل الى ثلاثية قصر الشوق ، واولاد حارتنا لنجيب محفوظ ، وجيل القدر لمطاع صفدي .

ورغم النجاح الذي حققه الادب الحديث في بعض الاقطار العربية ، فان التجربة لفتت الانظار الى كثير من المآخذ ، مصدرها الحماس المفرط في الاقتباس من الثقافة الغربية ، وعدم مراعاة ظروف مجتمعنا المتميزة عند المزاوجة بين الثقافتين . وهذه الظاهرة اكثر ما تتجلى في الشعر الحديث .. فالقارىء لدواوين الشعراء العرب المحدثين يحس سوداوية كافكا ورامبو ، ويلمس ثورية لوركا وناظم حكمت ، ويدرك كاثوليكية ت. س. اليوت ، ورمزية فاليري ، هذا التأثير الواضح يطمس الشخصية العربية المعاصرة بقلقها وضياعها وثورتها .. وربما كانت هذه الظاهرة امرا طبيعيا بالنسبة للمدة الزمنية التي عاشها الادب العربي الحديث ..

تاتي الآن لنتساءل عن موقف الاديب المغربي الناشىء ، هذا الرائد المتطلع الذي يراد منه ان يطوي المراحل ليصبح عملاقا ، ما هو موقفه من هذه المذاهب المتباينة والثقافات العميقة المعقدة ؟؟

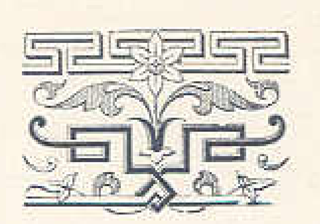
اني لا اريد ان اضخم المسؤولية او ان اسهب في تعداد الشروط التي يجب ان تتوفر في اديبنا الحديث .. ولكن هذا العرض الموجز يوضح ان مسؤوليته تقوم على اساسين هما الاختيار اولا ، وبذل الجهد اللازم لتنفيذ هذا الاختيار ثانيا .

فالمطلوب من الاديب الناشىء ان يعانق عصره حتى النهاية ، وان يتمثل ثقافاته وايديولوجياته ثم يختار ما يعتقد فيه خلاصا لشعبه المتخلف ، ويصدر عن هذه الرؤية فيما ينتجه من قصص او شعر او مسرحيات ليبث الوعي ، ويثير النبل . ان الادب بهذا المفهوم ارحب من تخطيطات السياسة ، واحق الوسائل كلها بالسبق الثوري ، وتغيير المجتمعات ..

وفي اعتقادي ان العامل الاساسي الذي سيكتب لادبنا المغربي المعاصر البقاء او سيقضي عليه بالتعثر والتجمد ، هو مدى نضج مستواه والتصاقه بالمعركة التي يخوضها شعبه في سبيل حياة افضل .. ان هذا المستوى هو الذي سيدعم كيانه ؛ ويوجد له جمهورا متجاوبا ؛ ولعلني بهذا الراي اتغاضى عن المشاكل ذات الطابع المادي .. ومع ذلك فاني ارى ان العمل الادبي الاصيل قادر على شق طريقه وفرض نفسه ..

ويمكن ان تعتبر قصة الاستاذ عبد المجيد بن جلون « في الطفولة » مثالا ملموسا على هذا الراي ، لانها رغم قلة وسائل النشر والدعاية استطاعت ان تفرض نفسها وان توجد لها قراء يعدون بالمئات في بلادنا ، وبالآلاف في بريطانيا ، واستطاعت ان تتبوأ الصدارة بصفتها احدى المعالم الهامة في ميدان الرواية المغربية الحديثة

ان ادبنا المغربي المعاصر مايزال في طور الارهاصات يلفه ليل مخاض طويل ، ورغم البلبلة والمشاكل فانه سيجتاز فترة التبرعم ليبلغ فترة التفتح والنضج .. وكل هذه المشاكل التي ذكرناها تشكل تحديا لشبابه وتوقه وامكانياته .. وان بعض البوادر التي تخطها اقلام شابة هادفة ، تنبىء عن تحفز للانطلاق ، واستعداد للمشاركة في صنع المفهوم الجديد لانساننا المغربي ..



وجهة الثقافة المغربية



الى اين تولي الثقافة وجهها في الظروف الحاضرة ؟ قبل الجواب على هذا السؤال ، اسارع لابين ان كلمة « الثقافة » في هذا السؤال ليس معناها مقدار الحصيلة الفردية لكل مغربي من العلوم والاداب والفنون او الحضارة ، وانما هي : ذلك الزاد الحضاري القومي المشترك ، الذي تتغذى منه ثقافة كل مثقف مغربي على حدة ، وتنطبع بها اتجاهه ، ويتوجه بها سلوكه ، وتتاثر بها احاديثه وجميع مواقفه ، اينما تثقف ، وكيفما كان لون الثقافة التي علمها .

الثقافة المغربية بهذا المعنى ، هي التي نريد في هذا المقال ان نبحث لها عن وجهة ، ونحب ــ تبعا لذلك ــ ان نراها في اشكالها الحية اولا ، والشعبية ثانيا ، والوطنية ثالثا .

فالمقصود بالثقافة الحية ، مجموع زاد المثقفين ثقافة واسعة في العلم والادب والفلسفة والاجتماع والاخلاق ، في الحالة التي تحتك فيها ثقافة هؤلاء المثقفين بعضها ببعض ، لتتصل بعد ذلك بالطبقة الشعبية في المجتمع ، فتشارك فيها ، وتتاثر بها ، وتؤثر فيها ، وتتمثلها بعد ان يضعها هؤلاء المثقفون بين يدي الشعب .

ولن يستطيع قائل ان يزعم انه لا وجود لمن يمثل اصحاب الثقافة الحية هذه في مغربنا الحبيب ، بل هم في الوطن كثير، على اختلاف ثقافاتهم واتجاهاتهم والوانهم واشكالهم .. ولكننا صدقنا ، منذ البدء ، عن البحث في الثقافة الفردية لكل من هؤلاء على حدة ، لان ذلك امر يطول ، ولا يعطينا فكرة صائبة عن وجهة الثقافة المغربية بالشكل الذي نريد ، لكثرة الافراد من جهة ، ولان الاحكام الخاصة بفرد من الافراد يصعب تعميمها حتى على ذلك الفرد نفسه في سائر اطواره وحالاته من جهة اخرى .. فاذا رجعنا الى البحث عن وجهة الثقافة المغربية بالمعنى الذي اتفقنا عليه ، اسعفنا القول : ان وجهة هذه الثقافة لم تتبلور بعد في اتجاه واضح المعالم والخطوط ، ذلك ان اصحاب الثقافة الحية منكمشون على انفسهم انكماشا تاما ، منعزلون عن المجتمع الثقافي انعزالا كليا ، جامدون على ما علموا جمودا مريعا ، تكاد تحسبهم ــ معه ــ الى الجاهلين اقرب منهم الى المثقفين، والثقافة ــ مهما كانت غالية ــ كالمعدن يفقد نفاسته ، وتضيع قيمته ، اذا اهملت صقالته ورعايته ، وجلاء الثقافة الحقيقي: نزولها من الابراج العالية ، وخروجها من وراء المكاتب والادارات ، الى قاعات البحث والمحاضرات ، ودوائر المناقشات والمناظرات ليقدح الفكر الفكر ، ويوري الزناد الزناد ، وتنير شعلة الفكر الطريق للسارين ، وتتضح معالم الطريق للحائرين ، ويظهر للثقافة المغربية اتجاهها السليم .

فاصحاب الثقافة الحية ، حينما يحتفظون بثقافاتهم لانفسهم ، ويخفون اتجاهاتهم عن الشعب والوطن، تكاد ثقافتهم هذه لا تنفعهم ، وتصبح تجارة بائرة بين ايديهم ، ينسونها او تنسيهم اياها الايام ، ان المثقفين (الاحياء) ــ اذا صح التعبير ــ يعيشون اليوم في بلادنا على هامش الحياة الثقافية المغربية ، وكان من حقهم ان يغمروا هذه الحياة بجدهم ونشاطهم ، فاذا هذه الحياة تغمرهم ، وتعمل على ضمور ثقافاتهم ، واخفاء اتجاهاتهم الحقيقية؛ وما ذلك الا لتفاوت الثقافات وتنوعها في هذا الوطن : فتجد المثقف العربي يخفي صوت ثقافته العربية على استحياء، مخافة ان يتهم بجهل الثقافة والحضارة ، ويصف الى جانب غير المثقفين « اللامتحضرين » ، وتجد المثقف ثقافة غير عربية عاجزا عن المضي بثقافته في المستوى الذي رآه في البلاد التي تثقف فيها ، فيخفي صوت ثقافته عن تواضع او عن غرور : يتواضع اذا علم بضعف ثقافته بين الثقافات الغربية ، ويستكبر اذا

ظن بقومه القصور عن فهم اتجاهه وسلوكه فى الحياة ، وهو فى الحالين عاجز عن المساهمة فى دفع الثقافة المغربية المشتركة الى وجهة معينة ، وسبيل معروفة.

من اجل هذا ، يتحمل المثقفون « الاحياء » تبعات جسيمة فى سبيل خلق الاتجاهات السليمة للثقافة القومية المشتركة ، ولا ينجيهم من هذه التبعة الا بعض التضحية والاخلاص ، التضحية ببعض المنافع والالقاب والامجاد الشخصية ، والاخلاص للثقافة التي علموها، وسمحت لهم ظروف الحياة ان ينفردوا بها من دون سائر الناس فى هذا المجتمع المغربي الحبيب ..

والثقافة الشعبية فى حاجة الى توجيه الثقافة الحية ورعايتها ، ومن واجب المثقفين « الاحياء » ان ياخذوا على عاتقهم رسم الخطط والاتجاهات للمثقفين الشعبيين ، فلقد عرف تاريخنا نبوغا شعبيا ملحوظا فى الثقافة الشعبية ، وذكاء لامعا فى المثقفين الشعبيين، ومقدرة خارقة على قول الشعر زجلا ونقدا وحكمة ودررا ، وانه فى استطاعة احدنا ــ او كان يهمه الامر ــ ان يبحث فى التاريخ الشعبي ، ليجد لهؤلاء المثقفين اتجاهات ونظريات معينة فى الحياة ، فيها مظاهر النبوغ والتعقل ، وامارات من الذكاء والحكمة ولكننا فى عصر لا يسعنا فيه مزيد من التعلق بالماضي، والتمسح باطلاله وانجاده ، وانما يهمنا ان ننظر فى واقعنا ، لنلتمس فيه لنقائصنا كمالا ، ولامراضنا علاجا ، ولتخلفنا اصلاحا ، نجدنا مضطرين لان نقرر ان ثقافتنا الشعبية ، هي الثانية ايضا ، فى حيرة ، لا يعرف لها اتجاه ، لانها ترتوي من معين الثقافة الحية ، وهذه الثقافة لا زالت نائمة راكدة ، تمد الشعب بالتاخر والجمود ، فيبادلها تأخرا بتاخر ، وجمودا بجمود ، وهي حالة تناقض كل اصلاح ، ولا يرضى عنها ضمير الامة .

الثقافة الحية ، والثقافة الشعبية ، تتعاونان معا على خلق « ثقافة وطنية » ونعني بالثقافة الوطنية، ذلك الزاد من الاخلاق والتربية التي يتلقاها اطفال الامة فى المدارس الابتدائية، وفى المنازل ، وفى الشوارع والمخيمات ، الثقافة الوطنية اساس كل اصلاح وتقدم فى المجتمع ، تعتمد عليها الامم الحديثة ، فى تنشئة الاجيال المقبلة تنشئة صحيحة ، وتغرس فيهم العقيدة السليمة ، والاتجاهات الوطنية القويمة ..

على ان جميع المبادىء والمعلومات التي يتلقاها الاطفال فى الصغر يصعب محوها منهم فى الكبر .. والمشكلة الخطيرة التي تعترض الثقافة او التربية الوطنية فى بلادنا تكمن فى ان هذه الثقافة تلقى الى التلاميذ فى بعض الاحيان بلغة ان كان يتكلمها المثقفون فهي ليست ، بحال من الاحوال لغة عامة الشعب ، ويقوم بالقائها وتقريرها فى بعض الاحيان الاخرى أناس ليسوا من هذا الشعب، ولا من عاداته ، ولا من مبادئه، ولا من اخلاقه ، اننا مضطرون لان نسلم مع كل احد ، ان هذا الوضع انما هو امر موقت ومرحلة انتقالية الجات اليها الضرورة .. ولكننا مضطرون ايضا الى ان نضيف الى ذلك ان هذا الوضع الموقت وهذه المرحلة الانتقالية ستحدثان لنا جيلا انتقاليا مضطربا .. لا وجه لثقافته الوطنية .. ولا تدري متى يدركه الاستقرار ولا متى يعرف الاطمئنان ، وليست تبعة ذلك على هذا الجيل ، وانما هي جناية الايام ، وجناية الاباء على الابناء (جناية الثقافتين ، الحية والشعبية ، على الثقافة الوطنية) ان احببنا ان نكون صرحاء ، والا فما ذنب الطفل ، وهو لم يتلق فى المدرسة ولا فى البيت شيئا من مقومات عربيته ومبادئه ، اذا لم ينشأ عربيا او نشأ على غير مبدأ ؟ اعتقد انه لا لوم عليه اذا لم يكن لثقافته وجه ، ما دام الكبار انفسهم يسيرون على غير اتجاه .

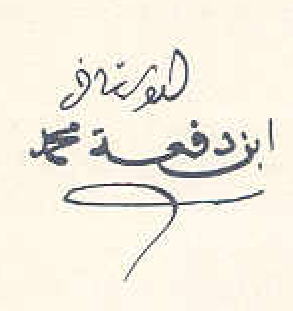
ولو شئنا ان نقبل عذر كل ذي عذر ، لما القينا تبعة عدم وجود وجهة للثقافة المغربية على احد ، ولبرأنا ساحة الجميع ، ولكن هذا ليس بشيء ، على النائمين ان يفيقوا على اصوات التقدم ، وعلى الجامدين ان يتحركوا على انغام العمل ، وليصغ كل منا بسمعيه الى ضمير الامة يصيح فى اعماقه مهيبا به الى التضحية والاخلاص ، ان بلادنا تمر بفترة انتقالية فى ظروف عصيبة ، وبعقبات لابد من اقتحامها ، ولكننا سنتغلب على هذه الظروف ، وعلى هذه العقبات بانفسنا : فالذي وضعته ظروف ثقافته فى قالب من الجمود عليه ان يثور على هذا الجمود باعتقاده انه أكبر من هذا القالب الذي فرض عليه .. والذي وضعته الظروف ، خطأ ، فى صف المثقفين ، وكانت الثقافة تبرأ منه ، تقتضيه التضحية ويقتضيه الاخلاص ان يظهر على حقيقته للناس ، ويتأخر ليتقدم

غيره .. والذي اجهده الكفاح ، وشهدت له الامة يوما بذلك ، يقتضيه شرف الكفاح ان يثبت على ذلك. ان هذا كله سهل ويسير على ذوي النفوس الكبيرة الذين يرعون مصلحة الامة والشعب ، ويهمهم ان يتقدم هذا الشعب ويسير .

على ان مشكلة الاتجاهات الثقافية في البلاد : لا يحلها فرد ، ولا يمكن ان تتمثل في مقال او كتاب وانما تشترك في حلها « امة » وتساهم في خلقها «مجموعة» تتدرج بها نحو التفتح والنمو ، ثم ترتقي وتتقدم ـ مع الايام ـ لتصبح اتجاهات عامة سائدة ، وخطوطا كبيرة متفرقة ، يعيشها كل مثقف ، حيا كان ام شعبيا او وطنيا ، يعيشها اذا تحدث او خطب او كتب او فكر او تعلم .. وحينئذ تستطيع ان تضع يدك على مجلة ، او تستمع الى حديث في اذاعة ، او تدخل الى محاضرة في ناد او جامعة ، لتجد فيها الاتجاه الثقافي القومي المنشود .



نظرة جديدة في أزمتنا الأدبية



لعلي ، وانا ازمع على طرق هذا الموضوع ، اشبه بمن يزمع على نبش قبر .. والجثة نتنت .. وتهرأ عن بقاياها الكفن ..

ذلك لان الازمة الادبية عندنا ، تداولها البحث منذ فجر الاستقلال ، وتنوعت الاقلام والمواهب والمقدرات التي عالجتها .. وقد عولجت هذه الازمة في شيء من الوعي ، وفي شيء من الشمولية حينا ، وفي كثير من السطحية والارتجال والتجزئة في كثير من الاحيان .. ثم اهملت ، وهجر التحدث عنها، تماما كما تهجر المائدة بعد الشبع ، وهي لا زالت حافلة ..

بيد ان كثيرا من هؤلاء الباحثين انكروا بتاتا ، وجود ازمة ادبية في بلادنا ، لانهم انكروا اصلا ، ان لنا ادبا .. بل ، وشك بعضهم كثيرا في امكان ان يكون لنا ادب .. وكانت حدود ابحاثهم ، في اكثرها تكاد تقف عند مناقشة هذا السؤال المكرر : هل لنا ادب ، حتى نشكو من ازمة ادبية ؟ .

ويبدو ان هذا سؤال غير مشروع ، بل انني اكاد اعتقد انه هازل ، اذ ليس من المشروعية في شيء ان نتساءل : هل في المغرب حياة ؟ هل فيه امة وقومية واهداف ؟ هل فيه انسان ؟ والسؤال الاول يحمل ، ضمنيا ، كل هذه الاسئلة ، فما من امة بلغت درجة من الرقي والوعي ، وآمنت بقومية ، وتطلعت الى مجموعة اهداف الا وظهر هذا الوعي ، وهذا الايمان والتطلع في محاولاتها الادبية .. ولعل من العسير جدا انكار معالم النهضة الادبية ، والفكرية عامة ، التي تطل براعمها في بلادنا ، ولعله ليس من اليسير ايضا اثبات التهمة الموجهة الينا كتهربيين منسلخين من قوميتنا واهدافها ، بل يخيل الي ان هؤلاء الباحثين الجادين انفسهم يؤمنون بوجود تيار قومي عربي تحرري ، وتيار فكري ادبي هادف ، وما ساقهم الى وضع مثل هذا السؤال الا الحاجة القومية لتسويد وجه الصحف .. والا ، فكيف ينكرون وجود ادب مغربي وازمة ادبية ، وهم في اللحظة نفسها ، ينتحلون القاب (شاعر ، ناقد ، اديب ، كاتب ..) ويلتحفونها، ولا يقبلون بوجه ان تخلع عنهم ..

نعم ، قد يكون الادب ، في امة ما ، ذا مستوى انخفض ، بكثير او قليل ، عن مستوى الاداب العالمية الكبرى ، وهذا ما لا سبيل الى انكاره بالنسبة للادب المغربي ، فان حركتنا الادبية لا تواكب الاداب العالمية في تياراتها الفكرية ، ومفاهيمها الجديدة ، بل اننا متخلفون ، بشكل بارز ، عن ركب الادب الشرقي نفسه ، رغم الصلة الوثيقة بيننا وبينه في لغة الاداء ، وفي القضايا والاهداف المشتركة ، في الالة والمادة الخام ..

* * *

واسباب هذا التخلف انواع .. الا ان اخطرها ينبع من داخلنا ، من نفسياتنا .. بينما نحن ، كلما شعرنا بخطورة تخلفنا عن غيرنا ، سعينا الى تبريره باعذار وباخرى ، متملصين من مسؤولياتنا ، فنفتعل حالة المجبور ساقته ، وتسوقه قوى خارجة عن ارادته .. اذ تعدد عوامل كثيرة تعوق ازدهار الادب والفكر في بلادنا ، ونكاد نفرع كل هذه العوامل عن اصل واحد ، هو تدخل الاستعمار في حياتنا الفكرية طيلة المدة التي تدخل اثناءها في حياتنا السياسية والاقتصادية .

ان تدخل الاستعمار هذا ، هو العائق الاول الذي تستولده بقية العوائق الاخرى .

ومن هذه العوائق التي تستولدها كذلك ، مشكلة عدم الانسجام الثقافي ، فالتدخل المستخدم المحطم هو الذي صدع الوحدة الفكرية في بلادنا ، حيث كان من تخطيطه عدة مناهج للتعليم كل منها يبتعد عن الآخر . . فتنوعت بذلك ثقافات افراد الشعب، فثقافة فرنسية واخرى عصرية ، وثالثة دينية ، اي ان كل فرد من افراد الشعب كانت له مع هذا التصدع الثقافي ، مفاهيم وقيم تغاير ، بل قد تعاكس ، مفاهيم وقيم الآخر . . هذا مع العلم ان اكثر من ثمانين في المائة من الشعب لا يكتبون لان الاستعمار وقف في طريقهم حاجزا بينهم وبين التعلم . . وهذا بالطبع لا يساعد ، بل ويعوق خلق ادب متكامل منسجم . .

ومن هذه العوائق ، التي تمخض عنها الاستعمار، عدم توفر المجال للنشر . . فدور الطباعة التي تشرك الاديب في الربح ، وتتحمل وحدها الخسارة ، منعدمة في بلادنا ، وهذا ما جعل الاديب ينتج ، ويبقى انتاجه في الدرج ، او يعرف مقدما ان انتاجه لن يرى النور . . فلا يكتب .

ومنها ايضا عدم وجود القارىء الواعي ، الذي يستهلك ما ينتج الاديب المغربي ، او قل ، يستهلك ما ينشر منه .

والخلاصة ، في راي معالجي ازمتنا الادبية ، ان القضية كلها عدم في عدم ، والنتيجة ، بالضرورة . . عدم .

ولعل لهذه العوائق ، وليدة الاستعمار ، اثرا ما في ضآلة وغثاثة ادبنا ، الا ان هذا الاثر ليس من الخطر بالمكان الذي يدعو الى جعل هذه العوائق اخطر ما يعترض خطانا الادبية ، فلعلنا ، اذا ناقشناها قليلا ، نجد ان الواقع يؤيد ان عرقلتها لسير ادبنا ليست جسيمة . . فبالنسبة للعائق الام ، تدخل الاستعمار ، نجد ان ما انتجه الشاعران الحلوي وعلال الفاسي في ظل الاستعمار اكثف واكمل مما انتجاه بعد الاستقلال ، ونجد ان ما كتبه الاساتذة محمد القاسي ، وعبد العزيز بنعبد الله ، وعبد المجيد بن جلون ، وعبد الكريم غلاب ، من الوان النثر قبل الاستقلال كان اضخم واعم مما نقرؤه لهم بعد الاستقلال ، فتاثير التدخل التسلطي اذا ، قد يتمخض عن رد فعل عكسي ، مهما بلغت قسوة وحنكة هذا التدخل ما دام يلقي امامه اديبا مشحونا بطاقات ثورية على الاستعمار ، وعلى كل خطط وبرامج الاستعمار . .

واما بالنسبة لوسائل النشر ، وعلاقتها بالربح والخسارة ، فانني اعتقد ان الاديب الاصيل لا يبالي بهذه الاشياء ، ولا يجعلها من اعتباراته ، فانتاجه لفنه ليس متوقفا على وجود وسيلة للنشر ، او على عدمها ، بل هو كالام ، يحمل الفن جنينا في ملكاته الباطنية ، ومتى احس به يتخبط في جوفه . . وضعه . . ولو ان تحقيق الاعمال الفنية يعتمد على سهولة النشر ، وضمان الربح منه ، لما حفظ تاريخ الفكر لنا تراثا ضخما كثيفا ، لم يستفد منه اصحابه درهما .

واما مشكلة القارىء فمحسوسة من تلقاء نفسها، متى وجد الادب الذي يقرا ، كالسباحة تجد من يتقنها في قرية يوجد قربها نهر . .

فهذه العوائق التي ركز الباحثون بحوثهم عليها ليست جذرية بل هناك عوامل اخرى ، اغفلناها ، ونغفلها اغفالا يكاد يكون تاما ، في حين انها العلل الجذرية الحقيقية لسطحية وهزال وتفاهة انتاجنا الادبي ، واهم هذه العوامل واخطرها ، ينبع من ذاتيتنا ، ولا يأتينا من مؤثر خارجي .

واننا ، بقليل من التروي وامعان النظر ، يمكن ان نصنف هذه العوامل الجذرية التي تعوق تقدم ادبنا الى صنفين :

1) عوامل ذاتية ، تكمن في نفسياتنا جميعا ، سواء منا الناقد ، والمبدع والمتذوق . .

2) عوامل ليس فيها بد ، وقد يكون الناقد والمبدع مسؤولين عنها . .

والقسم التالي ، محاولة نقصد منها بحث اخطر عوائق هذين الصنفين .

— اصنف عوامل الدرجة الاولى وهي :

— أ —

مشكلة كوننا نظريين حيال المفهوم الجديد للادب فبالرغم من اطلاعنا على المراحل التي قطعها الادب

العربي في الشرق ، شكلا ومضمونا ، منذ بداية سريان الوعي القومي في الوجود العربي الى الآن ..

وبالرغم من استيعابنا للمفهوم الجديد للادب عند اخوان لنا في اللغة والقومية وفي مشاكل الامس واليوم ، وفي اهداف الغد .

وبالرغم من فهمنا للتيارات الادبية عند رواد النهضة الحديثة ، في شتى الوان الادب . وكيف تطور وارتقى الادب على ايديهم وايدي من بعدهم ؛ وكيف تسربت الى الادب العربي مناهج البحث ، ومذاهب الالتزام ، ومدارس النقد الغربية .. وكيف احتضنها هذا الادب العملاق ، ومشرقها ..

بالرغم من كل هذا ، فاننا نظريون .. الى حد نشعر معه بالخجل .

ولنأخذ ــ لنمثل لذلك ــ شعرنا الذي يعاصر النهضة العربية الحديثة ، في الحيز الزمني ، ولنغربله ولنصفه ، معتمدين على اساليب ومدارس النقد الحديث ، نجد ان انتاجنا لا يساير المفهوم والمقياس الجديدين ، ولا يضارع الادب الشرقي في القيمة والكثافة والاصالة .. رغم مجاراته له سطحيا في الشكل ، اذ ان الشعر عندنا ، مثلما هو عند اخواننا الشرقيين ، يتجه ثلاثة اتجاهات :

1) اتجاه لا زال يتمسك ببعض قوالب وصيغ ومفاهيم النهضة .. القصيدة العمودية ، ذات الالف موضوع ، المعتمدة على الجناس والمحسنات الاخرى ، ويغلب على رواد هذا الاتجاه عندنا ، عدم الاحتكاك بالعصر ، وقضايا الساعة ، اذ انهم لا يهتمون بشيء ، بقدر ما يهتمون بان تشبه قصائدهم قصائد ابي تمام وابي الطيب وغيرهما من فحول القدماء .

2) اتجاه اعتنق رواده التيار الجديد ، في الشكل ايضا ، بينما هذا التيار يدعو الى تجديد في الشكل والمضمون ، حيث يدعو الى كسر وحدة البيت ، اي الى الاعتماد على التفعيلة في القصيد ، بدلا من الشطر ، مع عدم التزام القافية الواحدة ، بالضرورة ، في كل القصيد .. هذا من حيث الشكل ، اما من حيث المضمون فهو يدعو الى اشراك الابيات العدة ، في المعنى الواحد ، فاستقلال البيت الذي يفرضه الاتجاه الكلاسيكي يصعب معه قول كل ما يجول في نفس الشاعر ، ويسوق احيانا ، الى حشد كلام في القصيد ، لا يجول في نفس المبدع ، ولا يتسق مع العمل الادبي .. وانما فقط لاتمام هيكل البيت .. ثم ان مشاكل العصر تعقدت وتشعبت ، فالشعر العمودي يوشك ان يكون مستحيلا .. الخ

هذا الاتجاه الجديد اعتنقه كثير من ادبائنا الشباب ، بعد ان فهموه فهما مغلوطا ، فراح اكثرهم يكتبون شيئا لا هو بالشعر ولا هو بالنثر ، ومع ذلك ينشر في صحفنا .. الصحف التي تبقي بعض اعمدتها بيضاء ، فتعمد الى تسويدها بالدعاية لقلم يعرض بدار لم تندبها للدعاية لها .. (هذا مع تشكينا من ضيق مجال النشر) .

3) وبين هذا الاتجاه وذلك ، يوجد اتجاه معتدل ، يحاول ان ياخذ محاسن كل من الاتجاهين السابقين ومحاولات رواد هذا الاتجاه تهدف الى مسايرة المفهوم الجديد للادب باعتدال ، فهي مقتصدة في التمسك بالقديم ، وفي اعتناق الجديد .. او قل انها تحتفظ من القديم بما لا يجمل التخلي عنه ، وتاخذ من الجديد ما اكد العقل ، والمنطق وجاهته واصالته .

ولكن مثل هذا الادب ، عندنا ، ضئيل جدا بالنسبة لادب الاتجاهين السابقين فانه الالماسة في كومة فحم ..

ثم ان هناك جانبا لا نسائل انتاجنا الادبي عنه ، وهو الجانب الفلسفي فادباؤنا لا يضعون ابداعهم على اساس الفكرة الفلسفية الا لماما ، ونقادنا لا يلتمسونها في اعمالنا الادبية ، واذا التمسها بعضهم لا يكاد يعثر الا على لقطات يسيرة ، عابرة .. غير ذات خطر في الاثر .. هذا مع علم كل من الاديب والناقد ، بان علاقة الفلسفة بالاعمال الادبية ، اصبحت ، منذ زمان كالعلاقة بين الماء والورد .

هذا عن الشعر ، ولعل شبيها منه يمكن ان يقال عن بقية الوان الادب الاخرى .

ــ ب ــ

مشكلة علاقة الابداع ، بالمثل الاعلى الذي يترسمه المبدع ..

اي علاقة الشاعر المبدع ، مع شخصيات الشعراء ، او شخصية الشاعر الذي يؤثر فيه اثناء تحقيق العمل الادبي .

ولناخذ الشعر ، مرة اخرى ، لنمثل .. فالشاعر عندنا ، يقيس اعماله الادبية بمقياس فاسد ، اذ يعتبر نفسه مجيدا ، او بعيدا عن الاجادة ، تبعا لكون قصيدته قريبة او بعيدة الشبه بقصيدة نظمها شاعر كبير يؤثر فيه ، ومن هنا كان عدم ظهور شخصية ادبية كبيرة فى بلادنا ، لها نكهتها ، وسماتها المميزة لها عن الشخصيات الاخرى ، بحيث تقرا القصيدة فتتنسم فيها روح او سجية او اسلوب او مذهب صاحبها ، او تقرؤها فتتنسم فيها هذه الاشياء جميعها .

وليس هذا القول جزافا ، لانني فى الواقع لو قرات قصائد ثلاث ، اغفلت من امضاء ، احداها لابي ماضي ، واخرى للشابي ، وثالثة لنزار ، استطعت فى يسر ان اضع على كل قصيدة اسم الشاعر الذي نظمها .. فهل تراني ، استطيع ذلك حيال ثلاث قصائد لثلاثة شعراء مغاربة ؟

اكاد اومن باستحالة ذلك ..

وقريب من هذا القول ، ايضا ، يمكن ان يقال عن بقية الوان الادب الاخرى ، بل ان اغلب ادبائنا الباحثين فضلا عن صعوبة تنسم سماتهم الشخصية فى بحوثهم فى لون معين ، يزيدون الطين بلة ، حين يرودون الوانا مختلفة من الفن .. فمقال سياسي يطلع عليك اليوم لكاتب قرات له امس بحثا عن الموسيقى وستقرا له قصة عاطفية غدا .. فيكاد القارىء يجزم ان اغلب ادبائنا تهافتيون ..

– ج –

الاستعلاء والتحقير ..

ان كثيرا من ادبائناالكبار يستعلون، بل ويحقرون من شأن الآخرين .

تصل درجة الاستعلاء والاعتزاز عند بعضهم ، ان يقدم قصيدة كلاسيكية متنوعة الموضوع ، عادية مالوفة ، طويلة مع كثرة حشو .. يقدمها على اساس انه نظمها ، لتكون ردا **قاطعا** على من يزعم بوجود نكسة ادبية عندنا .. وتصل درجة تحقير الآخرين عند بعضهم ان يقف شاعر **ناشىء** امام مسؤول فى الاذاعة يطلب تسجيل قصيدته التي نالت **الصف الثالث** فى مباراة ، فيلتفت شاعر **كبير** نالت قصيدته الصف **الرابع** فى نفس المباراة ، يلتفت الاديب الكبير الى رفيق له ، ويقول بصوت يقصد منه اسماع الناشىء (صارت القصائد عصائد) .

ثم ان هناك نوعا آخر يجمع التحقير والاستعلاء معا ، ذلك هو التحقير الجريري .. الصمت ، فكبار ادبائنا يسكتون عمدا وعن اختيار ، عن ادب الشباب ، فلا يقيمونه ، ولا يقومونه ، ولا يظهر ابدا انهم عازمون على الالتفات اليه فى يوم من الايام ، تماما كما لم يحفل جرير بهجاء بشار له ، احتقارا واستصغارا ..

وقد اعتبرت هذه العوامل ذاتية نفسية بالنسبة للمبدع والناقد ، والمتذوق لانها تعيش فى فكر وفى نفس كل منهم ، فكل من الناقد والمبدع ، يقيسان الاثر الادبي بمدى اقترابه او بعده عن كبار الشعراء .. والمبدع والناقد يتجاهلان المفهوم الجديد للادب ، وهما معا يستعليان ويحتقران الآخرين .

والمتذوق يجاريهما فى المقياس والتجاهل والاستعلاء ، لانه لا يعبر عن رايه ، ولا يقيم العمل الادبي كمستهلك عادي ، ولكنه يعرف مدى اصالة او رداءة البضاعة التي يستهلكها ، ثم ان الانسان متى استعلى واعتز واحتقر الآخرين ، فانه يشعر فى قرارة نفسه ، وبالضرورة ، انه بلغ الكمال ، فلا يسعى بعد الى مزيد من الرقي ، لانه لا شىء فوق الكمال ، هذا بالنسبة للمبدع والناقد ، اما القارىء المتذوق فيزيد نوعا من الاستعلاء والاحتقار .. وهو ان يهجر ادب بلاده تماما ، ويستهلك اداب امم اخرى لانها ارقى وانضج .. وان اغلب قرائنا يقتاتون من خبز الآخرين، يلتهمون من موائد الجمهورية ولبنان وغيرهما ، ويتخمون بسرعة ، ثم ، ينامون ، فلا يكاد يكلف نفسه قراءة كتاب او مقال لاديب مغربي الا قليل من قرائنا. وهذا لا يعني اننا ندعو الى هجر ادب اقطار العروبة الى ادبنا ، ولكن ندعو الى جعل ادبنا المحلي فى مكان بين ادبنا العربي العام ، فنقراه ، ونقيمه ، ونقومه ، وان ذلك لمن الواجبات التي تضعها القومية العربية ، وانهاضها على كواهلنا .

اما عوامل الدرجة الثانية فاهمها :

ا ـ سكوت النقد عن بعض المبدعين تماما ، وسكوته عن بعض الادب ، بينما يتضح حديثه عن مبدعين بعينهم ، وعن فنون ادبية بذاتها ، ففن القصة ، مثلا ، في بلادنا يرتاد منذ زمان ، ولكن متى قرات نقدا موضوعيا لقصة ، او لرواية مغربية ؟

ب ـ تحامل النقد في بلادنا ، فلو اننا بحثنا ، وجدنا بعض نقادنا يحللون ويقيمون الاثر الادبي تبعا لاعتبارات خارجة عن الاثر .. فما ابرز اصالته عند اديب كبير ، احاول ان ابرز خطله عندما اتناول ناشئا مغمورا او اديبا ليس لي به صلة .

ج ـ منهج البحث الذي يسلكه اغلب نقادنا في تقييم وتقويم اعمالنا الادبية ، فاكثر من يرودون النقد الادبي عندنا ، لازالوا ينظرون الى العمل الادبي بعين ابن سلام ، وابن طباطبا ، وابن الاثير .. ويظهر ذلك جليا في الشعر خاصة ، حيث يركزون جهودهم في اقتناص الزحافات واختلال الروى .. وضعف القافية ، وفي تصيد الاغلاط النحوية واللغوية والبلاغية ، مع الاشارة الضرورية الى ان شبيها من هذا المعنى جاء في بالية فلان .. او ان هذا الشاعر يؤثر فيه الشاعر الكبير فلان ..

وانا لا ادعو الى السماح بفشو اللحن في الادب ، مهما كان نوعه ، كما لا ادعو الى تجاهل السرقات الادبية ، ولكني اعتقد ان اهم وانفع من ذلك ان نلتفت الى العلاقة السيكلوجية بين الثالوث المنتج (الشاعر والتجربة ، والبيئة الموحية) من جهة ، وبين التيار الفكري ، واللحظة الحضارية والمدارس الادبية الحديثة من جهة اخرى ، ان ذلك شيء يجب الاهتمام به اكثر من اي شيء آخر .. كما يجب ان نبحث عن الهدف الذي قصد اليه المبدع ، وعن مدى توفقه في بلوغ ، او عدم بلوغ هذا الهدف .

ولا يتاتى ذلك ابدا مع تجزيء ، وتصيد اغلاط.. بل مع النظرة الشمولية التي تاخذ العمل الادبي المحقق ككل موحد ، لا يتجزا ، لانه كالكائن الحي تماما ، متى جزاته فقد الحياة ..

وطبعا ، اذا سكت النقد ، او تحامل ، او قاس بميزان صدىء ، فان ذلك يقود الى عدم تقدم الابداع.

ولعل سائلا يسأل : ما دام النقد مسؤولا عن السكوت ، او التحامل ، او تشغيل الميزان الصدىء ، فما وجه اشتراك التذوق له في المسؤولية ؟

والجواب على ذلك ، ان المتذوق يصبر على السكوت ، ويبتلع التحامل ، ويقبل تشغيل الكيل الصدىء ، هذا ، وهو يعلم بوجود كيل جديد لا يبخس الحق ، ولا يلوث البضاعة ، فلذلك وقع عليه جزء من المسؤولية ، فالمتذوق ، وقد سبقت الاشارة الى هذا ، يجب عليه الا يكون سلبيا ، حيال تراث امته الادبي ، والفكري عامة ، بل من واجباته ان يعبر عن رأيه ، وان يحاول ، ويدافع عن وجهة نظره ، فربما تكون اصوب من نظرة الناقد او الفكر .. وان البلاد ذات النهضات الادبية والفكرية الحقة ، لا يخوض غمار ميادين الفكر والادب ادباؤها ونقادها ومفكروها فقط.. بل والقارئون المتذوقون ايضا ..

وبعد ، فهذه نظرة ، حاولت ان تكون شمولية ، لازمتنا الادبية ، والبحث عن عواملها ، وقد تبين أن عوائق تقدمنا الأدبي اما خارجية ، كالاستعمار وبناته ، وهذه ، وان كان لها اثر ما ، ليست من الخطورة بحيث وضعها بعض باحثي هذه الأزمة ، واما ذاتية بالنسبة للمتذوق والناقد ، والمبدع ، اي بالنسبة لنا جميعا كمغاربة مسؤولين عن رفع شؤون الفكر في بلادهم .. واما ذاتية بالنسبة للمتذوق والناقد فقط ، وهذه هي العوامل الجذرية لتاخرنا الادبي ، التاخر الذي لا يقدم لنا واقعنا اية مساعدة على انكاره .. الا انني كبير الامل في انه يلتفت المغربي ، ايا كان ، الى هذه العوائق الكامنة في خلاياه ، وينتزعها ..

وانا متاكد ، بعد ذلك ، من أن ادبنا سيسير بخطى واسعة سريعة .

بعد مرور سنة على استقلال موريطانيا

موريطانيا لا يمكن أن تتوفر فيها شروط الدولة

للأستاذ
محمد احمد الغربي

في اليوم الثامن والعشرين من شهر نوفمبر الماضي مرت سنة كاملة على الاستقلال المزعوم الذي منحته فرنسا لموريطانيا ، واعلنه السيد ميشل دوبري امام اربعين نفرا اطلق عليهم منذ مدة نواب الشعب الموريطاني .

ولن نعنى فى هذا المجال بالاحداث ذات الصبغة الخطيرة التي سبقت واعقبت ذلك اليوم من العام الماضي ، كما لن نتطرق الى بسط الملابسات القانونية والدولية فذلك ما تعرضنا له مرارا على صفحات هذه المجلة واصبح محل فهم دقيق من طرف جميع المتتبعين للقضية الموريطانية .

والذي سنعنى فى هذا الحديث بتحليله والقاء الضوء عليه او التذكير به هو ما فعله المتآمرون فى غضون السنة المنصرمة ، والفشل الذي كان يلاحقهم وهم يحاولون انهاض جمهوريتهم العجيبة على قدميها الخائرتين .

لم تكن الوضعية السياسية فى نهاية 1960 مشجعة للمضي فى تنفيذ المخطط الذي كان معدا لموريتانيا ، فحزب النهضة الذي شهد بعثا جديدا فى تلك الفترة بمناسبة الحملة الانتخابية البلدية وتنسيق الجهودبينه وبين الحزب الاشتراكي الاسلامي، والتضعضع الذي ظهر محققا فى صفوف الحزب الحاكم « حزب التجمع الموريطاني » بعد تبلور الخلاف بين كاتبه العام المختار ولد دادة ومديره السياسي المختار انجاي ، خلقت هذه الظروف الجديدة وضعا غير متوازن فى التقابل السياسي ، وجعل الافكار الوطنية والوحدوية تستقطب مزيدا من العناصر الواعية والمناضلة .

وكان لابد لابن دادة ان يختار التصالح والتعاون مع المعارضة ، قبل أن تؤدي به عزلته المتزايدة الى التطويح به فى نهاية الامر . وهكذا اصدر فى 29 غشت 1960 بيانه الشهير لا باعتباره رئيسا للحكومة ولكن بوصفه امينا عاما لحزب التجمع ؛ وجاء فى ذلك البيان الذي دعا فيه الى الاتفاق مع احزاب المعارضة حول مائدة مستديرة « بانه قد حان الوقت للوصول الى حل يرضي الجميع » وانه اي المختار ولد دادة « مستعد باسم حزبه للدخول فى هذا التفاوض باخلاص وحسن نية » .

وكانت المعارضة تعرف حقيقة هذا الداعي ، ومتأكدة من انه ان كانت للمختار قوة وشكيمة فانهما مستمدتان من الوجود الفرنسي فى موريطانيا ، وبدافع من غيرتها ارادت ان تعطيه فرصة اخرى ليبرهن على النية الحسنة التي ادعاها لنفسه ولحزبه الرمزي واذا تم ذلك على الوجه المرغوب فلا شك ان العزلة سوف تتحول عنه الى الاستعمار نفسه ، وتصبح موريطانيا متحررة اذا صلحت العزائم وتكتلت الصفوف .

وبالفعل فقد اجتاز الزعماء الموريطانيون الخمسة حدود السينيغال نحو نواكشوط معتقدين انهم سيجدون النوايا الحسنة فى انتظارهم ، ولكن ماذا وجدوا (؟) الكل يعلم ان ذلك النداء المفعم بالطيبة والكرم لم يكن سوى شركا وقع فيه الزعماء الذين

اصبحوا بعد ساعات من وصولهم سجناء قرية (تشيت) فى الحوض الموريطاني .

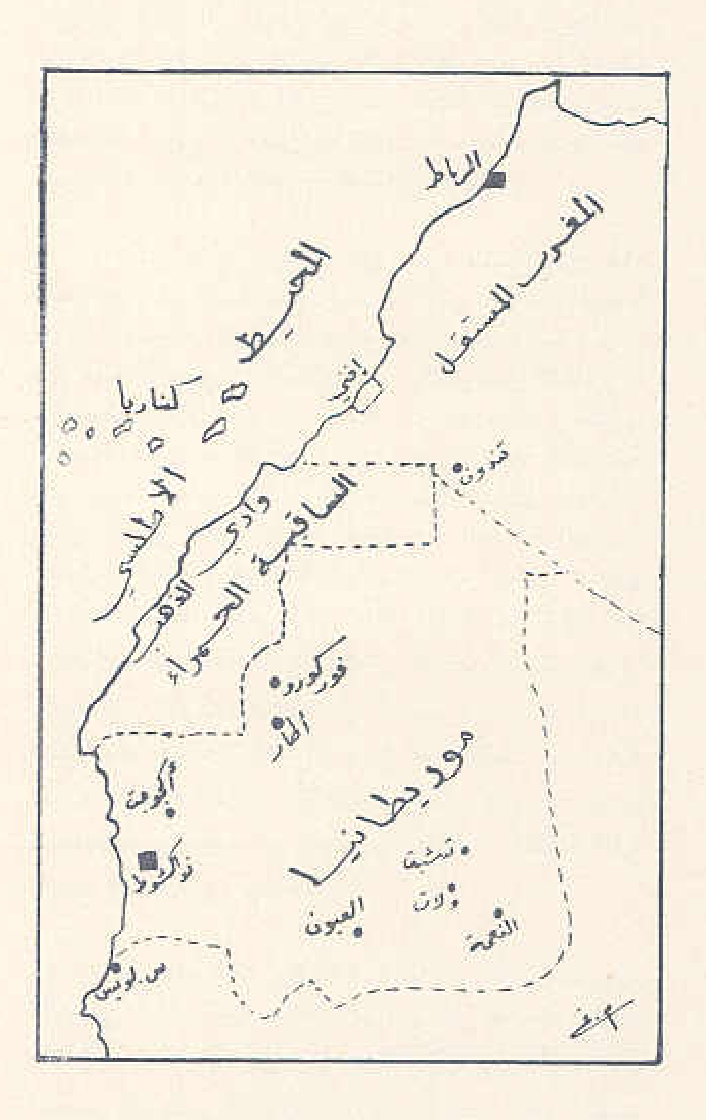
ولم يمر ذلك بالسهولة التي تصورها (بورغارال) مدير الداخلية آنذاك ، لان الجماهير اخذت هذه المرة زمام المبادرة ، ومرت الشهور الاخيرة من السنة الماضية مسجلة احداثا فى منتهى الشدة لاحظها جميع الذين حضروا حفلات الاستقلال المزيف . وظل الحال كذلك حتى بداية شهر مارس الذي بدا بانه كان توقيتا للقيام بعمل واسع ضد الفرنسيين وحكومة ولد دادة .

ولم يكن الفرنسيون ومن ورائهم حكومة موريطانيا يظهرون من القلق بمناسبة اتساع العمل المباشر بالقدر الذي اظهروه ازاء طرد المندوبين الموريطانيين من الامم المتحدة عند ترشيح الاقليم لاول مرة . ولا شك ان خوفهم من انكشاف الحدود الشمالية والشرقية بدون ان تكون هناك ضمانات دولية هو الذي حملهم على معاودة حديثهم عن التصالح الوطني بقصد تمتين الوضع فى الداخل ، والاستعانة بذلك فى ادخال موريطانيا فى حظيرة الامم المتحدة .

وهكذا وضعت سنة 1961 تحت شعار « الاتحاد والوفاق » ، فاجتمعت المائدة المستديرة فى 20 مايو ، ووالت اجتماعاتها التي كان يعترضها استمرار رفض ابن دادة لشروط المعارضة ، غير ان ابن دادة كان يعد دائما ويمني بان كل شيء سيسير وفق ما يريده حزب النهضة اذا ما ايده فى معركة تعديل الدستور وانتخاب الرئاسة .

وكان ما اراد ابن دادة . ولم يتحقق الا القليل مما وعد به المعارضة وحتى الحكومة التي كان مقررا ان تكون شطرا بين الحزبين الكبيرين اخذت جل مناصبها العناصر المؤيدة للوضع . واتى قبول موريطانيا فى الامم المتحدة ليفتح الاعين على حقيقة كبرى وهي ان التصالح الوطني قد ادى دوره المطلوب منه اداؤه ، فقد قام بالتأثير على بعض الدول واظهر لها ان موريطانيا تقف كلها وراء الحكومة الصورية . واذا فلا مانع من ان تعود المعارضة الى وضعها كجماعة تكافح بكل الوسائل وان تقنع فقط باداء الرسالة التي هيئت لها وهي ان تسبح بحمد منقذ الامة وزعيمها الاوحد : المختار ولد دادة (!) .

وان تطور الاوضاع السياسية بالداخل على هذا النحو ، واستمرار ترديها مع توالي الاشهر ، على على الرغم مما يحاول الحكام فى الاقليم الموريطاني ان يظهروا به فى الخارج وعلى الرغم مما يضفونه على « دولتهم » من مظاهر السيادة والاستقرار والتمركز الدولي ، كل ذلك يجب ان يقرر بتعميق الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدستورية ، لان من شان هذا التعميق ان يجعل حكمنا على حقيقة هذه « الدولة » حكما فى محله ، وغير متأثر بالعواطف او الهوى .



ولعل اول ما يتبادر الى ذهننا هو العرض الذي قدمه المختار ولد دادة امام ما يسمى بالمجلس الوطني الموريطاني يوم 25 نوفمبر 1960 واطلق عليه « البرنامج المستعجل » فقد تضمن الخطوط الدقيقة

لما ستنهض به الحكومة المزعومة في ظرف سنة . ومرت سنة كاملة ، فماذا كان نصيب المشاريع الكريمة من التحقيق ؟

لقد كان البرنامج ـ الذي كان المفروض ان يكون الاطار الذي تشهد ضمنه جميع مجالات النشاط بروزها وسيرها ـ موضوعا تحت شعار « التقشف » حتى ان ابن دادة تحايل اكثر من مرة على استعمال كلمة «الضغط على الميزانية» «والتقنين في المصاريف» «واللجوء الادنى» ، ولكن الذي لوحظ بعد ايام فقط على الاستماع الى عرض ابن دادة ، ان هذا الرجل قد ضغط على كل شي الا على المصاريف ، بل ولوحظ فوق ذلك ان الشعار الذي وضع تحته البرنامج وهو التقشف اصبح لا معنى ولا مكان له ، واصبح هناك شعار جديد هو الرشوة والفضائح المالية .

والذي تتبع نشاط حكومة موريطانيا خلال هذا العام يجد ان المشاريع الوحيدة التي صرفت فيها اموال الصدقة الفرنسية تتخذ لها اسماء غريبة ، ومن بين هذه الاسماء: ـ الاستمالة ـ والتعويض التعاوني ـ والتعويض التقاعدي ـ ، ولقد صرفت مبالغ تقارب خمسة ملايين فرنك افريقي في صنع الاوسمة الشرفية التي وزعت بدون مقياس او مناسبة خلال شهر يوليو الماضي ، ولم تخرج المصاريف الجديدة التي تصورت حكومة موريطانيا انها ستترتب عن « السيادة » ، لم تخرج عن نطاق الحفلات والولائم والجولات عبر العالم . ولاشك ان المسيو كومبايي وزير مالية موريطانيا الذي اقيل قبل اسابيع عنده الكثير مما يقوله في هذا الموضوع فقد كانت له ادارة تشبه « ادارة الشؤون الاهلية » مهمتها التعرف على المستحقين والبحث عن الجيوب والبطون الفارغة التي تحتاج الى العناية والالتفات .

ويظهر ان اكبر رشوة عرفتها موريطانيا حتى الآن هي المائة مليون فرنك افريقي التي قبضها المختار انجاي عند رجوعه من بون حيث مثل موريطانيا في المجلس البرلماني للسوق الاوربية ، فقد نفحه المكتب المركزي للمنظمة المشتركة لاستغلال خيرات الصحراء بالمبلغ المذكور مقابل تعهده بان يحمل « المجلس الوطني الموريطاني » على الموافقة على دخول موريطانيا في المنظمة .

لقد تصاعدت رائحة هذه الرشوة في سماء نواكشوط واضطر ابن دادة الى توجيه سؤاله المشهور امام النواب الذين كانوا قد اقسموا على انفسهم ، ونامت القضية في نفس الوقت الذي اعلن فيه ان التحقيق سيجري في الموضوع .

* * *

ونحب ان نتساءل فوق ذلك عن حقيقة الملايير الثلاثة التي تشكل الميزانية العامة وميزانية التجهيز التي حددت سنة 1961 لصرفها في وجوه عينت بدقة عجيبة ولكنها لم تخرج عن النطاق النظري .

ان هذه الميزانية كما قلنا تبلغ ثلاثة ملايير فرنك افريقي اي ستين مليون فرنك فرنسي ثقيل وهذا القدر الضئيل بالنسبة لبلاد واسعة تضم خيرات حيوانية ومعدنية غير محدودة يدل على امرين اثنين .

اولهما : ضعف المداخيل ، ذلك الضعف الذي يرجع الى امتناع المواطنين وخاصة في المنطقة الشرقية عن دفع الضرائب المستحقة على ممتلكاتهم غير المنقولة، ونحن نتذكر هنا ان اصحاب القطعان في نواحي (النعمة والعصابة وتاكانت) امتنعوا عن دفع الترتيب ، معللين ذلك بان حكام نواكشوط لا يقصدون من جمعه تعزيز الخزينة العامة ولكن مضاعفة دخلهم الشخصي على حساب الفقراء من صغار مربي الماشية .

وثانيهما : الكرم الحاتمي الذي لا زالت تتبعه مصلحة الاقتصاد الوطني الموريطانية مع شركة « مفيرما » التي تستغل الحديد في « كدية الجلد » ومن المعروف لدى الجميع ان ابن دادة قد اعفى هذه الشركة من دفع اي مبلغ للخزينة العامة ما دام ميناء بورانيان لم يبدأ في شحن فلزات الحديد الى الخارج.

ومن شان ضعف المداخيل التي لا تغطي سوى الثلث من ميزانية التسيير ولا تساهم باية نسبة في ميزانية التجهيز ، من شان ذلك ان يضع وزارة الاقتصاد في نواكشوط امام مشكلة توازن الميزانية وتلافي الخلل الناتج عن العجز الذي يبلغ 65 في المائة من مجموع ارقامها .

وهنا يلعب ابن دادة ورقة « الاستجداء » ويستغيث ببنود الاوفاق الفنيةالتي عقدتمع فرنسا.

وتسرع فرنسا التي يهمها جدا ان تتضاعف حاجة موريطانيا اليها فتسعف الموازنة الموريطانية بخمسين فى المائة اي بمليار ونصف المليار من الفرنكات الافريقية، وتتعهد من ناحية اخرى بالمشاركة فى تسيير الخزينة العامة والتفتشية المالية بثلاثين مليون فرنك افريقي.

واذا كان التوازن النظري قد تم بين المداخيل والمصاريف فى الموازنة الخاصة بالتسيير ، فهل معنى ذلك ان الميزانية الموريطانية ـ كما تفاءل بذلك المختار ولد دادة ـ قد استقامت واصبحت شيئا حقيقيا ؟

الواقع ان عناصر جديدة قد تضافرت لتجعل من الارقام التي اجتهد فى ترتيبها المسيو كومباتيي وزير المالية السابق فى موريطانيا . ارقاما جامدة مستقرة فقط على ورق الجريدة الرسمية . فالمصروفات غير المرئية ، ومخصصات الاستمالة والرشوى واعطيات التقاعد دعت المسيو كومباتيي اعتبارا من شهر يوليوز الى ان يسافر الى باريس ويقف على باب خزينة فرنسا طالبا الصدقة من جديد للجمهورية المسلمة الفقيرة .

اننا قد نصدق ابن دادة عند ما يدعي وجود اي شيء فى موريطانيا الا ان يزعم بان كلمة الميزانية لها معنى فى تلك البلاد ، فهذا شيء يدعو للضحك من دون شك ولا يمكن ان يصدق .

❋ ❋ ❋

واذا بحثنا عن المنجزات التي تم ارساؤها فى الميدان الاجتماعي باقليم موريطانيا فلن نجد اي جديد او اي تقدم منذ استلام ابن دادة الحكم رسميا حتى الآن ولو كان بين يدنا فقط ما صرح به المسؤولون فى الاقليم من ان اهتمامهم فى ظرف سنة كان منصرفا الى توسيع العاصمة وتغطية المصاريف الجديدة التي اقتضاها نقل الاختصاصات وخاصة مصاريف القوة العمومية والديبلوماسية وتوسيع المصالح الادارية ، لو كان الذي بين يدنا هو هذه التصريحات فحسب ، لصرفنا النظر عن الحديث على المشاريع الاجتماعية ولكن هناك امران يلحان علينا كل الالحاح فى عدم اغفالها بالرغم من ذلك ، اول هذين الامرين التخطيط الاجتماعي الذي وضعه ابن دادة فى برنامجه المستعجل المشار اليه فى الفقرات السابقة ولم يكن يجد حرجا فى الاشارة اليه كلما واتته الفرصة لمواجهة المجلس الوطني ، والامر الثاني هو شدة اهتمام الراي العام الموريطاني ، الذي ظهر فى التجمعات على اختلاف اشكالها بهذه الناحية التي تشكل فى نظره ضرورة تستوجب الاولوية بالنسبة لغيرها من المشاريع .

ونذكر قبل كل شيء الوعود التي قطعها ابن دادة على نفسه وعلى حكومته المزعومة فى البرنامج المستعجل العام لسنة 1961 . وتقضي تلك الوعود من ناحية الصحة العمومية بتجهيز المصالح الآتية :

35 مستوصفا قرويا ، 13 مركزا طبيا ، 7 دور للولادة ، ثلاث مستشفيات .

اما فى ميدان التعليم فكان الوعد المقطوع أن يتم احلال اللغة العربية محل اللغة الفرنسية كلغة رسمية للبلاد بخلاف ما ينص عليه الدستور الموريطاني (❋) وكان التخطيط الموضوع يربط ذلك بتطوير ثلاثين كتابا قرآنيا ، وانشاء مدرستين عربيتين ، واستقدام مدرسين من البلاد العربية وكان المؤمل ان يتم هذا الاستقدام من تونس والعراق ومن بين افراد الجالية الموريطانية فى المملكة العربية السعودية ومصر (!) .

اما فيما يخص العمال الموريطانيين ، فسنة 1961 كانت توقيتا محددا لادماجهم فى الحياة الاقتصادية وتكوينهم مهنيا وتكتيلهم فى نقابة واحدة اطلق عليها قبل ان تظهر للوجود « النقابات الموريطانية المتحدة »

هذا هو الذي رسمته حكومة ابن دادة للسنة الحالية ، ولكن ماذا رسمه القدر لهذه المشاريع وفى هذه السنة الحالية بالذات ؟ .

نظن ان المسؤولين فى الاقليم لا يتهربون من الاعتراف بانهم لم يحققوا شيئا ، فلا زال هناك طبيب واحد يعالج ابناء علية الناس ، ولا زالت مسالة التعليم حيث كانت قبل سنتين اذا استثنينا مدرستين

❋ الفصل فى المادة الثالثة من دستور موريطانيا ينص على ان اللغة الوطنية فى موريطانيا هي العربية ، واللغة الرسمية هي الفرنسية (صدر الدستور 22ـ3ـ1959) .

تابعتين للبعثة العلمانية الفرنسية فى نواكشوط اطلق عليهما اسم « ابن دادة » . اما العمال فانهم اصبحوا يقبعون شيئا فشيئا على هامش الاقتصاد الموريطاني ويحل محلهم العمال الاسبان القادمون من جزر الكناري او السود القادمون من السنيغال .

* * *

ان هذه الجوانب الهامة تؤكد انعدام الاسس التي تقوم عليها او يتصور ان تقوم عليها دولة مهما كان نصيبها من التخلف ضئيلا .

ولعل بعض الناس يتوهمون ان هذا الاقليم وان كان لا يستطيع ان ينهض بسرعة نظرا للمشاكل التي تحيط به على اختلاف اشكالها ودرجاتها ، فهو يتوفر على الاقل على بذور للتطور تدعو للتفاؤل ، ومن بين هذه البذور التقاليد الديموقراطية التي اصبح يأخذ بها الحكم فى موريطانيا .

ان احدا لا يمكن ان ينكر ذلك ولكن الذي نريد الا ينكره احد ايضا هو العنت الذي تلقاه الافكار والحريات باسم « الديموقراطية الموريطانية نفسها » ولعله مما يجب التذكير به هو الايعازات التي كانت تصدر عن المجلس التشريعي ضد الهيئات والاشخاص. ولقد اصدر هذا المجلس الى السلطات التنفيذية — وهي فرنسية طبعا — بالعمل اثناء حوادث فبراير و 9 مارس 1961 ؛ ومن المناسب ان يسأل المرء عن امر هذا المجلس الذي هو الرمز الوحيد للديموقراطية وكيف تطور « كيانه » فى خلال هذا العام ؟

يمكن ان نقول بانه مظهر فريد فى العالم من مظاهر شذوذ النظام والحكم بوجه عام ، وهذا المظهر الذي يدعوه الباحثون فى نظم الحكم « بالديموقراطية الضامرة » يصور لنا اوقع ما يمكن ان يضحك به حاكم على ذقون المحكومين واقوى ما يمكن ان يتجنى به على الديموقراطية .

لقد جمع الاستعمار الفرنسي عام 1958 — ابان حكمه المباشر — خليطا من النماذج البشرية تجمعها صفتان لازمتان منذ ذلك الوقت حتى الآن وهما التملق والخيانة .

واذا كان هذا المجلس يذكرنا بشيء من خلال مواقفه الطريفة ، فهو يذكرنا بالمجلس التشريعي الذي كان السلطان عبد الحميد العثماني قد عينه فى نهاية الامبراطورية ، ولم يكن يملك من الامر الا ان يردد العبارة التركية التي اصبحت مثلا فيما بعد وهي « اوت افندم » اي نعم يا سيدي .

ولو كان هذا المجلس يقف عند الحد الذي يجعله فقط وجها مشوها وكاذبا ومضحكا للديموقراطية ولو كانت الطريقة التي تم بها اختيار اعضائه من بين خونة وجهلة من الموريطانيين ومن بين الفرنسيين انفسهم ، لما استوجب منا وقفة خاصة . ولكن الذي يدعونا الى ذلك كما قلنا هو الصفة التقريبية التي شاءت ارادة الاستعمار ان يتصف بها ، والدور الخطير الذي دفع ليلعبه فى تقرير مصير الاقليم الموريطاني ثم الاهمية التي تعلقها دول غرب افريقيا على التقاليد الديموقراطية ، تلك التقاليد التي ورثتها موريطانيا عن اندماجها السابق فى افريقيا الغربية الفرنسية طيلة نصف قرن .

لقد كان الحرص شديدا على ان تكون كلمة المجلس هي الفاصلة فى نقل سلطات الادارة الفرنسية الى حكومة ولد دادة ، وفى ابرام الاوفاق الفرنسية الموريطانية ثم فى تعديل الدستور وتفضيل النظام الرئاسي ، واخيرا فى المناداة بابن دادة رئيسا للجمهورية وللحكومة .

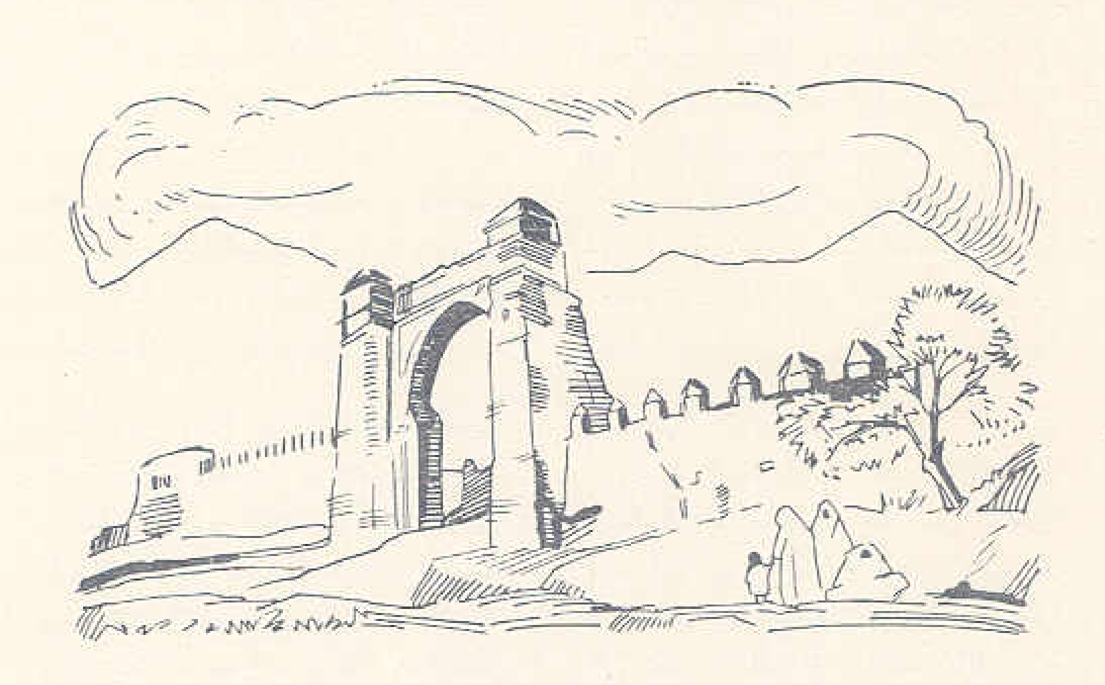
وكان المجلس يتطوع فى كل مناسبة بمهاجمة المغرب واتهامه بالتوسع والتحريض الامر الذي اتخذ منه الجيش الفرنسي سندا للقيام بجرائمه المشهورة وخاصة خلال شهر مارس الماضي كما مر بنا .

واذا قطعنا النظر عن الكيفية التي تم بها انتخاب الاربعين نائبا وعن التوزيع التمثيلي الذي يجعل لبعض المناطق الخالية من السكان نصيب الاسد من ناحية كمية النواب ، وحتى اذا سلمنا جدلا بان كل ذلك كان صحيحا لا طعن فيه ، فلا يمكن ان نتجاوز عن مشكلة هامة وهي وجود هذا المجلس كواقع حي فى موريطانيا .

لقد اسفرت انتخابات سنة 1958 عن تنصيب اربعين نائبا ، ولكن منذ الاجتماع الاول لم يكن يحضر اجتماعات المجلس ـ حتى بصفة غير منظمة ـ سوى اثنين وثلاثين .

وبعد مرور سنة واحدة توفى احد الاعضاء المداومين ، وبعد اشهر قتل نائب اطار عبد الله ولد عبيد ، وبعد اشهر اخرى انسحب المختار انجاي مع عضو ءاخر ، وبعد ذلك بمدة عين ثلاث نواب كسفراء لموريطانيا فى واشنطن وتونس والامم المتحدة وعند اجتماع المائدة المستديرة اقال ابن دادة النواب الفرنسيين الخمسة فى المجلس الوطني الموريطاني .

اذا فالمجلس لم يعد يضم بين جدرانه سوى فئة قليلة لا تبلغ النصف ، ولا يمكن ان تسجل الاغلبية النسبية ورغم ذلك فلا زال ابن دادة يفكر فى ان يطيل حياة هذه المؤسسة المنهارة سنتين اخريين حتى يتمكن من اتمام مؤامرته بعيدا عن الشعب من جهة ، وحتى يضمن لنفسه التفوق المطلق على امثاله من مزوري ارادة الشعوب والمستخفين بالراي العام .





فلا عز حتى تستقل جزائر

للشاعر
مفدي زكرياء

مددنا خيوط الفجر .. ثم نصنع الفجرا   وصغنا كتاب البعث .. ثم ننشر السفرا
وغصنا بصدر الغيب نجلو ضميره   ونقرا من عدل السماء، به سطرا
ودسنا غرور الدهر، في كبريائه   فصعر خدا، وانحنى يطلب العذرا
وخضنا تصاريف الزمان نروضها   ونصدع ـ بالاعجاز ـ احداثها السكرى
وسقنا سفين الوعد حمرا شراعها   يوجهها للنصر من وعد النصرا
ورعنا الليالي الحبليات، فاجهضت   ولم تك تخشى من عجائبها شرا
وما دلنا عن موت من ظن انه   سليمان ـ منساة ـ على وهمها خرا (1)
ورثنا عصى موسى، فجدد صنعها   حجانا، فراحت تلقف النار، لا السحرا
وكلم موسى الله في الطور خفية   وفي ـ الاطلس الجبار ـ كلمنا جهرا
وانطق عيسى الانس بعد وفاتهم   فالهمنا ـ في الحرب ـ ان ننطق الصخرا
وكانت لابراهيم بردا جهنم   فعلمنا ـ في الخطب ـ ان نمضغ الجمرا
وآدم بالتفاح ضيع خلده   و (ماريان) بالتفاح نلقي بها بحرا
وحدثنا عن يوم ـ بدر ـ محمد   فقمنا نضاهي في جزائرنا (بدرا)

تباركت شهرا بالخوارق طافحا   وسبحان من بالشعب في ليله اسرى
فكم كنت يا رحمان في الشك غارقا   فآمنت بالرحمان في الثورة الكبرى
وكم كنت بين (الكاف والنون) حائرا   ومذ قلتها يا رب جنبتني الكفرا
ولباك شعب كاد يفقد ظنه   (بوعدك) لولا انه يحفظ الذكرى
ويقرا في التنزيل عند صلاته   بانك بعد العسر تغمره يسرا
واشربته حب الشهادة فارتمى   على غمرات الموت، تلهبه الذكرى

1) اشارة الى الآية : (فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)

وطالبته بالمهر (ان رام عزة) ... فاسرع من ارواحه يدفع المهرا
ولقنته ان الجهاد عقيدة ... طوى (الازل العلوي) فى صدرها سرا
ودون منال المجد جسر ومعبر ... فراح على اكياده يقطع الجسرا
واعلنت افلاس السياسة فانبرى ... لسوق المنايا صامدا يفتح التجرا
وعن مصرف المستهترين صرفته ... فراح (لصراف البقا) يجمع الوفرا
وفى ساحة التحرير ، سوق قوامها ... ضمائر قوم ، لا تباع ولا تشرى
توزع فيها (للشهيد) شهادة ... بها (بصمات) الرب تطفح بالبشرى
فالهبت من بركان نارك ناره ... والقيت من علياك فى روعه امرا
وقلت له : كن .. قال : وعدك قلت : خذ ... وهبتك ان آمنت بالثورة النصرا
وحاشاك هل اخلفت وعدك مرة ؟ ... اطعنا ، وصدقنا فكنت بنا برا
عبرنا على السبع الشداد نشقها ... ولم تثننا الارزاء ان نعبر العشرا (1)
ونفرض فى الدنيا احترام وجودنا ... وننشر فى ــ احلافها ــ الرعب والذعرا
ونلقي دروسا فى البطولة للورى ... ونترك للاجيال عن حربنا خبرا
وتشرق فى الدنيا رسالات بعثنا ... فتبيض بالاشعاع ــ افريقيا السمرا
ونعصف بالاصنام تذرو حطامها ... هشيما ، وندعو للهدى الانفس الحيرى
وان ساومونا ــ فى التفاوض انتا ... الفنا (رهانا) حول مائدة خضرا
وان داهمونا (بالبيادق) اسرعت ... بنادقنا تستاصل العسكرا المجرا (2)
على رقعة الشطرنج ــ رقعة ارضنا ... يقازل ــ تصابون ــ فى جوفها التبرا
وترصد فى دنيا المطامع اسهم ... تكسر فى الرمل الذي يجبر الكسرا (3)
وتعقد باسم السلم للحرب ندوة ... يصرفها ــ السمسار ــ (بالعملة الصفرا)(4)
ستنقلب الاوضاع يا (جمع) انها ... (بلغراد) تمخت عن تعصبك الستراا
شعوب لاقرار السلام طليقة ... فلا الكتلة اليمنى ولا الكتلة اليسرى
قرارات آمال الضعاف تجسدت ... عزائم ، لن تبقى على ورق حبرا
اذا ما الضعاف الصامدون تمردوا ... فلا قيصر فى الارض يبقى ، ولا كسرى

فرنسا اضاعت رشدها يوم اسلمت ... قيادتها ديغول يحكمها قهرا
تدحرجه (هستيريا) الحكم للفنا ... وبدفعه مس الجنون الى المسرا
خراب وفوضى ، وانحلال ، وازمة ... به سرطان الموت فى دمها استشرى

---

1) سنوات الحرب الجزائرية .
2) المجر الضخم العظيم ومنه قول ابو فارس الحمداني (لنا الهبوات السود والعسكرا المجرا) والبيادق من قطع الشطرنج .
3) اصله تتكسر ، بحذف احدى التاءين .
4) الذهب .

بـه الشعب مســؤول ، ثقيـل ضميـره … يحملـه التــاريـخ مـن بغيــه وزرا
فلا خير يرجى مـن سياسـة حاكـم … يرى (نعمة الكرسي) من شعبـه احـرى
ولا سلـم ترجى مـن تصرف عاجـز … تسخـره لـلائـم ، اراذلـــه قـســرا
ولا عـهـد يـرعـاه امـرؤ متقلـب … يمـدك باليمنـى ، وينـزع باليسـرى
تـكـذبـه فى كـل قـول فـعـالـه … عجـوز ، يصـوغ الوهـم افكاره البتـرا
ونحن بنـو الاشـراف ، عـرب طباعنـا … مقدسـة ، لا تضمـر الغـش والغـدرا

فرنـا .. ذرى الاوهـام فالوهم قاتـل … فلسنـا نضحـي مـن جزائرنـا شبـرا
فرنـا .. دعي الاطماع فالسعي فاشـل … (فكـل فرنـا) لا نبيـع بـهـا الصحـرا
وان تيمتـكـم ثـروة فى بـطـونـهـا … حفرنـا لكـم فى بطـن صحرائنـا قبـرا

جزائـر .. مهمـا باعـد الخطب بيننـا … تباكرني النجـوى ، وتهفـو بي الذكـرى
حنينـــي الـى (القصباء) هاج مدامعـي … وشوقي الـى (بلكـور) افقدنـي الصبرا
وفى حي (بـاب الـواد) ماضي صبابتـي … تركت (بباب الواد) مـن كبـدي شطـرا
ويــا فتنـة (الابيـار) والسعـد باسـم … الـم تنسك الابعـاد ايـامنـا العطـرا ؟
وفى القبـة الخضـراء عـش خواطـري … تركت بها « لمـا احاطوا بنا » وكرا (1)
الا خبرنـي .. هـل منـارك لـم يـزل … يشـع علـى دربـي ، فيغمـره بشـرا ؟
وهل لم تزل فى الحقـل سنبلتي التـي … غرست ؟ وهل فى الحقل زنبقتي الحمـرا؟
وهل لم يزل فيهـا دجاجـي ، وقطتـي … وكلبي (توتـو) رابضـا يشبـه النمـرا ؟
ومكتبتـي ، والشعـر والغـرفـة التـي … احاط بنا (كوهين) فى جوفهـا ظهرا ؟ (2)
مشاهد .. يفنـى الدهـر وهي خوالـد … تـذكـرنـا اشباحهـا الحلـو والمـرا
و (سرتا) وما سرتا سوى مشرع الصبي … ومرعى الصبا ، سلني فاني بها ادرى (3)
ويا (جبل الوحش) الضحـوك الـم تـزل … كما كنت مخضل الجوانـح .. مخضرا ؟
ويــا ساكنـي (وهـران) باللـه خبـروا … الـم تتركـوا للنـــاس دونكـم فخـرا ؟
ويا ساحـة (الطحطاحـة) اصطبغي دمـا … وكونـي بسفـر المجـد فى حربنـا طغـرا
وقف بي على روض (الوريـط) ونبعـه … ومنحـدر الشلال استلهم النهـرا
وفى قريـة (العبـاد) لا تـسـرع الخطـى … فتربتهـا توحـي القـداسـة والطهـرا

---

1) اي لمــا اعتقلونـا .
2) كوهين من اشهر الجلادين الذين تسخرهم مصالح الشرطة لتعذيب المكافحين وهو يهودي متعصب لصهيونيتـه .
3) اسم بلدة قسطنطينـة بالرومانيـة .

وبلغ شعيب بن الحسين تحيتي … (تلمسان) لا انسى اماجدها الغرا (1)
وفي حرم الصحراء ، اهلي وجيرتي … وربعي وخلاني واكبادي الحرى
ذكرتهم والسجن لف ظلامه … لواعج الف ، فارق الاهل مضطرا
فكم كنت والاهلين نعلو نخيلها … ونقطف صبحا من عراجنها تمرا
ونفترش الرمل الوثير وبيننا … حديث نناجي في حكايته البدرا
ونمرح والاغنام ترعى حيالنا … تداعبها اطفال قريتنا فجرا
ونغدو على الوادي نشم غديره … ونشرف تستقي اناملنا العشرا
وتحت الخيام الحالمات جميلة … مرنحة الاعطاف فارعة سمرا
اذا ابتسمت فاضت براعمها ندى … وان حركت اجفانها نفثت سحرا

بلادي التي اعنو ـ احتسابا ـ لوجهها … واحمل في الارزاء من اجلها اصرا
بلادي التي من ذوب قلبي نظمتها … نشيدا ، فغنى الكون ثورتها شعرا
غمست بمطلول الجراحات ريشتي … فجاءت رسومي تلهم العقل والفكرا
وواكبت في الاعماق ثورة امتي … ولا زلت حتى ارسم البعث والنشرا

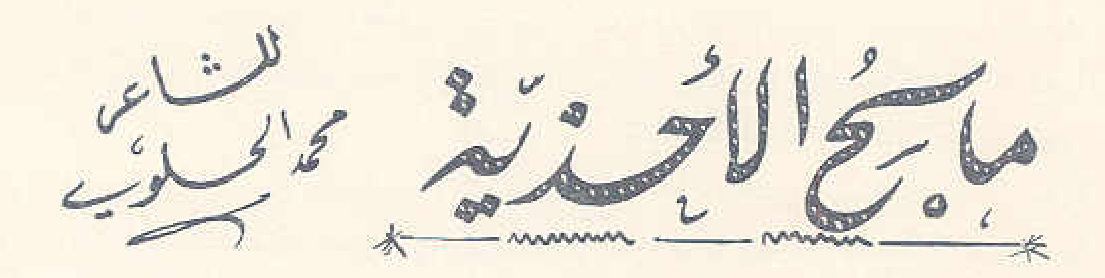
بلادي يمينا بالذي شرع الفدا … وبالجيش في الساحات يسترخص العمرا
و (بالخمسة الاحرار) تخطف في السما … ويحجزهم في السجن جلادهم اسرى
وحق الجميلات الثلاث وبالتي … اجابت فراحت للفدا تهجر الخدرا (2)
سنثأر حتى يعلم الكون اننا … اردنا ـ فارغمنا ـ باصرارنا الدهرا

ويا عربيا في بلاد شقيقة … عروبتنا لن يستطيعوا لها نكرا
فما حربنا الا امتداد لثورة … اراد لنا من كان يخذلها خسرا
فلسطين في ارض الجزائر بعثها … فمدوا يدا ، نحم المعاقل والثغرا
فلا عز حتى تستقل جزائر … ولا مجد حتى نصنع الوحدة الكبرى.

---

1) شعيب بن الحسين ابو مدين ، من اقطاب الفكر والشريعة بتلمسان ، في عهد بني زيان وتنسب اليه قرية العباد التي بها ضريحه .

2) الجميلات الثلاث المحكوم عليهن بالاعدام ، جميلة بوحيرد ، جميلة بوعزة ، جميلة بوباشة ، وكم في الجزائر



ايها الراكـع المكب على الاقدام فى وقدة من الرمضـاء
زاحفا بين مختلف الارجل فى ذلـة وفى اقعـاء
مفرغـا جهده يلمـع بالاصباغ ما اربـد من سـواد الحذاء
يمنح الحسن والشباب لاقدام ورجلاه فى الوجى والحفاء
يا مثال النكران للذات لقن ادعياء الفدا دروس الفداء
لا يضرك امتهـان جسمك ما عشت بـروح علوية شماء
انت اتقى من عابد يقطع العمـر ركوعا بدافع من ريـاء
انت تحت الاقدام اسمى ولو كانوا جميعا من ساكني الجوزاء

* * *

هب والقوم هاجعون وفى الافـق مزيج من ظلمة وضيـاء
وراى امـه تدهده طفليهـا وتغذوهمـا بغير غـذاء
فدنا نحوها ليمسح عينيها وعينيـه من دموع الشقـاء
قال يا ام لا تهوني وقد مات ابونا ففيـك اغلى العزاء
لست ابني ان لم اصنـك ولم افدك بالروح يا مثال الفداء
سوف انساب فى مناكب الارض كالنحلة لا اشتكي من الاعياء
انـا لو شاءت المقاديـر كنت ابن غنـى وعشت فى اثراء
اجتني من لذائذ العيش ما طاب واقضي الحياة فى نعمـاء
لم تصفنـي يد المقادير فنانا كما شئت عبقـري الذكـاء
عائما فى مجاهل الكون ارتاد الخوافي او سابحا فى الفضاء
حرمتني من الثراء واقصتني عن العلم فى دنى العلمـاء
طوحت بي الى الحياة وعرتني يداها من نعمة الاحيـاء
روعتني بالثكل طفلا وما افجع فقد الابنـاء للابـاء
ورمت بي الى حياة رايت الحظ فيها بجانب الاقويـاء

ان ترعني الاحداث فى فجر عمري وتذقني مرارة البأساء
فهي اوهى من ان تنال يداها عزتي او تذل من كبريائي

❊ ❊ ❊

ورأى فى المقهى ثريـا على تخت تمطى في نخـوة الاثرياء
يرشف الكأس فى دلال ويرنو للندامى بأعيـن شزراء
فتدانى اليه وهو يمني نفسه من حظوظ هذا اللقاء
وانحنى فوق نعله كانحناء الغصن فوق الزهيرة الميساء
ضمها لحظة اليه فلما بان عنها تضوعت بالشـذاء
عيسوى فما تمر يداه بمكان الا اكتسى بالضيـاء
واستعاد الحياة بعد فناء ورأى النور من مجلى العمـاء
اي فخر لمثله واعتزاز كاستباق لارجل الاغنيـاء ؟
انها فرصة ـ وربما قل ما يحظى برجل لسيـد معطاء
سوف يجني من اكرم الناس نعلا بعد اتعابه وفير الجزاء
ليت عين الثري تبصر ما صاغت يداه من روعة ورواء
انه لا يحس ان ملاكا تحت اقدامه حليف الشقـاء
كان فى غفوة فلم يصح الا بعد ان دق دقة الانتهـاء
ايها الراكع المكب على الاقدام فى وقدة من الرمضـاء
انت تحت الاقدام اسمى ولو كانوا جميعا من ساكني الجوزاء

❊ ❊ ❊

ايهـا الآمنون غدر الليالي والليالي تفـح بالأرزاء
ان للدهـر نكسة تسلب المغرور ما اعتاده من النعماء
ولقد يرتقي العروش رجال بدأوا مجدهم بمسح حذاء



في سكرة الهوى

للشاعر سعيد الناري *

على بسط الزهر حيث الحياة ... تناجي الطبيعة وقت الغدا
غريب يخاطب موج الزمان ... وقد ضم بين يديه عصاه
تداعبه سكرات الورود ... وتغمره بسمات دناه
وقيثارة الحب في نشوة ... تردد انغام تلك الحياه
تعانقها همسات الصباح ... وتحضنها نسمات المياه
وتسقي الهوى قبلا صامتات ... مواردها من سلاف الشفاه

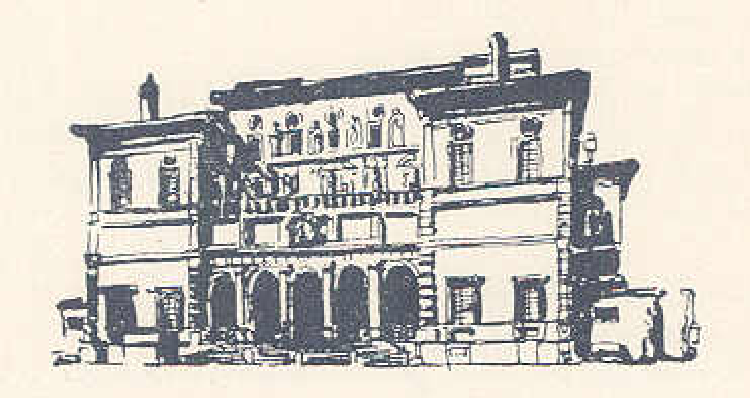
ويا منية طالما هجست ... بنفسه تفتر عن مبتغاه
به غلة تنطفي مرة ... وطورا تثور فتذكي هواه
ويا حرقة حين يطفى الاوام ... فيرفر زفرة .. آه وآه

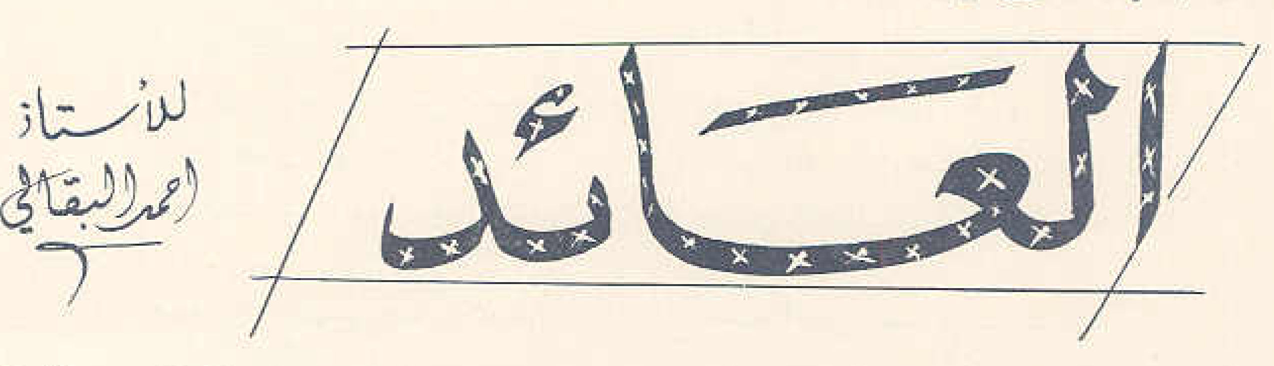
حميا المسرة مونله ... وملجا حبه في مرتاه
وما كان يوما شغوفا سوى ... بحب رجاه قلبي رجاه
بمد الهوى والغنا امه ... وللحسن والسحر يدعو اباه
غريزته ان يعيش وحيدا ... وينعم دوما وذاك مداه
يعانق ثدي الورود العذاب ... عناق النسيم لمرآي رباه
لان الجمال برقته ... اراه بظل الهوى قد سباه

وفي ليلة رحت وحدي أرى ... واسمع ما ضم موج نداه
واسبر بغية قلب غدا ... بحلمه يرمد عبر رؤاه
فمن يناجي الاماني التي ... تعيد الحياة لتجم صباه
وذرت نجوم تالقها ... يضيء السبيل لسير دجاه

يسر الهوينا اذا ما تضا ثياب الهموم نهار علاه
لدى الفتن الورق المعتلى وحيث ربيع الحيا قد كساه
وفي عليين وبين المروج وفي روضة العشق يدعو الاله
ولكن يضل الهدى اذ يقول : الهي الغرام وليس سواه
يخاله ربا رسوله من يمالي الفؤاد ويحمي حماه

هدمت اليقين بفاس الهوى هدمت اخي للحجا ما بناه
معنى اراك بدنيا الحياة تميل لشهد الهوى وجناه
فكيف يروض البرية يعبد دوما وتغزو ثراه الجباه
تسلق اخي جبل المكرمات ودع ذا الربيع وعطر شذاه
وسر في نجاء الى مهيع لان اليقين طريق النجاة
فلا تستمع لنشيد الهيام وان ضم ما ضم بين مناه
وذر عنك طيف الهوى برهة تجد في الفؤاد ما يروي ظماه
فكم من نفوس ذوت حسرة وقد كلفت بجمال سناه
وآمن بفكرة من قد مضى ينقب في الكون غور حجاه
وقل للهوى . الوداع الوداع لكي تستريح وتمضي الشكاة
وقل في سبيلك للنازلات وعند القيام لفرض الصلاة
ايا مهجتي حلقي في الهوا وسيرى الى حيث شاء الاله





رفع احمد راسه الى السماء لينظر الى الغيوم الثقيلة وهي تتمزق لتفسح لاشعة القمر نافذة على المدينة الهاجعة ..

كانت الريح البحرية قد حرثت المحيط ذلك المساء ، وارسلت امواجه عاتية على اسوار المدينة الكئيبة .. ومع العشاء تهاطلت الامطار ، وهدات الريح البحرية .. وحين اقلعت السماء ، بدا صخب البحر يسمع بوضوح ..

وسار احمد فى الشوارع الضيقة الخالية ، ورائحة الارض الطيبة تملأ خياشمه .. وقلبه تملأه الروعة ..

وبعد عشر سنوات من الاغتراب يعود الى ارض الوطن حواسه كلها مرهفة .. ويكاد يجهش بالدمع لغير ما سبب .. كل شيء فى مدينته الصغيرة جميل .. حتى البيوت الخربة التي تأوى اليها القطط والعفاريت .. وحتى الشوارع المظلمة التي كسر الاولاد مصابيحها بالحجارة .. وحتى .. وحتى .. كل شيء ..

وفى المساء كانت نافذة هائلة تشرف منها ملايين النجوم .. واسند احمد ظهره الى السور واصاخ بسمعه لخرير ماء فى باطن الارض .. وذكره ذلك بيوم خروجه من المدينة او هروبه على الاصح .. منذ عشر سنوات ، حين كان سنه لا يزيد على السابعة عشرة ..

انه يذكر ذلك كما لو كان حدث قبل ساعة ! كان قد خرج هاربا من وجه ابيه الغاضب وانطلق الى الشارع يشق الريح ، ودموعه تبلل شفتيه .. وظل يعدو حتى وجد نفسه على الشاطىء .. فقد كان البحر دائما ملجاه الامين .. وكانت برودة الريح ضد حرارة وجهه تشعره بقليل من الانتعاش ..

وقضى تلك الليلة يجوب شوارع المدينة حافي القدمين ، عاري الراس .. وقد انشطر جلبابه من الامام شطرين ..

شعور واحد كان يستولي عليه : الاهانة ! وتذكر الغصة .. تلك الغصة الحامية التي كادت تحرق حلقه .. وكم بكى وكم اخذته العزة .. وتحول شعوره بالاهانة الى الرغبة فى التحطيم .. تحطيم اي شيء.. لقد كاد القهر يفجره .. كان يحس الآن انه تحول الى برميل ديناميت .. لو اعترضه شيء .. اي شيء لسحقه !

واستعرض احمد فى تلك اللحظة من ذكرياته تلك اللحظات التي كان يملاه فيها ابوه بالكراهية والمقت .. كان يوقظه فى جوف الليل .. بركله فى ظهره او بطنه .. لا يناديه حتى لا يوقظ اخواته النائمات .. فيقوم تحت كابوس ثقيل ، والهم يثقل قلبه ، ويتحرك الى المغسل لينام بعض الدقائق على حافتيه .. انه لم ينم اكثر من اغفاءة عامرة بالاحلام المرعبة ، بعد نهار اسود من المتاعب والاهوال .. ثم ياتي فيقعد بجانب فراش والده الوثير ، ويبدا فى تكرار القرءان بينما ابوه ينعم بالدفء والراحة تحت لحافه الصوفي الثقيل .

كان والده مدرس قرءان فى المدرسة .. فلم يكن يقنع بتنصيب ابنه من حصص القرءان التي ياخذها الى جانب الدروس الابتدائية .. فكان ياخذه الى البيت بمجرد خروجه من المدرسة حين يذهب رفاقه الى البحر للعب والتمتع بملذات الصبا ..

وكان قلبه عامرا رغم كل ذلك بان العطلة الصيفية قادمة .. وانه سوف يتمتع مثلهم بالبحر والشمس ، والكرة ، وصيد السمك .. لقد كانت هذه اول عطلة صيفية تاخذها مدرسته خالصة من دون اية دراسة ..

وبدات العطلة .. وكان قلبه يكاد ينفجر من الفرح والاستاذ المكلف يعلنها لهم برزانة ويعقبها بعدة وصايا على المحافظة على الاخلاق العامة ..

وحين وصل باب المدرسة الخارجي كان ابوه في انتظاره ليمسك بيده ويأخذه الى البيت ومن ثم بدات مأساته ..

لقد وضعه في قفص من حديد .. الليل قرءان .. والنهار قرءان .. ولا طعم للنوم ولا وقت للراحة ..

وبدات آثار الارهاق تظهر على جسمه الناحل .. فاحمرت عيناه من قلة النوم .. وظهرت حول عينيه دائرتان سوداوان من شدة القلق .. ولجأ ، في غمرة حرمانه ، الى عادات رديئة يمارسها حين يخلو له الجو .. فكانت بديله الوحيد عن ملذات الحياة الصحية الاخرى ..

واصابه داء النسيان .. وبدأ تعثره في تكرار القرءان بكثرة بعد أن كان يتلو الستين من البداية حتى النهاية بدون توقف .. وذعر ابوه لذلك فزاده تعذيبا وارهاقا .. وبدأ صراخه يسمع في الحي ليل نهار حتى قلق الجيران ، وبداوا يشتكون من الازعاج .. وحينئذ قرر الرجل اخذ ابنه الى زاوية متعزلة عن المدينة ، حتى لا يكون هنالك رقيب ..

وكان المارة يسمعون بكاء الغلام وصوت الحبل **وهو يتقطع على ظهره كلما مروا من هناك .. كان** الصراخ يبدأ حادا قويا في الصباح .. ومع المساء لا يبقى الا انين متقطع يطغى عليه صوت الحبل ..

وفي الليل كان صوته يبح .. فلا يسمع الا عواء ضعيف كعواء ذئب داخل عاصفة ثلجية هوجاء ..

وبين البيت والزاوية كانت تمر على احمد اصعب اللحظات .. الناس يتفرجون عليه وابوه ممسك به من قبه يجره كالبهيمة .. واشنع من ذلك ان يصادفه في تلك الحالة صديق او زميل .. وبدا مظهره الخارجي يثير الرثاء .. فقد بدات علائم الشلل والفتة تبدو عليه بوضوح ..

وانتهى الصيف ..

وسافر اصدقاؤه الى بلاد اخرى لاتمام دراستهم الثانوية .. وكانت ما تزال بقية امل تراوده في ان يرسله ابوه هو ايضا الى احد المدن الكبيرة لانهاء دراسته ..

وانتظر .. ثم انتظر .. ولكن الحال لم يتغير..

وبدا الضياع يصبغ حياته .. والياس يعم قلبه الصغير .. ولم يعد يهمه اي شيء .. فحياته كلها نقطة كبيرة سوداء .. يسميها الناس اباه .. ومر عام .. وكأنه نهر خاثر من الدم والصديد .. ومر عام آخر .. ونفس الابخرة والروائح العفنة تفوح منه ..

وفي احدى ليالي شتاء العام الثالث بدا شيء ما في داخله يستيقظ . .واحس بطريقة غامضة ان شيئا ما سيقع له .. يد ما ستمتد لتخرجه من انهاره المتعفنة الآسنة ..

وتحول ذلك الشعور الغامض الى ايمان قوي .. واشرق في داخله امل رائع دافيء .

ومرت بضعة ايام .. وتساقطت الامطار بغزارة خلالها .. وكأنها تتساقط بداخله لتحيي شيئا كان ميتا ..

ولاول مرة في حياته تجرا على الا يحضر صلاة العشاء وقراءة الحزب .. وعاد مع العشاء الى البيت غير عابيء بما ينتظره من ويلات ..

وحين دخل وجد جميع من في البيت يصلون لاجله .. انه يومه الاخير .. وعاد ابوه من صلاة العشاء .. وسال عنه فقيل له انه رجع .. فذهب مباشرة الى الحبل .. ثم ناداه فدخل عليه ..

وبعد سؤالين او ثلاثة ارتفع الجبل .. ولم يرتفع معه صراخ احمد هذه المرة ، بل يده .. لقد قر قراره على ان يدافع عن نفسه حتى النهاية .. وانتزع الحبل من يد ابيه ، فارتمى هذا عليه يريد خنقه .. وامسك احمد باليد الممتدة بقوة ، فلواها حتى كاد يقصفها .. وهناك سمع صراخ ابيه : « اخرج .. اخرج .. من بيتي .. عليك اللعنة ايها المجرم .. ساقتلك ان رأيتك في بيتي ! » ، فاطلق احمد اليد المرتعشة ، ودفع اباه فالقاه فوق سريره .. وخرج هاربا من البيت بين بكاء امه وعويل اخوته الصغار ..

وفي الصباح سافر الى طنجة .. وهناك استطاع ان يلتحق بخدمة باخرة صيد امريكية .. وبعدها بالاسطول الامريكي .. وقضى هذه السنوات العشر متجولا بين البحار الشمالية وجزر الباسفيك ..

*

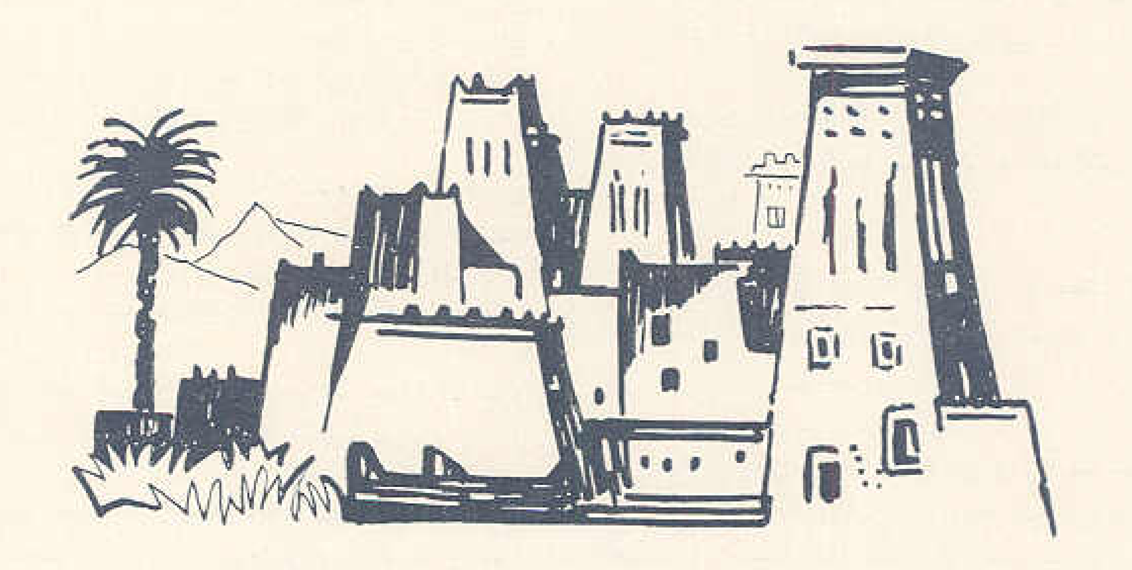
واليوم يعود الى مسقط راسه .. وحالما يجد نفسه داخل الاطار الذي عاشت فيه مأساته ، تعود اليه ذاكرته حية كما لم تكن من قبل ..

وغاب صخب البحر .. وبدا يسمع خطواته على الارض .. وحفيف انفاسه وهي تتلاحق .. وابواب البيوت المتهالكة تمر من حوله كالاشباح ..

كان قد عاهد نفسه حين وضع رجله على تراب الوطن الا يزور مدينته حتى لا يرى والده .. ولكنه عدل عن خطته على ان يزور المدينة دون بيت ابيه ..

وقد وجد نفسه الآن منساقا في نفس الشوارع الضيقة التي كانت تلفظه صغيرا نحو بيت ابيه بتوجيه غريزي ..

وظهر باب بيت اهله .. لم يتغير فيه الا لون الطلاء .. انه ما يزال كما كان منذ عشر سنين .. يا ترى ماذا فعل الدهر بقلب صاحبه ؟ دق قلبه بعنف وهو يحاول جاهدا ان يمنع يدا مرتعشة من ان تمتد الى جرس الباب ..



مدخل إلى فهم الفن

لروني هوايغ
ترجمة بتصرف
الاستاذ محمد السرغيني

(*) لماذا نكتب ايضا عن الفن؟ بل لماذا نكتب عن الفن اطلاقا ؟ السنا قد حللنا منه الكثير ، وفسرنا ما يجب ببساطة ان ينظر بالعين ، لا ان يفسر ويحلل ؟ فهو مخلوق لان يشاهد فقط ، ان العين ما عليها الا ان تحلل ما ترى الى كلمات ، اما اللوحة ، فمن شأنها انها تزود فكرنا بالنظريات .

نعم ، فاذا كان الانسان يعرف كيف يرى بعينيه: لا بعاداته وميوله ومعتقداته ، فانه لا يرى الا ما اعتاد النظر اليه ، كما لا يسمع الا صدى افكاره الاصيلة ، فالكل بالنسبة اليه كمرآة لا يجد فيها وجهه الحقيقي فقط ، — اذا كان يعرف هذا الوجه — بل حتى الاشياء التي يفترضها ويتمناها .

وماذا يقال عن الانسان المتحضر ؟ المثقف الذي هذب منذ اجيال حين يحس بواسطة افكاره فقط ، الواقع ان التخمة تكاد ان تقضي علينا من جراء هضمنا لكل هذه المذاهب عن الفن ؛ فالتحديدات المختلفة له ، قد رسخت في اذهان الناس ، لدرجة انها صارت معتقدات ، تتشابه كلها وتتشابك حتى نحسبها شيئا حقيقيا ، في حين انها تعترض سبيل فهم الفن ، وتعوقه عن الظهور بمظهر لائق به .

ان الافكار التي تغذي فينا الحاسة التجريدية ، قد اقامت حولنا حاجزا سميكا نسجن انفسنا في محيطه ، وتنتهي بان نعتبر ذلك شيئا صحيحا ، من غير ان نعبر هاته الافكار انتباهنا .

ولكن ، من اجل اي شيء تتعب فكرنا اذا لم يكن ذلك من اجل اقصاء تلك المجموعة من الافكار ، لنفتح امام اعيننا في اللوحة ثغرات ينفذ منها الهواء ، حيث تطل على عوالم فسيحة ؟ وبأي شيء غير الكلمات نستطيع ان نقضي على هذا الامتياز المزيف ، الذي تفرضه الكلمات علينا ؟ يجب اذن الرجوع الى التأمل ، لنستطيع ان نجد خارج العراقيل التي تضعها الرتابة طريق الوضوح في العمل الفني ، وذلك ، بان نحسب حسابا لنصيب الحقيقة الذي يوجد فيه خلال نظرياتنا واحكامنا المسبقة ، فهذه الحقيقة اذا كانت مقاسة مقننة ، فهي غير واضحة بشكل اختياري ، لذلك يجب علينا ان نكبح جماح جميع ابداعاتنا وعواطفنا الحرة من الجيشان ، وذلك بمفعول يقظة الضمير .

---

* روني هويغ ، رئيس محافظي الرسم في متحف (اللوفر) منذ 31 سنة ، وهو الآن استاذ في (كوليج دوفرانس) حيث يحتل كرسي : علم نفس الفنون البلاستيكية ، وهو فوق هذا يهتم بتاريخ الفن ، وعلم النفس والجمال ، ويعتبر كتابه (حوار مع المرئي) كتابه الرئيسي، اذ فيه يبين الى حد كبير تعلق جيلنا الحالي بالفنون ، بل يوضح لنا من خلال سطوره مظهرا رئيسيا لزماننا وتفكيره ، وهو في هذا الكتاب يعلمنا كيف نقرأ اللوحة ونتعمقها ، فيكون بهذا قد فسر دور الفن في حياة الانسان ، وقد اصبح الكاتب من الخالدين ، حيث اصبح عضوا في الاكاديمية الفرنسية مؤخرا .

ترجمت هذه القطعة من كتاب Dialogue avec l'invisible, Edition Flamarion 1955 وذلك لانني رأيتها كدستور يضع الحدود الصحيحة لفهم الرسم وتذوقه واردت بذلك ان اجعلها كمقدمة لدراسات صغيرة تبدأ من العهد الكلاسيكي والباروكي Baroque الى بيكاسو التكعيبي ثم التجريدي ثم الواقعي ، والواقع انه قد سبق لي ان ترجمت مقدمةاخرى للكاتب نفسه ارخ فيه للرسم منذ الانطباعيين الى العصر الحاضر نشرت في غير هذا المكان ولكنها على ما فيها من الفائدة فانها لاتتناول الاشياء بمزيد من الاطناب . فالى اللقاء في اعداد قادمة .

واذا اشرنا الى هـذا الواجب ، فنذكر انـه يستطيع ان يرجع التردد الثابت للفكـر الى اخلاص . ان الفترة التي نعيشها ــ فتـرة الرسم المعاصر ــ لا تتفاعل مع فكرنا ، اذ ان لها انحرافاتهـا الذهنيـة ، فليس مما يحط من قيمة الفكرة ان نتأكد من انهـا مبررة ببراعة اكتشافها فقط ، اذ يمكن ان نستغني عن كل شيء خطير غيرها ، اما الذكاء ــ ذكاء المعاصرين ــ فهو شبيه الى حد بعيد بعامل منجم ، يحفر منجمه في كل مكان ، ولا يشترط الا ان يستفيد من عمله هذا ؛ ولكنه لا يفكر قطعا في ان يجعل ذكاءه موجها لافكـاره وهكذا تتحول الى لعبة ، ما دام ينسى مسؤولياته ، ان الكلمات التي تحملت منذ القديم عبء التعبير عـن الفكر ، تتنازل الآن عن مكانها للحيرة والتردد ، وحتـى الافكار نفسها لا تستطيع انتنتج غير احتمالات جدلية، بعد ان كانت مهمتها الرائعة ، ان تترجم بوضوح تلـك الظلمة التي تكمن فينا ، وتشعرنا بثقلها .

وعلى كل حال ، لا يمكن ان تكون الفكرة ــ اية فكرة ــ مبررة ، وذلك بمجرد اننا عرفنا كيف ندركها ، فالدماغ ليس مسؤولا ان يسيلها على الواقع ، كمـا يسيل حامض على قطعة طباشير ، وذلـك مـن اجل ان نحصل على فقاعات صغيرة وجدت للتعفن والهدم، فهي ليست اشارات رشيقة لالية ذهنية ، لانها قبـل شيء ، يجب ان نلاحظ منابعهـا وخطواتهـا ، حيـن تندمج في الشيء الذي يميز ويوضـح .

وعلى هذا الاسـاس ، نستطيع ان نقول : ان الفن قد صار الآن من اهم الاشياء الصالحة لعصرنا ، انـه مبني على تأويلات في خضم نموه الكثيف السريع : هذه التأويلات تعوقه بتلك الثغرات المجنونة التي تتركها فيه ، بدون امل في اصلاحها ، هذه الثغرات تنحصر في ان الفن ، لا يجب عليه ان يهتم بغير التناسل والنمـو والاستمراريـة .

ان الحاجة تفرض علينا ان نطبق الفكرة على الفن مرة اخرى، لنحاول ان ننظر بوضوح الى هذه الظلمة، لنجد اتصالا وثيقا مع حقائق مرهونة باشياء ، اذن ، فالشيء الذي يكون مهما في هذه المادة ، هو : (الاعمال الفنيـة) .

ولهذا فانا لا اطمع ان ابـرز هـذه الحقائـق ، واستغلها بمذهبية ، لاجعل منها مبادىء مسبقة ، اذ انها تكمن في كونها تحيط بالواقـع الفنـي في اذعـان وخضوع ، حيث تحيله الى وضوح لـم يفسـر ولـم يشرح، انها بصفة نهائية، ومن اجل هذا يجب ان نضمن للرسم ميدانا محدودا ، فهو حيث الصورة الواحـدة تنثر الالاف من الصور من منابعها ، يظهر انـه اكثـر الانواع الفنية تلقيحا وانتاجا ، وهكذا ، فمن خـلال الرسم ، ما ابدع منه امس ، ومـا يبدع منه اليوم ، يجري التحقيق في طبيعة العمل الفني على علة وجوده، وعلى قوته التعبيرية .

وفي بحثنا عن عالم المظاهر ، نجد ان الرسم يوجه اليه سؤالا ، ولكن بالشكل الذي يسوغ له ، فيترجـم عن جوابه ، واحيانا يمليه عليه . وهكـذا يندمـج في حوار عالم المظاهر هذا مع المرئـي بسبب الرسـم ، واحيانا ، فالرسام الذي يكاد يصيبه الصمم ، يعمـى عن ان يسمع ويسجل ما يسمع : فنسميه واقعيـا . . واحيانا اخرى يجلجل بصوته ، حتى يغلف صـوت الاشيـاء : وهذا ما يمكن ان نقول عنه : انه محاولـة لرسامينا المعاصرين .

ومن خلال القرون وآلاف السنين ، تتابع الحوار بلغة واجوبة دائمة الجدة ، حيث يتحـدث الرسم في آن واحد ، مع العالم ومعنا ، من غير ان يتدخل في هذا الحوار ثالث .

اننا سنظهر الخطوط العريضـة لفلسفة الفـن فقط ، وليس لدينا الحق في ان ندعـي اننا اذا قبلنـا عن طيب خاطر مشقة بحث مقنع منهجي، فاننا نحصل من وراء ذلك على مظاهر مختلفة ، وربما متناقضة ، حسب نظام تطوري مستمر ، حيث ان النسبة النهائية تسمح لنا بالحصول على فكرة عامة عن الموضوع .

وهذه الفكرة ، لا يمكن ان تتلخص في اصطـلاح او في آخر، اقترح بهذه المناسبة، بل تؤخذ من المجموع، ليمكن ايجاد تحديد رزين هادىء ، وليس هذا عمـلا نهائيا ولا تلخيصا لعمل مجزىء قمت به خلال عشرين سنة ، وذلك بمختلف المحاضرات والدروس التـي القيتها ، وانما هو شيء غير ذلك ، ولكن ، هل يمكـن الاعتقاد بانه من الواجب اعطاء فكرة عن هذا العمل ؟ فكرة فقدت كل جدتها لدرجة اننا نجدها مشروحـة في كل مكان ، وهل من المهم ان تظهر فكرة ما بمظهـر مبتذل او بديع ، لتعطي تحديدا للفـن ، ام ان كـل فكرة تعين على فهمه في اختلافاته الواسعة ، هي التي تصلح ان تكون دليلنـا ؟

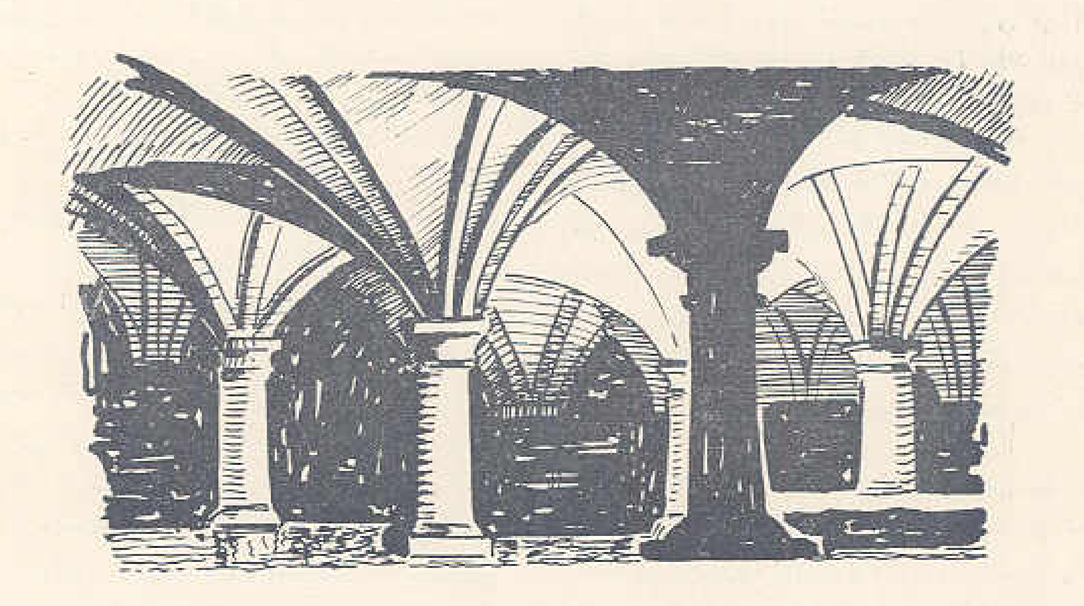
ومهما يكن من امر ، فالفهم الصحيح ليس هو ان نكتسب بعض الافكار السهلة عن الفن ، بل ان نتعمقه ويتعمقنا ، فيجب الرجوع اذن ، مرات متعددة ، الى بعض المشاكل الرئيسية ، مع تسلح كامل بالتجربة الاصيلة : فاذا كانت الخطوط المتناسقة لطريق من الطرق تظهر وكأنها ترجع على نفسها ، فهي تسمح للانسان ان ينظر في مشهد كبير ما قربه اليه فهمه الخاص ، فيحله في النهاية في محله ، حيث يأخذ مكانه الحقيقي .

فالفن كما يظهر لنا غير منفصل عن الانسان ، فهو قد وجد في نفس اليوم الذي وجد فيه الانسان ، والفن ايضا لم يتطور الا في الفترات التي كان الانسان فيها لا يفهمه ، ولا يسال عن كيفيته ، ولا يشك على الاقل حتى في وجوده .

وعلى العكس من ذلك ، فالفن لم يكن مهما ومحيرا في الآن عينه ، الا في عصرنا هذا ، بل لم يكن اوسع انتشارا واكثر الفنون امتاعا الا في هذا العصر ، ولكنه رغم هذا ، لم يكن قد حلل وشرح بالشكل الوافي .

ان الفن بصفة عامة ، والرسم منه بصفة خاصة، يحتل الدور الاول الذي تلعبه الصور في حضارتنا .

وبهذا الواقع وحده ، بأسبابه ونتائجه ونظرياته التي يعيش عليها عصرنا ، وجد تحديد لقوة الفن الساحرة ، فلم يعد الا اداة لوضع الصيغ النهائية للافكار ، واذن ، فعصرنا هذا ، يمدنا بالمادة الخام ، التي هي التجارب ، ويمليها على الفن ، وهو يجعل الآفاق تتفتح امامها .





فى ارض الكنانة : بين العامية والفصحى

قصة لغة الضاد مع ابنائها قصة طويلة ترجع فى خيوطها الاولى الى السموم التي طعم بها الاستعمار عقول بعض المثقفين منا ، فجعلهم اداة ليصل بهم الى ما عجز عنه ، وغرس فيهم من كيده للعربية ما دفع بهم او بالكثير منهم ومن غير شعور الى ان يطعنوا هذه اللغة وان يحاولوا جهدهم القضاء عليها ، وان يشككوا الشعب العربي فى لغته وقدرتها على التطور وامكانياتها فى مجاراة مقتضيات هذا العصر ولذلك يرمونها تارة بالجمود والموت وطورا بالعقم والجفاف ، وكأن لغات العالم وجدت حية وخلقت متطورة ، وكان ابناء هذه اللغات استطاعوا ان يصنعوا ما يصنعوه بفضل لغاتهم فقط ، وكأن هذه اللغات هي التي اخذت بيد ابنائها فدلتهم على الرقي والتمدن ، انه لمنطق عجيب والله ، واعجب منه ان تطعن العربية باسم الغيرة عليها ، وان ترتفع الاصوات فى مصر وفى غير مصر داعية الى التخلص من هذه اللغة الفصحى التي هي السبب ـ فيما يزعمون ـ لتاخرنا الفكري ، وتلك نغمة الفناها من قبل حين نظمت الحملات على الاسلام باسم التمدن والحضارة واعتبره المغرضون والماجورون هو العقبة التي تقف فى طريق التمدن العربي والانطلاق الحضاري .

ومن المؤلم ان نجد كاتبا عربيا كالدكتور ابراهيم انيس يدعونا فى كتابه مستقبل اللغة العربية ، ومن غير ان يتقي الله فى اكبر رابط يربط هذه الشعوب فى الوطن العربي الكبير من الخليج الى المحيط ، يدعونا بحماسة لنتخذ اللهجة القاهرية لغة للامة العربية بدلا من هذه اللغة الفصحى التي اضعفتها منافسة العامية فاصبحت لا تستطيع ان تستجيب لعوامل الازدهار . فاللهجة القاهرية لا لهجة مصرية وكم فيها من لهجات هي الحل الذي يراه الدكتور لثنائية اللغة العربية ، ويوغل الاستاذ توفيق حنا فى الجدية فيعرض مشروعا ليطبق وينفذ فى المجال الفعلي فيقترح أن نسارع الى تعليم اللهجة العامية فى السنوات الاربع من التعليم الابتدائي حتى لا يصدم الطلاب بالفصحى وهي اللغة البعيدة عن حياتهم ، واخيرا نجد الاستاذ جلال مصري يعتمد على الاغلبية فيصدر حكما ديموقراطيا فلا شك تصبح بمقتضاه اللغة الشعبية او العامية هي اقصر الطرق التي توصل الى العقل . . ونحن لو كنا منصفين لانفسنا ولغتنا وجدنا داعيا او سببا يحملنا لنتهم لغتنا الفصحى بحجة الثنائية فاي امة فى الدنيا لا تملك لغتين : لغة سوقية يومية لا قواعد لها ولا اصول ، تستعملها فى حياتها المعاشية والى جانب هذه اللغة الشعبية هناك لغة راقية فنية ذات قوانين وقواعد ومصطلحات لا يستطيع الشعب ان يملك زمامها او يسخرها كما يشاء انها لغة ليست كالاولى ، والا لاصبح كل فرنسي وكل انجليزي مثلا يستطيع ان يفهم انتاج فولتير وشكسبير ولاصبح كل فرد من الشعب قادرا على ان ينتج الادب الرفيع ويتصرف باللغة الفنية كيف يشاء ثم بعد ذلك ماذا يريد دعاة العامية ؟ ايريدون ان نرمي بتراثنا وحضارتنا وان نبدا من جديد بتثقيف انفسنا بلهجة من اللهجات المرشحة كالقاهرية مثلا وهم انفسهم يدركون ان القاهري حين يذهب الى الصعيد لا يفهم ولا يكاد يفهم ، ودعنا نجاري هؤلاء المصلحين فنستعيض بلهجة من لهجاتنا من اللغة الفصيحة ونتخذ مثلا لهجة مصر لغة رسمية، فهل نقضي بذلك على مشكلة الثنائية فى البلاد العربية ؟ ام هل تستطيع هذه اللغة الجديدة ان تغزو اللهجات الاخرى فتصبح لنا لغة واحدة يكتب بها الاديب ويؤلف بها العالم ويتكلم بها رجل الشارع ؟ لست ادري ايتحقق ذلك وان كنت اومن كما يومنون بانه مخالف لسنن الكون ونواميس الشعوب . .

فالحل اذن ليس فيما يدعون من نبذ هذه اللغة واختيار لهجة من لهجاتنا والتي ستصبح ـ لو قدر للعملية ان تنجح ـ متهمة بالجمود والموت والعجز، وانما الحل الصحيح فى انفسنا اولا ، ولكن رغم ذلك تدعو المخلصين جميعا الى العمل الجدي ـ لا الى المؤتمرات والتوصيات ـ تدعوهم الى تطعيم هذه اللغة الخالدة

تدعوهم الى المشاركة جميعا في نقل الدماء الحارة السليمة الحية الى هيكلها الذي انهكته الايام واضعفته المحن ، والمسؤولية في بعث هذه اللغة ليست مسؤولية دول وحكومات فقط ، انها مسؤولية يتحملها الجميع وخصوصا المجامع اللغوية التي يجب ان تعمل على نقل التراث العالمي الذي يفيدنا ، وينمي مداركنا ويساعد على تفاعلنا مع الحضارة العالمية ؛ والا تقتصر على ترجمة المصطلحات العلمية وتسويق كلمات محنطة لا رواج لها .. ثم على اطبائنا ومهندسينا وعلمائنا الذين زاوجوا بين الثقافات عليهم ان يخرجوا من عزلتهم وان يقدروا رسالتهم وواجبهم الوطني الذي يدعوهم ليكونوا همزة وصل تربطنا بالامم الحية والحضارات الراقية ، ومن العار على ابناء هذا الشعب هذا الشعب الذي ارسلهم ليعودوا اليه مثقفين، فما رجع اكثرهم الا جباة مرتزقة لا يعرفون الا النهب والسلب وجمع الدنانير ، ولا يحسنون الا الكسل والخمول اما الانتاج والتأليف ، واما الاسهام في تطوير امتهم وتطعيم لغتهم فذلك ما لا يفعلون، وما دمنا كذلك فلا الفصحى تؤخر ، ولا العامية تقدم ، وانما هي اوهام نتلهى بها عن واقعنا المر ، والى ان ندرك واقعنا ونعمل بصدق من اجل رقينا وازدهارنا سنتأكد من ان اللغة تخلقها الشعوب ولاتخلق الشعوب وتحييها العقول ولا تحيي العقول ، وعندئذ سنجدفي لغتنا معنى ، وسنلمس فيها حياة وسحرا .

وفي لبنان : مولود جديد :

لاول مرة في تاريخ العروبة يولد اتحاد عام للناشرين العرب في ارض لبنان وتحت سمائها الجميلة وبين احضان طبيعتها الخلابة ، ونحن اذ نهنيء انفسنا ونهنيء اخواننا الناشرين ونتمنى لهم كامل التوفيق في اداء مهمتهم الانسانية ، نتقدم بالشكر لجامعتنا العربية التي دعت الى عقد هذه الحلقة لدراسة وسائل النشر للانتاج العربي ، وتيسير تداول الكتاب العربي ، فهيأت بذلك فرصة تدارس فيها المجتمعون هذه الوسائل ، وتعرفوا فيها على العقبات والصعوبات التي تقف في وجه الكتاب العربي وعلى الاجحاف الذي يلقاه المؤلف والناشر والقاريء ثم اصدروا اخيرا توصيات — على العادة — نرجو الا تكون كمثيلاتها المهملات ، لاننا نؤمن بانها توصيات لو نفذها المسؤولون لادت للفكر العربي خدمات جلى ولساعدت ابناء هذا الوطن الكبير على استكمال غذائه العقلي ، هذا الغذاء الذي حرم منه واجبرته الظروف القاسية على تحمل هذا الحرمان — ولعل اخواننا المجتمعين لو انصفوا المستهلك العربي لما اتخذوا من ضعف وسائل التعريف بالكتب وقلة الاعلان عنها والتشهير بها سببا رئيسيا لما لاحظوه من قلة الاقبال حتى من المتعلمين على القراءة ، ونحن معهم في ان هذه الوسائل الضرورية في عصرنا تكاد تكون معدومة ولكن رغم ذلك فالمواطن العربي يعيش في مستوى يجعلهلا يحتاج الى ان يعرف، بالكتب وتقدم اليه التآليف حاجته الى من ياخذ بيده ليصل الى هذا المطل عليه ، انه في حاجة الى من يتعرف على الاسباب الحقيقية في جفائه للكتاب العربي هذه الاسباب التي من اهمها فيما نرى :

1) السبب المادي — ونقولها بصراحة انه لا يوجد في الدنيا شعب يتاجر في غذائه الروحي من غير حماية ولا مراقبة كالشعب العربي ، وخصوصا نحن ابناء هذا الشمال الذين ابتلينا بالاسعار المضاعفة في كل شيء ولذلك نجد الدخل الفردي لا يساعد المواطن على الشراء ، انه دخل لا يكفيه — وهو الموظف المثقف — حتى في معاشه كحيوان ، لا كانسان متمدن لان الانسان المتمدن يعتبر الثقافة من ضروريات الحياة ولذلك استطاع ان يفرضها على ميزانيته كفرد ، وان تقرأ التشريعات الاقتصادية لها الحساب وان تعمل الدول على تمكين المواطنين منها .. اما نحن فلا نزال في طور الكفاح من اجل الخبز حتى نعيش ولا يمكن لجائع بئيس ان يفكر في الكتاب ليستنير ويحيى ويتقدم .

2) وهناك سبب ءاخر نفسي وهو في واقعه مهم جدا : ذلك ان الطالب العربي في مراحل حياته لا يجد تقديرا ولا احتراما في مجتمعه للثقافة في عناوينها ، انه لا يرى احتراما للمعلم ولا يجد تقديرا للاستاذ ولا يلمس تشجيعا للادباء والمؤلفين ، انه لا يشاهد في مسرح الحياة الا الها واحدا يعبده المجتمع، وتدور معه القيم وجودا وعدما وهو المال والمال فقط ، فلا الثقافة تفيد ولا التآليف يجدي فاصنعوما شئت واكتب ما شئت وتثقف بما شئت فلن تكون الا عبدا لمعبود قومك ، واذا فلماذا المطالعة ولم القراءة ؟ لقد قرنا بالشهادة مفتاح الرزق الضنك ، وبلغنا الى الوظيف فرفع من رفع وخفض من خفض فما راينا في الرفع والخفض الا ميزانا واحدا ميزان المال والجاه والحسب والنسب ، اما الكفاءة والثقافة فالى حيث القت .. ولو سالت متسلقا للسلم الاداري او مرتبطا بسلاسل (الانديس) اي امنية ترجو لاجابك بالواقع الاليم انا في

حاجة الى من يدفع الى اعلى او ذي جاه يتوسط او ذي سلطة يزكي لاصبح من المحظوظين وافوز فوزا لا يهم به من سلخ من عمره عشرين سنة يموت ويحيى من اجل الثقافة والعلم .. ذلك هو الواقع الحقيقي لمجتمعنا وذلك هو السبب الخفي لقلة الاقبال من الشباب المثقف على الكتاب وذلك هو الدافع لقلة الانتاج وانطفاء النبوغ وضياع العبقريات ، وقد اصبحنا بحكم هذا الواقع ندور جميعا في فلك الدينار والدرهم لا نؤلف الا من اجله ولا نقرأ الا من اجله ، ولا ننشر او نبيع الا من اجله ، بل ولا نحيى الا من اجله .

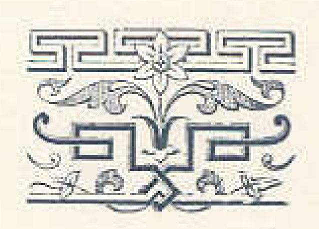
وبعد فهل لهذا الواقع من اصلاح؟ وهل لاوضاعنا من علاج . . ذلك ما نامل وعسى ان يكون للكتاب العربي النصيب الاوفر في تحقيق ذلك التغيير الجذري لحياتنا النائمة ، وان كانت المهمة مزدوجة والمسؤولية مشتركة يتحملها المؤلف والناشر والموزع والحاكم انهم جميعا مسؤولون ، وعليهم واجبات نحو المجتمع العربي وتجاه الثقافة العربية ، ولو ادى كل واحد منهم رسالته وقام بمهمته لاصبح الكتاب العربي سيد الموقف واستاذ الشعب ومربي الامة .. ورغم اختلاف المهمة المنوطة بكل واحد فان الغاية مشتركة هي خدمة هذا الشعب والعمل على رقيه وازدهاره .. وهذه المهمات فيما اعتقد ملقاة :

اولا ـ على الناشرين الذين لا ينبغي لهم ان يتخذوا من رسالتهم تجارة مادية فقط تدفع بهم الى تملق سطحية الشعب وغرائزه بل هم اصحاب رسالة لا تتسامح مع الانتاج الذي يفسد الشعب او يلهيه ولو كان محقق الرواج ومدرا للربح الوفير وليعلموا ان المؤلف العربي عندما يجد ناشرا واعيا لمسؤولياته القومية سيراعي المستوى اللائق وسيبذل الجهد مع الناشر ليكون الانتاج محترما هادفا لمصلحة المجتمع .

ثانيا ـ وعلى الموزعين واصحاب الوكالات الذين بيدهم كل شيء والمحتكرون لكل انتاج والذين يلزمهم الواجب القومي الا يستغلوا الانتاج العربي وجهود الناشرين واتعاب المؤلفين للاثراء الفاحش والربح المضاعف على حساب ثقافة المواطن العربي الذي يبعد عن موارد الثقافة بسبب الاطماع والاستغلال ..

واخيرا على الحكومات الا تقف مكتوفة الايدي بل عليها ان تتخذ جميع الوسائل لتسهيل تداول الكتاب العربي بان تلغي الضرائب نهائيا على الانتاج الفكري وعلى مواده الخام التي يقدم فيها .. وان تخفف من اجور المواصلات وان تعمل بجد لتحديد نسبة مئوية لا تتعدى خمسة في المائة للارباح التي يحق للموزع والبائع ان يتقاضاها ، وبعد هذه الخطوات الصادقة سيفرض الكتاب العربي نفسه وسيقرع الابواب ويدخل البيوت وسيجد الانتاج القيم الرفيع ترحيبا من القارىء العربي في كل مكان وفي ذلك الوقت نستطيع ان نؤكد على وسائل الاشهار والتعريف لان المستهلك حينئذ يصبح قادرا على الاستهلاك اما الآن فانه عاجز وعاجز حتى على خبزه .

م . ز



مناقشات

حول قصيدة إنا أخوان

عود على بدء

للأستاذ
محمد الحلوي

الحقائق الخمس :

لست نادما على هذه المناقشة التي اثرت بها حفيظة زميلنا التواتي ، ولست راغبا فى ان تتحول المناقشة حول قصيدة فقط الى مهارشة بذيئة لا تفيد القارىء ولا تحترم الادب اذ ليس بين النقد الموضوعي النزيه المركز وبين المهاترات الحمقاء التي تختلط معها الحقائق ويلبس فيها الباطل لباس الحق الا خيط رفيع يجب الحفاظ عليه لانه حمام الامن وملاك السلام .. وقد اثرت هذه المناقشة وانا لا اهدف منها الا لبعث نشاط فكري تحدوني فيه الرغبة الى كشف اللثام عن الحقيقة فى حدود الحكمة والاحتكام الى المنطق ، فبذلت الجهد فى ان اكون موضوعيا ، وركزت اهتمامي كله فى الجوانب التي تعنيني فى هذا النقاش بعيدا عن كل ما يثير زميلنا التواتي ويخرجه عن وداعته واتزانه ، ولكنه على الرغم من التزامي ما يلزم فى مخاطبة انسان مثله فقد ثار وافلت من يده الزمام ، ومرد هذا الى انه قوي الحساسية مرهف الشعور والشاعرية تدغدغه الكلمات وان بلغت الغاية فى اللطف ، وتهيجه متى احس فيها قليلا من العنف ، فليسمح لي اذا كنت قد اثرته ــ عن غير قصد ــ وحدت فى نقاشه عن المجاملة واللباقة الادبية فانا افهم ان المجاملة اذا تعدت حدودها اصبحت مغازلة .

لقد ذهب زميلنا التواتي للدفاع او التعقيب عندما راى شاعريته توضع فى قفص الاتهام فكيف كان معنا فى هذا النقاش ؟ هل التزم فيه جانب الادب واللياقة التي نعاها علينا ؟ وهل اعطى حقا لما كتبه صبغة جدية والتزم فيه الصدق والاقناع ؟ ذلك ما لم يتقيد به الاخ التواتي وهو يكتب تعقيبه باسلوب خطابي محموم وفى غمرة انفعال وهياج ونفس ثائر ، وليس اضر على العلم والادب من هذا الاسلوب الذي تضيع فيه الحقائق وتطغى فيه العاطفة على العقل والمنطق ــ ويعتمد فيه التنطع والالتواء .. واذا كان الاسلوب الخطابي اداة لاثارة المشاعر والهاب الحماس فى الجماهير وفى الميدان ، وفى مجالس القضاء فهو ايضا اداة للتمويه والتضليل وتغطية للحقيقة التي لا تتكشف بحال الا باصطناع اسلوب النقاش الهادىء المتبصر .

الحقيقة الاولى : والحقيقة الاولى التي يومن بها التواتي ويعتمدها كسلاح فى هذا التعقيب المتحمس، هي انه لم يقرا من بداية حياته الى نهايتها انتاجا مغربيا الا ما تفيض به على الناس قريحته السخية ، والا ما يرسله اليهم من داخل برجه العاجي من نفحات شعرية فواحة .. ومن محنة الادب والشعر فى هذا البلد ان ينصرف عن قراءته ومتابعة تطوراته حتى الذين يضعون اسماءهم وانفسهم بين الشعراء ويخوضون فى الحديث عن مدارسه واتجاهاته وان من السخافة ان يدافع المرء عن نفسه ويرد كما ردها يوما بسواته عمرو .

لقد خصصت (دعوة الحق) عددا خاصا لدراسة الازمة الفكرية فى بلدنا والتعرف على اسبابها ، وقد فات كثيرا ممن تناولوا اسبابها الكثيرة بالشرح والتحليل ان يذكروا منها الانانية المغرورة التي تعمي عن كل ماحولها ولا ترى غيرذاتها شيئا جديرا بالاعتبار والالتفات ، ان الشاعر الذي ينتج ويصدر للناس وينتظر منهم ان يقراوه ثم لا يتنازل هو لقراءة الآخرين لانها فى نظره ترهات وسخافات انما هو واحد من اثنين : مغرور يضع نفسه فوق الجميع ويرى انتاجه فى الدنيا كل شيء ، او متعام لا يطيق رؤية النور المتراقص من حوله فهو يعمي عينه عنه حتى لا يرى ويصم اذنه حتى لايسمع ، وقد كان على التواتي ،

وهو يبدي استخفافه وعدم اهتمامه بالمحاولات الادبية التي ما تزال تتلمس طريقها وتكافح من اجل خلق ادب هادف ان لا ينسى تقييم انتاجه المغربي ، وان لا يحرمنا من ابداء رايه فى شعره وهو يقسو فى احكامه على الآخرين .. انه لا يعجب كما يقول باحد اعجابه بالاخوين الطنجاوي والصباغ لانهما مدرسة قائمة تستجيب لتطورات الحياة وسنة التجديد ؛ ومن المدهش ان يعلن اعجابه بهما وتقديره لشاعريتهما ، وهو لم يتنازل قط ليقرا انتاجا مغربيا مكتفيا فى هذا الاعجاب بالسماع والاصداء — ومع ان الحكم لشاعر ما والاعجاب به لا يكون حكما مامون النتائج اذا اكتفى فيه بالسماع العابر والاصداء المرجعة ، فان الذي نعرفه هو ان الطنجاوي والصباغ يقرءان ولا يسمعان فلم اذكر قط اني استمعت لواحد منهما انتاجا اذاعيا، على وفرة انتاجهما بينما قرات وقرا لهما الناس الكثير .

ولعل ما اعتمده التواتي فى هذا الاعجاب والاطراء — والذي اعتقد ان الآخرين فى غنى عنه وليسا فى حاجة اليه — هو ان الحلوي يعيش على انقاض القديم ويجتر — فى وهمه — ما قاله الاولون وهو ما لا يفعله هو بالطبع او يفعله الصباغ وهذا وحده كاف عنده فى اصدار الاحكام الادبية اذا كانت من وراء الابراج العاجية التي اعتاد الحياة فيها اخونا التواتي .. انه بالطبع لا يقرا شعري لانه انتاج مغربي كما اخذ على نفسه ، ومع ذلك فهو لا يخجل من ان يعلن رايه فيه بهذه البساطة متجاهلا نتائج احكامه الفطيرة المرتجلة.. ان الصباغ الذي نحترمه جميعا ونقدره يمثل فى المغرب المدرسة الحديثة فى الشعر ما فى ذلك من شك ؛ اما الحلوي فاحد الذين ينتمون الى المدرسة القديمة بكل خصائصها وسماتها تغذت شاعريته من منابعها وعاش طويلا مع اقطابها فتاثر بالاصالة العربية الى حد كبير .. وان زميلنا التواتي بعد هذا لن يستطيع ان يزعم لنفسه او للناس انه من مدرسة الصباغ لان الواقع سيكذبه ولن يرضى ان ينتمي الى المدرسة القديمة التي انتمي اليها انا لان اصحابها فى رايه يلوكون ويجترون ويعيشون على اصداء الماضي البعيد ، فماذا بقي لاخينا التواتي ؟ وبماذا احتفظ به هو لنفسه ؟ .. ان حالي معه كذاك الذي اراد ان يعرف مكانة صديقه الشاعر يوم قال له : ان الشعراء فى الدنيا ثلاثة : شاعر وشويعر وعاض بظرامه فمن اي الثلاثة انت ؟ فاجابه ذاك الصديق : الشاعر امرؤ القيس اما انا فشويعر ، واقتسم انت وغيرك الباقي .

ثم ما هو هذا الاجترار الذي يحاول زميلنا التواتي ان يلمزنا به ؟ انه عند ذوات الاربع مضغ جديد ومحكم لما ملات به بطونها من قبل ، فهي عملية اعادة بغيرها لا تستحيل الاعشاب الى غذاء نافع .

اما عندما يصف انسان آخر بالاجترار فانما يقصد من ذلك انه لا يتفق مما عنده ، وانما هو طبعة ثانية للآخرين يحاذي اساليبهم ويعيد افكارهم ويترسم فى عمله خطاهم ، هذا هو الاجترار الذي يرضى التواتي ان ينعتنا به عندما اراد ان يعلن رايه المحترم فينا ، وانا ابرا من هذا الاجترار لانه محاكاة عمياء وامعية ممقوتة ووثنية متنكرة .. وللتواتي العذر فى اساءة الظن بي لانه لم يتنازل من عليائه يوما ليقرا لي ما اعجب به الكثير ممن لهم راي ومكانة عالمية فى الادب ولو انه قرا هذه القصائد : غرب ، سابحة سافرة ، صرخة الجزائر ، ابو الثلج ، من وحي القرية ، يوم ابصرتها ، ذكرى القرويين ، مرثية محمد الخامس ، وغيرها كثير لكان له راي آخر ... ان الاجترار الذي اومن به شيء آخر غير هذا ، انه امتداد الماضي القديم الى الحاضر الجديد ، وارتواء هذا الجديد من منابع القديم الصافية .

ان الحفاظ على اسلوب الادب الاصيل والصياغة الفنية الرفيعة مع مسايرة مفاهيم الشعر الحديث لا يمكن بحال ان يعد اجترارا ، انه امداد الادب بروافد اصيلة واعداده للبقاء والخلود ، وهو بهذا المعنى ضروري لحياة امة تحرص على ماضيها الذي اصبح ذرة من كيانها ، فابتعادها عن استيحاء معاني الخير والجمال والقوة من هذا الماضي لن يكون الا تخليا عنه وعقوقا منها وتنكرا .

ان تسلسل التيارات الفكرية عند الانسان ، هذه التيارات التي كانت انطلاقتها الاولى من عهد الانسان الاول لدليل على ان التلاقح الفكري عبر القرون والاجيال لم يكن الا اجترار الانسان ما اهتدى اليه اخوه الانسان ، وان وحدة المشاعر عند بني الانسان التي اكدها الادب المقارن وتهافتهم على المعاني الواحدة لدليل على ان البشرية جمعاء تعيش فى دوامة وتخضع فى تطورها وتفكيرها لعملية اجترار متصلة

الحلقات ... ثم ما هي هذه الحضارة التي شيدهـا الانسان ؟ اليست ميراثا تسلمه هذا الانسان ممن سبقوه فاخذ يستثمره وينميه ليتركه لاجيال قادمة تمضي في تنميته الى ما شاء الله ؟ .. وهل استغنت في يوم ما هذه الثورات الفكرية والحضارات الانسانية والمذاهب الادبية والفلسفية عن ان تستضيء باشعاع الماضي وتتخلص من رواسبه التي حملها الانسان معه في مجاهل فكره واغوار نفسه ... ان التواتي عندما ينعت غيره بالاجترار سيجد نفسه عاجزا عن اعطائنا شاعرا واحدا لم يتفاعل مع الحاضر ولا مع الماضي فلم يجتر ولم يتاثر ، ان اقرب امراء الشعر الينا في عصر النهضة هو احمد شوقي ، الذي ترسم المتنبي في حكمه وابا تمام في متانته ومعانيه وابا نـواس في خمرياته وابن زيدون في عاطفياته والوشاح الاندلسي في موشحاته ، فهل كابر احد في عبقريته وشاعريته ؟ وهل نال من شاعريته انه اجتر اساليب القدماء واحتذى مناهجهم في الصياغة والاداء ؟ وهل ينتظر من التاريخ يوما ان يغير رايه في شوقي لان زميلنا التواتي هنا ينظر اليه ــ كغيره ممن يبقى على اتصال واخلاص للماضي ــ شاعرا مجترا يلوك ما لاكه الاولون ؟

ومن المضحكات ان يؤكد لنا التواتي انه شعبي لحما ودما ونزعة ومذهبا وميولا وهو الاريستقراطي الذي لا يقرا انتاجا غير انتاجه ولا يسمع اذنه صوتا غير صوته، انه مغرم بهذه الشعبية في كل شيء يمارسه في الحياة ــ حتى في تفكيره ــ اما في شعره فهو يختار الانعزالية ويضرب على نفسه نطاقا من حديد ، حتى لا يخضع لاحد من قريب او بعيد ، وهو بهذا يحاول ان يخدعنا ويخدع نفسه بانه لم يتاثر باحد ولم يجتر كما نفعل نحن ، وليست هناك عوامل خارجية تغذي شاعريته وتهز عاطفته وانما هي عصامية اصيلة ، وموهبة تواتية نبيلة وتبارك الله مبدع العبقريات وصانع المعجزات .

وعندما يلجأ زميلنا الى التغليط يتحدث لنا عن الاحاسيس الانسانية وانها قاسم مشترك بين افرادها، يخطر ببال احدهم ما يخطر ببال الاخر ، ويطرق هذا موضوعا قد يكون طرقه غيره من الناس ، يهمس بهذا في اذن وكانما يهمس بسر ، ويحدث به كما لو كان يتقدم للقارىء بشيء جديد وهو لا يجهل انني عندما فتحت معه هذا النقاش لم افتحه لاني احتكر الشعر لنفسي او ادعي الامارة فيه ، ولا لمجردانه طرق موضوعا قد طرقته فانا اعلم ــ كما يعلم الناس ــ ان تناول الاحداث والتيارات والتفاعل معها حق مشاع بين افراد البشرية على السواء ــ وانا عندما انتقدته لم افعل الا واني افرق بين الاشتراك والتواطؤ في الفكرة والموضوع وبين التواطؤ في الصياغة وطريقة الاداء ...

اننا جميعا نحيا عصرا طغت فيه الانانية والخوف والقلق ، فمن حق التواتي ان يعيش هذه التجربة وان يصوغها صياغة ادبية ... وهو اذ يتفق معي موضوعا وفكرة عشنا جميعا تجربتها فليس له مجال ان يتواطا معي في الصياغة وطريقة الاداء وفي القوالب التي اخترتها والقيم التعبيرية التي فضلتها .

ان اي شاعرين متعاصرين يتواردان على موضوع واحد ، ويعالجانه باسلوب واحد ، وفي بحـر وروي واحد ، ويتعاقبان على صياغة حرفية واحدة لن يثبت واحد منهما امام موازين النقد الصحيحة قديمها وحديثها ، ولن يكون هذا الواحد بالطبع الا اللاحق منهما ...

الحقيقة الثانية : وثانية الحقائق التي اوردها الاخ في تعقيبه تتحدث عن ميلاد قصيدته وقصة حياتها التي بدات كما يقول ــ في توات سنة 1956 ، ففي توات بلد النخيل راى اول بيت منها النور عندما ارغمه الحاكم على الكفر بالجنسية المغربية التي لم يكفر بها التواتي يوما ما .. وفي غمرة الحرب الجزائرية عادت اليه صورة الحاكم التائمة (الجاهمة) ، وهنا استسمح الاخ اولا لاصلح له كلمة الجاهمة واعرفه بتعريبها الصحيح فان العرب لم تعرف الجاهم ، وانما قالت الجهم كما نطقت به الخنساء :

جهم جميل المحيا كامل ورع
وللحروب غداة الروع مسعار

وهكذا ترى يا اخانا التواتي ان الاجترار قد افادنا وعصم السنتنا واقدرنا على اصلاح لغة الاخرين الذين لا يجترون .

ويعود الفضل في اخذ قصيدته صورتها النهائية ، وتعديلها ، وادخال الماكياج عليها ، وتطعيمها الى حرب الجزائر .

تلك قصة القصيدة كما يرويها زميلنا التواتي وهو راو امين عندما يكون الحديث عن نفسه لانه يعيش بعيدا عن المؤثرات القريبة منه والبعيدة ـ كما يقول ـ فهو لم ينظمها في فاس فيتأثر او يجتر ، ولكنه نظمها في توات بعيدا عنها بعشرات الاميال ... وكل هذا في نظره يعطيه الحصانة من ان تحوم حول معلقته الظنون:

ان صدقا لا احس به ❊ هو شيء يشبه الكذبا

الحقيقة الثالثة : اما في هذه الحقيقة الثالثة فان التواتي يريد ان يسخر من شعري الذي لايستحق ـ في رايه ـ ان يعارض ولا ان يدرس ولا ان يقرا ولا ان يجامل ولا ان يوثق بنسبه وليس لي مع هذا التجاهل الرخيص من حيلة الا ان ارفع بالكلاليب اجفان الاعمى حتى يرى النور ، واضرب بالمقارع آذان الاصم حتى يسمع اصوات الشعراء تهدر من حوله ، وله ان شاء بعد هذا العمى ان يتصور الليل نهارا ناصع البياض والنهار ليلا حالك السواد ، فلن يقوى تصور المريض يوما ما وهو فاسد سقيم على ان يحيل الليل الى نهار مشرق ولا النهار الى ليل حالك مظلم ... نعم كان علي ان اتناول القصيدة مقطعا مقطعا وبيتا بيتا ولكني ـ مع الاسف ـ لم اجد ما يغريني بالوقوف فتناولت منها ما آثار اهتمامي وتركت الباقي لحكم التاريخ اشفاقا على نفسي وضنا بوقتي .

الحقيقة الرابعة : عندما تنكر زميلنا التواتي للقوميات والقوانين والدساتير واعلن في شعره انها خرافة من وضع عابدي الاوثان ، كان كما اشرت في تعليقي متناقضا مع نفسه ابعد التناقض يقدس هذه القومية ويومن بها في حديثه الاذاعي (وهو ناثر) ويكفر بها مستهزئا عند ما ينقلب الى انسان شاعر ، فيتسع قلبه للايمان بالشيء والكفر به ، وينطلق لسانه هناك مسبحا ممجدا ، ويتعثر هنا جاحدا مشككا في صلاحيتها ، ولكنه يكابر مرة اخرى ولا يعترف بهذا التهافت متعللا بان الشاعر عندما يرتفع عن محيطه المحسوس الى ما وراء المادة قد يتخطى حتى ما اصطلح على قداسته كل البشر ، وهو تعليل بارد قد ينفع زميلنا لو انه ارتفع به ما نظمه عن محيطه المحسوس وفقد فيه وعيه ونفسه في سبحات صوفية خالية مجنحة ، ولكن التواتي لم يرتفع شبرا عن ارضه ولم يحلق مترا فوق برجه العاجي ، ومع ذلك فهو يبيح لنفسه هذا الاضطراب والجموح لانه يعتقد ان للانسان منطقتين : منطقة العقل ، ومنطقة القلب . فهو في منطقة القلب والعاطفة بعيد عن سلطان العقل ونفوذه وتدخلاته ، حر في ان يقول للناس ان سماءهم ارض وارضهم سماء ، وان قانونهم سخافة ودساتيرهم هراء وعذره في هذا الهذيان انه في منطقة القلب انه بهذا يضع خطا فاصلا بين العقل والعاطفة ويفهم ان الشاعر في شعره العاطفي يصح له ان يتجرد كامل التجرد من عقله فلا يبقى لهذا العقل سلطان على عاطفته ليوجهها ويضبطها او يكبح من جماحها وغلوائها ، وهو فهم خاطىء يؤكد ان مفاهيم الاشياء اختلطت في ذهنه هزلا في ذهني ـ كما يقول ـ ان منطقة العواطف المجردة عن العقل يا اخانا التواتي هي منطقة الحمقى والمأفونين ، فاذا صح لنا ان نعد عواطف هؤلاء التي تجردت من توجيه العقل وقيادته شعرا اوكلاما له قيمة واعتبار ، فلن نمانع قط في اعتبار ما قاله التواتي في منطقة قلبه المتجردة عن عقله شعرا وكلاما لـه وزن واعتبار ، لقد فاتني ـ لسوء حظي ـ ان اعرف ان التواتي الراحد بالشخص له جهتان وهذا في نظره يرجع الى جهلي بالاصول وعلم العقليات التي حرمتني منها دراستي بالقسم الادبي ، وما دام الاخ التواتي لا يلتزم اللياقة الادبية التي نعاها علينا في بداية هذا النقاش ، فمن حقي ان اخبره باني لا اغبطه على بضاعته في عقلياته واصوله لانه لم يستطع ان ينتفع بهما في هذا التعقيب .

الحقيقة الخامسة : يزعم زميلنا التواتي انني اقحمت في تعليقي الحديث عن القومية العربية اقحاما لا مبرر له وهو زعم من لا يحتكم الى اصول العقل . كيف لي ان اثير في تعليق بسيط قضية شغلت رؤوس العرب والمسلمين احقابا طويلة لولا ان اخانا التواتي سخر بالقوميات والدساتير وكفر بها وبواضعيها لانه كان في منطقة القلب كما يقول ، ولكنه تنازل للتعقيب عليها رغم انها طفيلية ومقحمة في وهمه ليقول لنا ـ بكل فخر ـ انه لا يؤمن بفكرة القومية العربية لانها في رايه دعوة جاهلية ونعرة عصبية ، ونزعة طائفية خير منها ان ندعو الى وحدة اسلامية ينضوي تحتها المسلمون من كل جنس ، والتواتي وهو يطرق قضية شائكة من اكبر القضايا عاطفي لا يريد ان يبارح منطقة القلب ، ولو كان واقعيا يدرك ما في تحقيق وحدة اسلامية من عراقيل وصعوبات تحول دون ان ينصهر المسلمون جميعا في بوتقة واحدة لادراك ان نجاح فكرة القومية

العربية وتجسيمها فى جامعة عربية يعتبر ربحا عظيما ومكسبا حققه العرب رغم مناورات الدخلاء ورغم ما اعترض طريقهم ويعترضهم من تيارات معاكسة . ان التنكر للقومية الذي يفتخر به التواتي كلام لايرتكز على منطق سليم ، لان الوحدة الاسلامية التي ليس هو اول داع اليها رغم قداستها ، ورغم ايمان المتحمسين للاسلام بها ، ورغم المصاعب التي تقوم دون تحقيقها . والاجيال اللازمة لانجازها ، هي نفسها عصبية ودعوة جاهلية لانها تكتل يقابل فى الطرف الاخر المسيحية واليهودية واللادينية .

ان الحقيقة الالهية الصحيحة التي يدعو اليها الاسلام والتي لا يرد عليها ما اورد التواتي ليست هي فى قومية عربية ولا اسلامية ، وانما هي فى وحدة انسانية شاملة تقوم على التعايش السلمي واحترام العقائدوالافكار وتلاشي الفروق والطبقات تحت شعار « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » وشعار الدين لله والوطن للجميع ـ فاذا اراد التوا تي ان يفر من الدعوات الجاهلية كما يرى فليدع الى هذه الوحدة الانسانية التي هي وحدها الحقيقة الالاهية .. على انه ليس من اللازم ان تكفر بالقومية العربية التي ناهضت بتكتلها الاستعمار لندعو الى الوحدة الاسلامية التي ستكون الخطوة التالية فى سبيل تعايش انساني شامل .

الشكلية والفنية :

تحدث الاخ التواتي فى حذلقة وسخاء عن نفسه وعن حاكم التوات وعن مناطق القلب والعواطف وعن القومية العربية ، فما باله يلوذ بالصمت ويدور ويلف عندما ينتهي فى تعقيبه الى الجانب الشكلي والفني الذي تناولته فى تعليقي ؟ وانهذا التهرب منالاخ راجع الى سببين اثنين : احدهما انه يستخف بالجانب الشكلي والفني فى الشعر وفى نقد الشعر ولا يراه جديرا ، بالاعتبار ولذلك وقف منه موقفه السلبي ، وثاني السببين انني لست شخصية عالمية فى النقد يحسب لها حسابا او يقيم لنقدها وزنا .

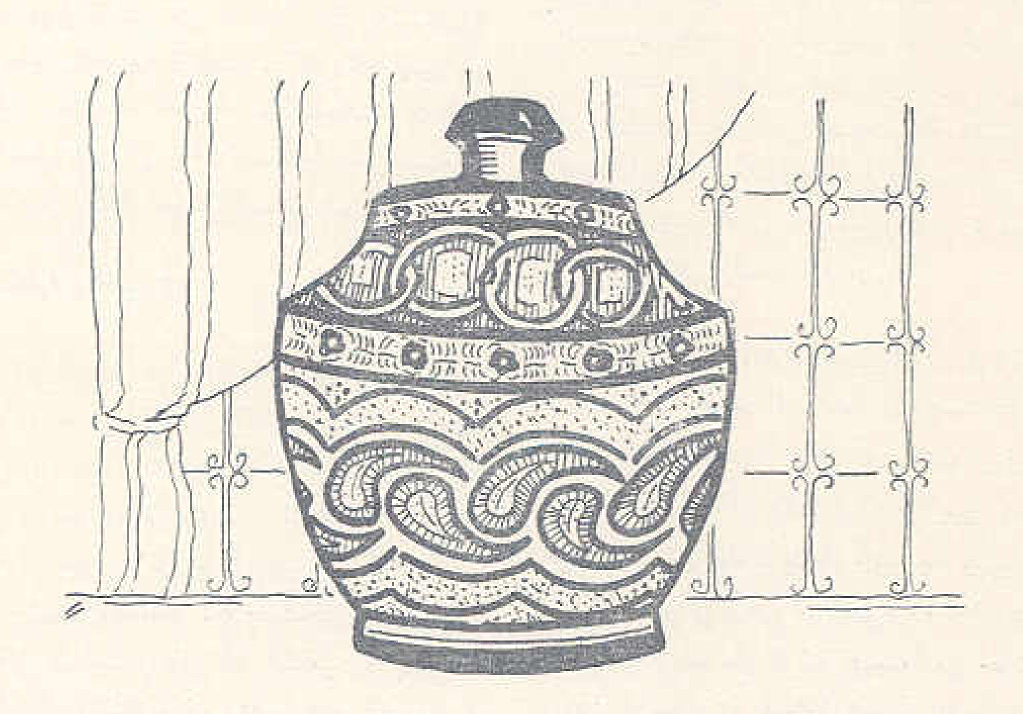
ومع ان الجانب الشكلي والفني ليس كل شيء فى الانتاج الا انه اول شيء يبرز فيه ، فالتجربة الشعورية التي مر بها وعاناها التواتي لا يمكن ان تقيم ، ولا ان تكون محلا لحكم ادبي كيفما كان وزن الحاكم وثقله فى دنيا الادب والنقد الا اذا اتخذت شكلها ، واعطى لها من القيم التعبيرية والجمال الفني ما يؤهلها لان تكون عملا ادبيا محترما .. والجانب الشكلي فى الشعر العربي ـ والمحافظ منه بالخصوص ـ يتمثل فى جمال الاداء ، وحسن الصياغة ، واصالة الاسلوب ، والتزام القواعد الموضوعية .. ومن هذا الجانب الذي اخل به التواتي انتقدته ، لان الالتفات الى الجوانب النفسية والاجتماعية والتاريخية والفلسفية فى اي عمل ادبي مرحلة ثانوية يمر اليها الناقد عن طريق الشكليةوجمال الاداء .. فعندما نظم التواتي شعره باوزان الخليل وتعثر فى تفاعيله وكسر الكثير من ابياته .. وعندما تحدث عن البسمات ذات الالحان وذات الرنين المشرق حديثه عن صدى القبلات فى (موكب الربيع) ، وعندما وصف الجمال بانه رائق فتان ياخذ كل الوجود والنيران كان فى كل هذا مخلا بالجانب الشكلي والفني لم يرض القواعد ولا الذوق الادبي . وتناول الانتاج وتفسيره بالمقاييس والقواعد الموضوعية لن يحتاج كما يزعم التواتي الى موسوعية فى الثقافة والى شخصية عالمية فى النقد لان انتاج اخينا التواتي لم يرق بعد الى هذا المستوى العالمي ، وهو الذي لم ينجح بعد فى توفير الجانب الشكلي والفني لعمله الادبي .

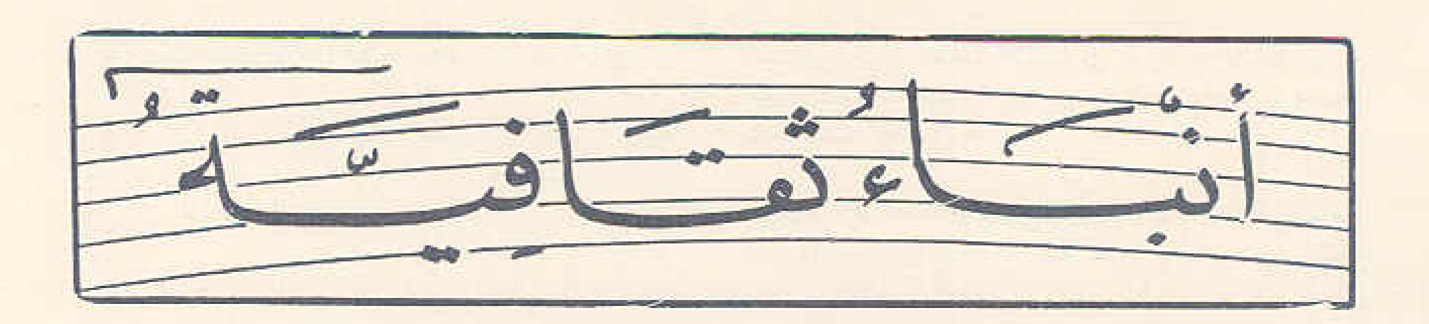
ان اكبر الادباء العالميين استهدفوا فى حياتهم الى النقد الذي رفعهم الى القمة ولم يستنكفوا منه لانه لم ياتهم من شخصيات عالمية ، ولكنهم عرفوا كيف يستفيدون منه ، ولم يكونوا انانيين ومغرورين يرفضون كل نقد لا يهبط اليهم به جبريل من السماء ... ان التواتي يراني غير شيء ، وله ان يرى فى الناس ما يشاء ويتجاهل الدنيا جميعها من حوله ، ولكنه لا يجوز له بحال ان يتجاهل اصول الشعر وقواعده الموضوعية اذا اراد من الناس ان يحترموا عمله وانتاجه .

رحم الله زكي مبارك لقد كان على حق عندما قال : (.. فاحمد امين ليس بكاتب ولا اديب وان سود الملايين من الصفحات) . لم يكن احمد امين اديبا عبقريا ولا فنانا ملهما ، وانما كان عالما ميالا الى البحث والدراسات العلمية ، ومن هذا يعلم اخونا التواتي مكانه ، انه ليس بالعالم وان عرف الراحد بالشخص له جهتان ، لان تعقيبه كشف عن جهله باللغة وبحقائق الاشياء وباصول النقد ، وليس باديب وان سود ما سود لان زكي مبارك نازع احمد امين – وهو من هو – ان يكون اديبا او كاتبا ، لقد رمانا التواتي بسهم ليس له ولم يحسن تسديده فارتد اليه .

ان الاخ التواتي لا ينس ان يشكرني على اهتمامي بقراءة شعره ويؤكد مرة اخرى انه لا يقرا شعري – على قلته – ولا يصرف وقته في قراءة الاخرين ، وانا اؤكد له انني مغرم بقراءة جميع المحاولات حتى ولو كانت فاشلة لاني اعرف كيف استفيد منها ، واعرف بها مكاني بين الاخرين وهي تمدني بطاقة وحيوية جديدة – والا فمن اين لي ان اكتب لدعوة الحق ما كتبته من تعليق لولا اني قرات التواتية الساجية .

ومرة اخرى اؤكد له انه لم يقل في تعقيبه شيئا ما دام قد تهرب من الجانب الشكلي الا ما اضافه من اختراعه في اللغة ؛ واني غير مستعد للقاء ثالث اذا كان على اسلوب مصارعة الثيران .





❊ اشترك المغرب في المؤتمر القضائي الافريقي الذي عقد في لاجوس من 3 الى 6 دجمبر بحضور مندوبي 35 دولة من افريقيا والشرق الاوسط .

❊ عقد في الدارالبيضاء فياواخر نوفمبرالماضي مؤتمر لعلم البحار استغرق شهرا كاملا . وشاركت فيه عدة بلدان من بينها الجمهورية العربية المتحدة والكويت وتونس وتركيا والسودان ولبنان وسوريا وقد افتتح المؤتمر الدكتور يوسف بن العباس وزير الصحة المكلف بوزارة التهذيب الوطني .

❊ عقد بمدينة طنجة في 25 من نوفمبر الماضي مؤتمر اتحاد البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية لدول الميثاق الافريقي .

❊ توفى مساء يوم 20 دجمبر الماضي الشاعر القاص المرحوم عبد الكريم بن ثابت على أثر أزمة قلبية . كان رحمه الله من الرعيل الاول من شباب هذا الجيل الذين عملوا في سبيل القضية المغربية ، ودافعوا عن بلادهم داخل الوطن وخارجه . تخرج من جامعة القاهرة ، وكان عضوا بارزا في رابطة الدفاع عن مراكش ، وفي مكتب المغرب العربي ساهم بانتاجه في جل المجلات والصحف المغربية ، وبعض الصحف الشرقية والتونسية في الوقت الوقت الذي كان فيه سكرتيرا في سفارة المغرب بتونس ، وللراحل الكريم مؤلفات مخطوطة في القصة ، والمقالة والاجتماع ، والشعر . وصدر له سنة 1956 كتاب « حديث مصباح » في سلسلة كتاب « البعث » التونسية . رحم الله الفقيد ، وتعازينا الحارة لذويه ، ومقدريه، واصدقائه .

❊ زار المغرب اخيرا الدكتور بلايي والسيد بدوي من منظمة اليونيسكو قصد الاطلاع على المنهج التربوي في المدارس الثانوية والكتب المدرسية وغيرها من المسائل التربوية .

❊ قدم الوفد المغربي في مؤتمر البريد الذي عقد في مدينة طنجة طابعا تذكاريا لمؤتمر الدار البيضاء سيتداول في جميع الاقطار المشتركة في المؤتمر وقد وضع تصميم هذا الطابع الفنان المغربي محمد اطاع الله

❊ ظهر اخيرا في المانيا الاتحادية كتاب بعنوان « المغرب » تحدث فيه مؤلفه فيرنر بلوم عن الاوضاع السائدة في تونس والجزائر والمغرب في الوقت الحاضر .

❊ اصدر اتحاد ادباء المغرب العربي العدد الاول من نشرته للتعريف بنشاطه ومشاريعه الادبيةوالفكرية في سبيل تنشيط الفكر المغربي واعلاء شأن الادب في هذا الوطن .

❊ سافر الى موسكو مؤخرا وفد مكون من 14 طالبا مغربيا بقصد الدراسة في جامعة لومومبا بمنحة من الحكومة السوفييتية .

❊ احتفلت لجنة من كبار الادباءاللبنانيين بذكرى الفيلسوف المغربي ابن طفيل . واصدرت اللجنة نشرة خاصة تتضمن الابحاث والمقالات والندوات التي تتحدث عن آثار الفيلسوف المذكور وآرائه .

❊ اصبح الزعيم الجزائري احمد بن بلا يتقن اللغة العربية قراءة وكتابة . بعد ما كان يجهلها عندما اعتقله الفرنسيون . وقد استغل مدة اقامته في السجن فتعلمها .

❊ سافر الى كوناكري وفد من الاساتذة والمدرسين العرب للعمل بالمدارس والكليات في غينيا وذلك ضمن الاتفاقية الثقافية بين ج.ع.م. وغينيا ومما يذكر ان اللغة العربية لغة رسمية في غينيا ابتداء من هذا العام الدراسي الحالي وستدرس في كافة مراحل التعليم الابتدائي والثانوي .

* سيفتتح الازهر ثلاثة مكاتب له فى افريقيا .

* اعلن السيد ابو بكر بليوة رئيس وزراء نيجيريا فى مجلس النواب بان الادب الشيوعي لن يمنع من الدخول الى نيجيريا .

* طلبت سلطات نيجيريا من رجال الارساليات المسيحيين التابعين لاتحاد جنوب افريقيا مغادرة نيجيريا فى ظرف خمسة اشهر .

* اكتشفت مؤخرا رسوم كهف تمثل حيوانات برية ورموزا غامضة وذلك فى واد نيجيريا قرب باوش.

* ستؤسس قريبا فى مدغشقر وكالة وطنية للانباء باسم « وكالة مدغشقر للانباء » .

* يعد للطبع الشاعر السوداني عبد القادر ابو القاسم مأمور ديوان شعر بعنوان (ارم ذات العماد) .

* اقرت الصيغة النهائية لمشروع اتحاد الادباء العرب والمعروف ان كافة الروابط الادبية الحالية ستندمج فى هذا الاتحاد .

* شكلت بالقاهرة جمعية باسم (جمعية القلم) من اهدافها نشر الثقافة السينمائية عن طريق القاء المحاضرات وعرض افلام ذات قيمة عربية واجنبية وانتاج افلام سينمائية وتكوين مكتبة تحوي اهم المراجع والكتب السينمائية العالمية .

* قررت وزارة الثقافة والارشاد اقامة معرض دائم بالقاهرة للمنتجات الفنية والتطبيقية والحرف القومية الخاصة بالدول الافريقية . وستخصص صالة السراي الكبرى للمعرض الزراعي بالجزيرة لهذا المتحف .

* (اغراء) عنوان المجموعة القصصية التي صدرت فى الاسكندرية تاليف فتحي خليل وكتب مقدمتها محمود تيمور .

* احتفت رابطة الادب الحديث فى القاهرة بالشاعرة صفية كريمة الفقيد الدكتور احمد زكي ابو شادي بمناسبة وصولها من واشنطن لزيارة وطنها وقد تحدث فى الحفلة : حسن كامل الصيفي ، مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، وديع فلسطين ، نجاة شاور ، ربيع ماهر ، نسيم محمود جبر ، محمد عبد المنعم خفاجي .

* (فلسفة الانسان الحديث) كتاب جديد يصدره لمعي المطيعي عن الدار القومية للنشر بالقاهرة وقد كلفه مجلس الفنون والآداب بترجمة كتاب (الفكر التاريخي عند الاغريق) للمؤرخ الانجليز توين بي .

* الدواوين الاربعة التي نظمها الفقيد الدكتور احمد زكي ابو شادي بعد هجرته الى امريكا والتي يحتفظ بمخطوطاتها رضوان ابراهيم ينتظر تقرير طبعها فى القاهرة تخليدا لذكرى الشاعر الراحل .

* (الاخر) مسرحية من ثلاثة فصول تاليف عبد الغني السيد صدرت عن دار الاشراق للنشر بالقاهرة .

* (احاديث المازني) احاديث اذاعية كان الفقيد ابراهيم عبد القادر المازني قد القاها من راديو القاهرة صدرت حديثا عن الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة بمناسبة ذكرى وفاته .

* يعد الدكتور علي الراعي دراسة نقدية عن الفقيد ابراهيم عبد القادر المازني .

* (ديوان خليل شيبوب) الشاعر السكندري الكبير قام بجمعه شقيقه صديق شيبوب ارتقابا لتقرير نشره من قبل هيئة ادبية .

* (الشذا المؤنس فى الورد والنرجس) كتاب فريد للشاعر علي الجندي العميد السابق لكلية دار العلوم بالقاهرة جمع فيه كل ما قيل فى الادب القديم والحديث فى الورد والزهر .

* قصة (غصن الزيتون) لعبد الحليم عبد الله يترجمها الآن الى الانكليزية الدكتور مهدي علام .

* 150 قصيدة لمحمود سامي البارودي وابراهيم ناجي وعباس محمود العقاد وغيرهم من الشعراء سيتم ترجمتها الى اللغة الانجليزية ؛ كلف المجلس الاعلى للفنون والآداب مرسي سعد الدين بترجمة هذه القصائد ترجمة حرفية . ثم يتعاقد المجلس مع احد الشعراء الانجليز المعاصرين لصياغة هذه القصائد

* استقبلت القاهرة في شهر نوفمبر الماضي عددا من الكتاب والمفكرين الافريقيين والاسيويين الذين اشتركوا في المؤتمر الثاني للكتاب الافارقة والاسيويين. وقد اعد ممثلو شعوب اكثر من خمسين دولة تقارير اضافية عن دور الادب والفن والشعر في النضال من اجل الحرية والسلام .

* صدر اخيرا للدكتور لويس عوض كتاب باسم (دراسات في ادبنا المعاصر) تناول فيه بالتحليل الادب العربي الحديث مع دراسة لاكثر من ثلاثين اديبا .

* زار اخيرا المؤرخ الانجليزي المعروف ارنولد توينبي القاهرة في رحلة ثقافية .

* سجلت وزارة الاوقاف في القاهرة حتى الآن 44 الف اسطوانة من القرءان تمثل الف مصحف . والمصحف الواحد سجل على 44 اسطوانة . كما ستقوم الوزارة بطبع البشائر التي قيلت في ذكر النبي محمد (ص) من التوراة والانجيل والكتب المختلفة

* شرع السفير المعتمد لدى حكومة القاهرة في تاليف كتاب عن جحا بعد ما جمع ما هو مكتوب بالعربية والانجليزية عن هذه الشخصية الاسطورية .

* طلبت جامعة الدول العربية من وزارة الثقافة والارشاد القومي الاشتراك في اقامة معرض الحضارة العربية في المانيا الغربية الذي سيضم صورا لجميع عناصر الثقافة العربية في كافة البلاد العربية .

* باشرت الادارة الثقافية بالجامعة العربية بطبع كتاب (تاريخ الطباعة عند العرب) .

* (اوراق ضائعة) كتاب ادبي يعالج مختلف المواضيع الادبية والسياسية والوجدانية تاليف سليم باسيلا يصدر قريبا في بيروت .

* (كاس وخمر) ديوان جديد للشاعر سعيد عقل وهو مجموعة طرف ادبية قدم بها لرجال النهضة العصرية اما في دواوينهم الشعرية واما في شتى نتاجاتهم صدر هذا الشهر عن المكتب التجاري ببيروت .

* يفكر روبير ابي راشد مؤلف (كازافونا) والحائز على جائزة (سانت بوف) في فرنسا بوضع كتاب شامل عن الادب اللبناني المعاصر باللغة الفرنسية .

* (ادب) مجلة فصلية تعنى بشؤون الادب تصدر قريبا عن دار مجلة شعر في بيروت .

* (صلاح الدين وريكاردوس قلب الاسد) رواية من تاليف جرداق صدرت حديثا في بيروت .

* اعلنت دار الكتاب اللبناني عن عزمها عن اصدار مجموعة امين نخلة الشعرية الجديدة وعنوانها (الديوان الجديد) وهي تتضمن بواكير شعره واخر قصائده التي نظمها . كما اعلنت عن اعادة طبع الكتب للامين وهي (المفكرة الريفية) (كتاب المائة) (دفتر الغزل) (ذات العماد) (الحركة اللغوية في لبنان) . كما سيظهر عن الدار ايضا مجموعة (الهواء الطلق) وهي فصول في النجاوي والاجتماع والتذكرات الخاصة .

* سيظهر قريبا بالفرنسية كتاب جواد بولس (تاريخ شعوب ومدنيات الشرق الادنى) وهو حصيلة عمل فني دقيق استغرق حوالي عشرين سنة .

* سيصدر القاص الياس مقدسي رواية بعنوان (عالم الفن) بعد ما صدرت له رواية بعنوان (ليته لم يعد) .

* سيصدر كتاب (من لا شيء) تحليل رامز سركيس مترجما للفرنسية .

* يستعد الشاعر الياس الفاضل لطبع ديوان جديد وقد صدر للشاعر ديوانان (اوراق جريحة) و (احزان القمر الاخضر) .

* صدرت في بيروت رواية لصالح الخالدي بعنوان (حتى الموت) .

* تصدر قريبا في بيروت قصة طويلة بعنوان (الى اين امضي) للانسة منى جبور .

* سيصدر للاستاذ يوسف ابراهيم يزبك كتاب (داود عمون) وقد سافر المؤلف الى ايطاليا بدعوة من اليونيسكو لقضاء ثلاثة اشهر فيها يدرس خلالها علاقة الشرق بالغرب منذ الحروب الصليبية حتى عصر النفط .

※ احتفلت جمعية اصدقاء الكتاب ببيروت بعيد الكتاب .

※ سيعقد في بيروت في الصيف القادم مؤتمر دولي للتعاون الثقافي لدراسة اسباب نمو الثقافة في لبنان وباقي اقطار العالم العربي دراسة متكاملة شاملة لفروعها الاساسية في العلوم والفلسفة والآداب والفنون وتقرير الوسائل المحققة لهذا النمو والعمل على توفير الشروط اللازمة لبلوغ هذه الغاية في اطار التعاون الدولي . وسيعنى المؤتمر ايضا بمعالجة طرق تأسيس التبادل الثقافي بين العالم العربي وباقي انحاء العالم على نطاق واسع بحيث يصبح التبادل امرا واقعا وقد نشأت فكرة الدعوة الى هذا المؤتمر في مجلة الافكار الصادرة باللغة الفرنسية في جنيف الى اقامة جسر من التفاهم على الصعيد الثقافي بين الاوساط العالمية .

※ ترجم كتاب (مراد) للمفكر اللبناني ميخائيل نعيمة الى الهولندية والالمانية ، والفرنسية ، والبرتغالية . كما ترجمت مجموعة من قصصه الى الروسية ، والاوكرانية ، والانجليزية .

※ رئيف الحافظ الملحق الفني في مديرية الآثار والمتاحف في دمشق سافر الى مدينة كابول بوصفه خبيرا دوليا ممتازا من قبل مديريةمؤسسة الاونيسكو ليكون عضوا في بعثة هذه المؤسسة لتنظيم متحف كابول واصلاح بعض الآثار الفنية .

※ في مجمع اللغة العربية بدمشق حركة نشيطة لاحياء التراث القديم فقد صدر عن المجمع عدد وافر من الكتب اللغوية والادبية والتاريخية القديمة محققة تحقيقا علميا (رسالة ابن فضلان) وكتاب (الابدال) وكتاب (المثنى) لابي الطيب اللغوي وكتاب (النوادر) لابي مسحل و (اعتاب الكتاب) لابن آبار الاندلسي . وهناك تحت الطبع عدد آخر من الكتب منها (الاتباع) لابي الطيب اللغوي و (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) لعبد الرزاق البيطار و (التاريخ الجامع في اخبار المعري) لسليم الجندي و (اخلاق الوزيرين) للتوحيدي ، والجزء الثاني من (كتاب الابدال وكتاب النوادر) والجزء الثالث من جريدة (القصر) للعماد الاصفهاني .

※ الى تسقط المدينة) رواية تاريخية تاليف فارس زرزور فازت بالجائزة الثانية بعد مسابقة الرواية التاريخية التي اجراها المجلس الوطني الاعلى لرعاية الفنون والآداب بدمشق .

※ (غنيت) اول مجموعة شعرية للشاعرة عزيزة هارون تصدر خلال هذا الشهر بدمشق

※ (ثورة الجزائر) تلخيص لاهم ما يحويه كتاب (القومية الجزائرية والعظمةالفرنسية) للكاتب الفرنسي الان سافاري لخص الكتاب وترجمه نخلة كلاس. صدر في سلسلة (الثقافة العسكرية) التي تصدرها قيادة الجيش السوري .

※ الناقد الفني عبد العزيز علون قام بزيارة عدد من كنائس دمشق واطلع على لوحاتها الفنية . اكتشف عبد العزيز خلال جولته في كنيسة الروم الارثوذوكس النسخة الاصلية لاحدى لوحات الفنان (دولاكروا) ويرجع تاريخ استقدام اللوحة الى عام 1885 .

※ (الزنزانة) دراسة واقعية لموضوع السجن والسجناء اعدها نذير عقيل للطبع .

※ (المغتربون في اميركا) كتاب يبحث قضايا المغتربين وتوثيق الصلات بين المهاجر والوطن الام تاليف عبد اللطيف اليوس وقدم له نظير زيتون سيصدر في دمشق .

※ ديوان الشاعر الاندلسي ابن دراج القسطلي المتوفى عام 421 . يطبع الآن طبعة علمية في دمشق في اكثر من 500 صفحة . حقق الديوان وعلق عليه الدكتور محمود علي مكي وكيل معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ونشره المكتب الاسلامي بدمشق .

※ صدر في حلب الجزء الثاني من كتاب (اضواء وآراء) تاليف الدكتور عبد الرحمن الكيالي . يتناول موضوعات طريفة وغنية منها بحث عن الحمدانيين وآثارهم وقد زود المؤلف بحثه بصور وخرائط دقيقة.

※ شكيب الجابري يعيد النظر بكافة رواياته التي اصدرها لاعادة طبعها منقحة وانيقة .

* صدر كتاب (شعر الحرب في ادب العرب) الدكتور زكي المحاسني وهو يتناول فيه الملاحم وشعر الحماسة على نحو لم يسبقه اليه احد .

* اعلنت مديرية الآثار العامة في دمشق اكتشاف عظام لحيوانات منقرضة قبل عشرات السنين في مدينة حماة . وقالت ان احد العمال اكتشف اثناء قيامه باعمال الحفر في احد احياء مدينة حماة عظاما دلت البحوث التي قامت بها مديرية الآثار على ان قسما منها لحيوان الماموث المنقرض والقسم الآخر لحيوان غير مالوف وربما كان الديناصور . وقررت المديرية القيام بحفريات واسعة في المنطقة التي عثر فيها على هذه العظام .

* عرض في معرض دمشق نموذج لاقدم خريطة وضعت في التاريخ وضعها البابليون قبل اربعة آلاف سنة .

* تقرر ان يقام تمثال للشاعر الفيلسوف ابي العلاء المعري باحد الميادين الكبرى في بلدة معرة النعمان على ان تنقل مقبرته من مكانها الحالي بالبلدة الى جانب تمثاله. كما تقرر ايضا اقامة تمثال كبير للشهيد ابراهيم هنانو في احد شوارع مدينة حمص .

* (المسلسل في غريب لغة العرب) تاليف الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي المتوفى سنة 538هـ تحقيق محمد عبد الجواد ومراجعة ابراهيم الدسوقي البساطي صدر في بغداد في سلسلة (تراثنا) التي تصدرها وزارة الارشاد القومي يضم الكتاب خمسين بابا يفتتح ويختتم بشاهد شعري ياخذ من الشاهد الاول الكلمة التي يجعلها اساسا للتسلسل ويكون الشاهد الاخير استشهادا على معنى الكلمة الاخيرة في الباب.

* منعت وزارة الارشاد القومي الكتب التالية من دخول العراق (طريقنا الى النصر) (نحن والشيوعية) (صدى العروبة) (مواهب الرحمن) نبذة من حياة احمد مؤسس الجماعة الاحمدية، ومؤسس الجماعة الاحمدية والانكليز .

* ابراهيم الوائلي باشر بطبع كتابه (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) وهو رسالته التي نال بها الماجيستر في جامعة القاهرة . وقد ساعدت جامعة بغداد على نشره .

* (تباريح) اول مجموعة شعرية للشاعر حارث طه الراوي تصدر قريبا في بغداد .

* (في القصة العراقية) دراسة نقدية اصدرها باسم عبد الحميد حمودي تتناول مميزات عامة لقصص ما بعد الثورة اولا ثم نقد القصص ومجاميع بعض القصاصين العراقيين امثال عبد الرزاق الشيخ علي ، وفؤاد التكرلي ، مهدي يحيى الصقر ، امون صبري ، شاكر الجابري ، محمود احمد السيد ، شاكر خصباك ، غائب طعمة فرمان وغيرهم .

* (الشخص الثاني) مجموعة قصصية تاليف عدنان رؤوف صدرت في بغداد .

* (اغنيات لا تعرف الاحزان) مجموعة شعرية للشاعر عبد الستار الدليمي يعدها للطبع . للشاعر مجموعة اخرى معدة للطبع بعنوان (عشرون قصيدة من الشمال) .

* اصدر وزير المعارف العراقية امرا وزاريا يؤكد وجوب العناية باللغة العربية الفصحى والدين لرفع مستويات الطلبة في لغة البلاد القومية والاعتزاز بالتراث الثقافي والديني .

* منحت وزارة الارشاد الجمعية الجغرافية العراقية التي انشئت اخيرا رخصة باصدار مجلة في العراق للعلوم الجغرافية وستصدر المجلة باللغتين العربية والانجليزية في وقت واحد .

* (الشراع الغريب) عنوان المجموعة الشعرية التي صدرت في سلسلة كتاب الشعلة . المجموعة للشاعر احمد حسين .

* (رحيل الى البحر) اسم المجموعة القصصية التي يصدرها القاص زكريا تامر وكان قد صدر له مجموعة بعنوان (صهيل الجواد الابيض) .

* (الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري) كتاب من تاليف الدكتور احمد كمال زكي مدرس الادب العربي بكلية الآداب بجامعة دمشق وهو يبحث في تاريخ البصرة وحياتها الاجتماعية والعقلية وتطور الحياة الادبية فيها ويحلل بعض الشخصيات البصرية كابن المقفع وبشار وابي نواس . صدر في الشهر الماضي عن دار الفكر بدمشق .

✻ اعلن طه باقر المدير العام للاثار العراقية ان علماء الآثار العراقيين عثروا على عدة الواح فخارية يعود تاريخها الى الالف الثاني قبل الميلاد وعليها كتابات مسمارية بابلية وسومرية فى قرية بقراوة فى لواء السليمانية قرب الحدود الايرانية . ويعتقد ان هذه الالواح هي على جانب عظيم من الاهمية اذ انها تحتوي على سجلات تاريخية واسماء آلهة وتقديمات دينية وكتابات سحرية . وكان العلماء قد عثروا على معبد يعود تاريخه الى الالف الثالث قبل الميلاد واضاف طه الباقر ان علماء الآثار قد عثروا على تماثيل من العهد الهلني للمرة الاولى فى العراق فى موقع الحضرة فى لواء الموصل بشمال البلاد . وكشفوا عن تماثيل لملوك عرب تحمل اسماءهم والقابهم ويعود تاريخها الى ما بين عام 348 قبل الميلاد وعام 226 قبل الميلاد .

✻ سيتم فى العراق تأسيس معهدين احدهما للتاريخ والآخر لبحوث المناطق القاحلة كما سيتم انشاء مرصد جيوفيزيقي فى مصيف صلاح الدين مضافا الى مركز الابحاث العلمية فى جنوب العراق التي سيشمل الدراسات الفزيائية والاحياء فى الخليج العربي والاهوار .

✻ سيصدر قريبا فى العراق للاستاذ عباس الغزاوي كتاب « تاريخ الادب العربي فى العراق » فى اجزاء ، كما سيصدر لنفس المؤلف كتاب بعنوان (نخل العراق فى التاريخ) مع ملحق بعنوان (ادب النخل) يتضمن ما قيل فيه من الشعر والنثر فى القديم والحديث .

✻ عكفت الكاتبة روحية القليني على تاليف كتاب عن شاعرات العرب من عصر الخنساء الى يومنا هذا .

✻ (الافق الجديد) مجلة للادب والثقافة تصدر قريبا فى القدس .

✻ عثر مؤخرا فى اليمن على مخطوطات مهمة بعنوان (كتاب الارج فى مآثر العرج) لمؤلفه اسرائيل ابن لؤي وهو يهودي دمشقي الفه سنة 808 .

✻ بدات مطابع الرياض العمل فى طبع رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية وهي رسائل ضخمة ربما تزيد على عشرين مجلدا وقد جمعها ورتبها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم مدير المكتبة السعودية وهي تطبع على نفقة جلالة الملك سعود .

✻ اصدر الملك سعود مرسوما بانشاء جامعة بالمدينة المنورة تسمى (الجامعة الاسلامية) لنشر العلوم الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها وتعتمد الجامعة فى مواردها على اموال تقدمها الخاصة الملكية .

✻ لاول مرة سينشا فى المدينة المنورة مسرح للتمثيل .

✻ سيبنى فى اسلام اباد العاصمة الجديدة للباكستان اروع مسجد فى العالم .

✻ بعثة دنماركية من علماء الآثار وصلت الى فانكولت للبحث عن اصل الانسان الاسيوي الاول فى وادي كولي .

✻ ظهرت فى موسكو الطبعة الاولى للترجمة الروسية لقصة (دعاء الكروان) للدكتور طه حسين . وقد نشرت ترجمة القصة العربية ضمن سلسلة تضم اجمل الاعمال الادبية القديمة والحديثة فى البلدان الشرقية .

✻ وقع اتفاق تعاون علمي هنغاري فرنسي فى بودابيست بين ممثلي الاكاديمية الهنغارية والمركز الوطني الفرنسي للابحاث العلمية . وبموجب هذا الاتفاق سيتوجه عام 1962 الى فرنسا 12 طالبا هنغاريا لمتابعة دروسهم فى باريس كما سيتوجه 12 طالبا فرنسيا لمتابعة دروسهم فى هنغاريا .

✻ توفى اخيرا الكاتب السويدي هامبورغ وهو احد اعضاء الاكاديمية السويدية التي تمنح جائزة نوبل .

✻ اقيم حفل كبير فى جامعة اسلو حضره اعضاء البرلمان النرويجي ورؤساء البعثات السياسية المعتمدين فى النرويج وعدد كبير من الشخصيات البارزة . تسلم خلاله السيد البير لوتولي جائزة نوبل للسلام . وهو اول افريقي يحرز علىهذه الجائزة العالمية .

✻ دعت منظمة التبادل الثقافي الالمانية فى بون خريجي المعاهد الثانوية لتعلم اللغات الاسيوية والافريقية كاللغة العربية والهندية والاردنية . وقد جاءت النتائج حسنة . اذ قدم 256 تلميذا طلبا

لتعلم اللغات والغاية من هذه الدعوة هي خلق نواة متينة لها القدرة على تقوية العلاقات مع الشعوب الاخرى .

* ظهر في مدينة شتوتجارت الآن كتاب عن القصص والخرافات الجديدة في بلدان العالم العربي. يعطي للالمان فكرة قصص وخرافات البلاد العربية وظهر كتاب آخر يتعلق بالفن القديم من الاراضي الواقعة بين نهري الدجلة والفرات . ويقول النقاد بانه لم يسبق ان ظهر كتاب حتى الآن عالج الفن الشرقي القديم على هذه الصورة مثلما عالجه هذا الكتاب .

* اعتادت المانيا الاتحادية على ان تقدم كل سنة جائزة الكتاب الالماني لاشهر الكتاب العالميين تشجيعا لهم ودعاية لانتاجهم الفكري ليكون شائعا بين مختلف الاقطار في سبيل الاستقرار والسلام . وقد نال نائب وزراء الهند الفيلسوف والكاتب السياسي المعروف السر سارفيبالي رادها كريشنان الجائزة لهذا العام .

* (شمس الله تشرق من الغرب) عنوان الكتاب الذي احدث ضجة في الدوائر العلمية والادبية في المانيا ، حاول مؤلفه سيجريد هونكه ان يبين فيه للعالم الغربي كيف ان الحضارة العربية لم تبن على اساطير الف ليلة وليلة وانما بنيت على الف حقيقة وحقيقة علمية وقد علقت الاذاعات الالمانية على هذا الكتاب ووصفته بانه بحث علمي جاد عميق .

* ابتدات الكاتبة الفرنسية فرانسواز ساجان بنشر مذكراتها في صحيفة دايلي اكسبرس تتحدث فيها عن نشاتها وحياتها والظروف التي احاطت بها الى العهد الذي نبغت فيه كمؤلفة قصص .

* فاز الكاتب الفرنسي جان كو بجائزة كونكور الادبية لهذه السنة على روايته (رحمة الله) .

* انتهى محمود العابدي من اعداد كتابه (ستة اشهر في ايطاليا) يتحدث فيه عن مشاهداته في هذا البلد .

* عرضت حكومة ايطاليا للبيع معظم طوابع البريد التي اصدرتها خلال المائة العام الماضية .

* منحت الاميرة الكسندرا ابنة عم ملكة بريطانيا درجة الدكتوراه الفخرية في القانون من جامعة هونج كونج والاميرة الكسندرا تقوم الآن بزيارة تستغرق 12 يوما للشرق الأقصى .

* صدرت في لبنان مجموعة مختارة من القصص الآسيوي باللغة الأنجليزية في سلسلة القصص العالمية التي تصدرها دنيال ملتوف ووليام كلينور .

* تعرض في لندن مسرحية (مصيدة الفئران) للكاتبة اجاتا كريستي منذ تسع سنوات . وقد سجلت هذه المسرحية البوليسية نجاحا منقطع النظير .

* تقرر في بريطانيا رسميا ان تكون اللغة العربية من المواد الأساسية في تجربة جديدة لتعليم اللغات تبدا في العام الدراسي الثاني في احدى المدارس الثانوية بشمال انجلترا .

* توفي الكاتب المسرحي والمخرج والمنتج الأميركي جورج كوفمان عن 71 سنة .

* توفي اخيرا هوارد كروم مبتكر الآلة الكاتبة في الولايات المتحدة عن 77 عاما .

فهرس العدد الثالث _ السنة الخامسة

الصفحة	الموضوع	الكاتب
	دراسات اسلامية :	
1	مبادي الاسلام الدستورية فى نواحي الحياة (2)	الدكتور معروف الدواليبي
5	صفحة من العدالة الاسلامية	الاستاذ محمد الطنجي
7	التلقائية فى انتشار الاسلام	الاستاذ رشيد نجار
10	موقف الاسلام من الربا	الاستاذ موساوي رزوق
13	الدعوة الاسلامية علم وفن	الاستاذ جمال بغدادي القادري
16	اضواء على آيات قرآنية	الاستاذ حسن بغدادي القادري
	ابحاث ومقالات :	
19	وجهة التاريخ	الاستاذ محمد زنيبر
24	الموشحات _ 2 _	الاستاذ عباس الجراري
30	اللغة العربية بين الماضي والحاضر _ 2 _ . . .	الاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ
35	من تراثنا الفكري فى الاندلس :	
	محمد بن عبدون اليابري	الاستاذ محمد الامين محمد
38	على الاجتماع بين ابن خلدون واوغست كونت .	الاستاذ بنعيسى حنفي
41	ادب بلا نسب	الاستاذ رابح منصر
	من اصداء العدد الممتاز :	
44	الحركة الفكرية يجب ان ترعاها الدولة . . .	الاستاذ ابراهيم حركات
48	مشاكل الادب المغربي المعاصر	الاستاذ محمد برادة
52	وجهة الثقافة المغربية	الاستاذ عبد الله الكتاني
55	نظرة جديدة فى ازمتنا الادبية	الاستاذ ابن دفعة محمد
	شؤون افريقية :	
60	بعد مرور سنة على استقلال موريطانيا	الاستاذ محمد احمد الغربي
	ديوان دعوة الحق :	
66	فلا عز حتى تستقل جزائر	للشاعر مفدي زكريا
70	ماسح الاحذية	للشاعر محمد الحلوي
72	في سكرة الهوى	للشاعر احمد سعيد التازي
	قصة العدد :	
74	الفائد	الاستاذ احمد البقالي
	آفاق فنية :	
77	مدخل الى فهم الفن	ترجمة محمد السرغيني
80	**الحياة الثقافية فى الوطن العربي :**	اعداد م . ز
	مناقشات :	
83	حول قصيدة انا اخوان	الاستاذ محمد الحلوي
89	**الانباء الثقافية**	